

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٧٥



جامعة أم القرى  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا التاريخية

٢٢٥٩

# السيرة النبوية المطهرة في

## حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم

3  
7  
1  
1  
1

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي  
إعداد

عبدالله بن سعيد بن محمد الغامدي



إشراف الدكتور

حسين بن محمد ربيع

١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَبِهِ نَسْتَعِينُ

مَحْتَوَى الْكِتَابِ

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث .

## الفصل الأول : صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية : ص ٢٣ - ٩١

- قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .
- دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م .
- نزاع صلاح الدين مع الزنكيين : معركة قرون جاه ، معركة تل السلطان .
- إستيلاء صلاح الدين على مدن إقليم الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .
- استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م .
- الموصل تدين بالولاء لصلاح الدين سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م .

## الفصل الثاني : جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية : ص ٩٢ - ١٦٦

- صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين .
- تطور نظام الإقطاع الحربي في عصر صلاح الدين .
- ديوان الجيش الصلاحي .
- تنظيم الجيش الصلاحي .
- الأسلحة والمؤن والعتاد .
- أساليب القتال .
- دور الأسطول في جهاد صلاح الدين .

## الفصل الثالث : معركة حطين مقدمة لاسترداد بيت المقدس : ص ١٦٨ - ٢١٧

- مقدمات معركة حطين .
- إستعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين .
- وقعة صفورية .
- معركة حطين ونتائجها .



## الفصل الرابع : حصار واسترداد بيت المقدس : ص ٢١٩ - ٢٥٠

- أحوال مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين .
- استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس .
- خطة صلاح الدين العسكرية واستسلام بيت المقدس .
- تسامح صلاح الدين في معاملته لاسرى الصليبيين .
- إرسال البشائر والوفود الى أنحاء العالم الإسلامي .
- إصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس .

## الفصل الخامس : فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس : ص ٢٥٢ - ٣١٩

- نتائج وآثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأوروبي .
- الحملة الصليبية الثالثة ودخول الصليبيين عكا سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م .
- معركة أرسوف وفشل ريتشارد قلب الأسد في إسترجاع بيت المقدس .
- إنتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م .

## الخاتمة : أهم نتائج البحث . ص ٣٢١ - ٣٢٨

الملاحق : ص ٣٣٠ - ٣٥٧

## المحور الأول :

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستضيئ بأمره

سنة ٥٧٠ هـ

## الملاحق الثاني :

إهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد .

## الملاحق الثالث :

خطبة القاضي محيي الدين بن زكي الدين بعد استرداد  
بيت المقدس .

يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

## الملاحق الرابع :

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى  
بفتح بيت المقدس .

قائمة المصادر والمراجع . ص ٣٥٩ - ٣٧٥

المقدمة

دراسة فقريّة للاهم مصادر  
البحث

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
سيدنا ونبيينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم  
باحسان الى يوم الدين وبعد /

فإن لبيت المقدس أثره العميق الفائق في نفوس كل مسلم في بقاع الأرض ،  
لاحتوائه على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وسرى  
نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنه عرج به الى السماء ،

والحديث عن تاريخ بيت المقدس ذواهمية بالغة ، تشد القارئ الى  
التعرف عليه ، وذلك لكونه مجالاً للصراع بين القوى منذ المصور الوسطى ، لما  
يحتله من مكانة مقدسة في نفوس البشر على اختلاف دياناتهم السماوية . اذ المصورف  
أن المسلمين الأوائل فتحوا بيت المقدس ، وطهروا المسجد الأقصى من من براثن  
الروم ايمان حركة الجهاد الاسلامي الأولى في السنة الخامسة عشرة للهجرة . وظل  
في أيديهم فترة طويلة من الزمن ، الى أن استغل الصليبيون فترة الانقسام التي  
حلت بالعالم الاسلامي في المصور الوسطى ، وفرضوا سيارتهم عليه . وبعد فترة  
وجيزة عادت للإسلام صحوة وأعيدت فكرة احياء حركة الجهاد الاسلامي ، فتكمن  
المسلمون من اعتمادهم على الصليبيين . ومن الأسباب التي دعت الى اختيار  
هذا الموضوع ، أنه موضوع ذو أهمية بالغة ، خاصة فيما يتعلق بفكرة احياء حركة  
الجهاد الاسلامي ، التي استدعى الأمر احيائها في نفوس المسلمين لاستعادة  
بيت المقدس من أيدي أعداء الاسلام . وقد تجلّى ذلك بوضوح في عصر الدولة  
الملاحية التي تعتبر بحق دولة جهادية ، حققت بفضل احياء فكرة الجهاد  
الاسلامي انتصارات عظيمة على الصليبيين في المصور الوسطى .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مصادر أصلية تنقسم الى مجموعتين :

(١) مجموعة مؤلفات المؤرخين والكتاب المعاصرين لصالح الدين .

(٢) مجموعة الذين نقلوا عن مؤرخين معاصرين . ويأتى فى مقدمة

المجموعة الأولى كتابات القاضى الفاضل . وهو أبو على عبد الرحيم بن القاضى

على بن أبى القاضى السعيد أبى محمد الحسن اللخى ، المستألف المولود ،

العصرى الدار ، والمعروف بالقاضى الفاضل . ولد يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة

سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م . تولى والده القضاء بمدينة بيسان ففسبوا إليها وأرسله

الى مصر ، فاشتغل بالأدب وحفظ القرآن ، ونسخ هناك فتولى بعض الوظائف

فى الدولة الفاطمية الى أن ولى صلاح الدين الوزارة الفاطمية ، فأسند الى القاضى

الفاضل كتابة الانشاء . ومنذ ذلك الوقت لازم القاضى الفاضل صلاح الدين فى مصر

والشام ، وأخذ يحضر معه مشاوراته السياسية ، وكذلك أغلب حملاته العسكرية

(١)

ضد الصليبيين . وتوفى القاضى الفاضل فى سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م .

وقد أتاحت هذه الظروف الفرصة للقاضى الفاضل أن يدون مشاهداته

(٢)

كلها عن تاريخ صلاح الدين ، فيما عرفت بالمتجددات أو الحوادث أو المجرىات ،

وهى عبارة عن سجل للحوادث اليومية المتجددة من جهاد صلاح الدين ضد

الصليبيين . وقد اعتمد كثير من المؤرخين فى كتاباتهم على هذه السجلات اليومية

التي دونها القاضى الفاضل آنذاك ، مثل أبى شامة فى كتابه الروضتين فى أخبار

الدولتين ، والمقريزى فى كتابه الخطط ، وابن تفرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة

(٣)

وغيرهم .

(١) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ١٦٣ .

نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصالح الدين ، ص ٢٩ -

٣٠ ، أنظر أيضا ، شاکر مصطفى ، التاريخ القريب والمؤرخون ، ج ٢ ، ص

١٩٣ .

(٢) أنظر ، نظير حسان سعداوى ، المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

(٣) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٢٠٩ ، المقريزى ، الخطط

ج ١ ، ص ٢٥٣ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .

وأمدت الرسائل التي كان القاضي الفاضل يكتبها على لسان صلاح الدين الى بلاط الخليفة المباسي في بغداد وإلى غيره من الملوك والأمراء المسلمين هذا البحث بمعلومات غنية في الأهمية . وقد ذكر ابن خلكان أن مسودات هذه الرسائل المتناثرة بين المجلدات والتعليقات والأوراق إذا جمعت ما تقصر عن  
(١)  
مائة مجلد .

وقد صورت لنا هذه المتجددات والرسائل ما بذله صلاح الدين من جهود جبارة أشرفت استرجاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، فهي في مضمونها قد شملت جهوده في توحيد الجبهة الإسلامية التي ضمت مصر والشام وأجزاء من أرض الصراق ، وحشد كل الامكانات والقوى الإسلامية لاقتلاع الوجود الصليبي من بلاد الشام . ولعل خير دليل على ذلك تلك الرسالة التي أنشأها القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الى الخليفة المباسي المستضيء بالله التي تعد  
(٢)  
أروع الرسائل التي كتبت في السياسة والأدب .

ويلى ذلك في الأهمية مؤلفات الصمد الكاتب الاصفهاني وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله ، ولد بأصبهان سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ونشأ بها ، ثم قدم بغداد في حداثة سنه ، وانتظم في المدرسة النظامية واثق الفقه والحديث والنحو الأدب . وعاد الى أصفهان وتفقه على علمائها ، وعاد مرة أخرى الى بغداد واشتغل بالكتابة وبالوظائف الادارية

( ١ ) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، هناك مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريداني ببلندن عنوانها ( عيون الرسائل الفاضلية ) تحت رقم . كما توجد مخطوطة أخرى في دار الكتب المصرية لابن نباتة تحمل اسم ( مختارات من كلام القاضي الفاضل ) ، تحت رقم ( ٣٨٨٢ أدب . )

( ٢ ) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٦١٦ - ٦٢٣ ، نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ٣٧ حاشية .

(١)

حيث ولّاه الوزير ابن عبيد النظر بالبصرة ثم واسط .

وما لبث العماد أن انتقل الى دمشق في أيام السلطان نور الدين محمود  
 والتحق بالخدمة العمادية وهناك علم بتوجوده نجم الدين أيوب والد صلاح  
 الدين ، فبادر بالسلام عليه وعرفه ابنه صلاح الدين . وعاد العماد بعد وفاة  
 نور الدين الى العراق ، ومكث بها الى أن بلغه خروج صلاح الدين من مصر  
 الى دمشق ، فمزم على العودة الى بلاد الشام . وهناك التقى العماد بالقاضي  
 فقهه لصلاح الدين . ومنذ ذلك الوقت لازم العماد صلاح الدين في السفر  
 والحضر . وظل ملازما له حتى وفاته ، وبوفاة صلاح الدين اختلفت أحوال  
 العماد فلم يبق به بيته بدمشق ، وأقبل على التأليف حتى وافته الغنية فيها سنة  
 ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م .

(٦)

صنف العماد كتابا عديدة في التاريخ يهنا منها كتابان الأول : كتاب

البرق الشامي والثاني كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي . ويقع الأول في  
 سبعة مجلدات لم يمد بوجودها سوى الثالث والخامس .

(٧)

- (١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٤٨ ، السبكي طبقات الشافعية ،  
 ج ٦ ص ١٧٨ - ١٧٩ ، الباز الصريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص  
 ٢٣٧ ، نظير سحداوي ، المرجع نفسه ، ص ١٩ - ٢٠ .
- (٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٤٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
 ج ٦ ص ١٨٩ ، نظير سحداوي المرجع نفسه ، ص ٢٠ .
- (٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٤٩ .
- (٤) أنظر سبط ابن الحوزي مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١٣٢٩ - ٣٣٠ .
- (٥) العمري ، مسالك الأبرار ، ج ٧ ورقة ٣٧٢ ، أنظر أيضا نظير سحداوي  
 المؤرخون الماصرون لصلاح الدين ص ٢١ - ٢٢ .
- (٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
 ج ٦ ص ١٨٠ ، نظير سحداوي ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .
- (٧) السيد الباز الصريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٤٣ ، نظير حسان  
 سحداوي ، المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

استهل العماد حديثه في كتابه هذا بالحدث عن نفسه وتاريخ حياته ونشأته وما جرى له في خدمة السلطان نور الدين محمود ، وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين ، وذكر شيئاً من الفتوحات في الشام <sup>(١)</sup> وقد اختصر الفتح بن عيسى البنداري أحد مؤرخي القرن السابع الهجري هذا الكتاب وسماه سنا البرق الشامي . وقد أفاد هذا الكتاب الباحث فائدة قيمة خاصة فيما يتعلق بالفترة الأولى من جهاد صلاح الدين ، تلك الفترة التي شملت مرحلة توحيد الجبهة الإسلامية استمداً للجهاد الصليبيين .

أما كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي وهو الذي يهتما بالدرجة الأولى فقد بدأ العماد تأليفه بعد وفاة صلاح الدين ، وتحدث فيه عن معركة حطين وفتح بيت المقدس وما تلا ذلك من صراع مع الصليبيين مثلاً فيما عرفت بالحملة الصليبية الثالثة .

والواقع أن هذا الكتاب من المصادر الأصلية التي تناولت موضوع صلاح الدين واسترجاع بيت المقدس ، فقد تناول العماد في هذا الكتاب بالتفصيل تلك الجهود العظيمة التي بذلها صلاح الدين في الفترة الممتدة بين سنتي ٥٨٣ - ٥٨٩ هـ ، والتي تمكن صلاح الدين خلالها من ضرب الصليبيين ضربة قاصمة في حطين ، ثم استرجاع بيت المقدس منهم ، وإنهاء محاولاتهم لاسترجاعه وما يزيد المعلومات الواردة عن موضوع البحث في هذا الكتاب أهمية ، أن كتابات العماد الأصفهاني هذه أنها تصوير لما شاهده العماد نفسه في تلك

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٠ ، نظير سمدأوى ، المرجع نفسه ، ص ٢٤ .



### الفترة الهامة من جهاد صلاح الدين •

وقد اتبع المصنف في تأليف كتابه هذا أسلوبا مغايرا للأساليب التي اتبعها المؤرخون في المصور الوسطى ، فقد حرص المصنف في هذا الكتاب على تدوين أعمال صلاح الدين في أسلوب ثري مسجوع يتطلب من الباحث التمعن والدقة حتى يتمكن من استخراج الحقائق التاريخية منه ، وإذا تعمق القارئ في ذلك الأسلوب المسجوع فانه يخرج منه بمعلومات توضح تلك الخطط السياسية والحربية التي اتبعها صلاح الدين أثناء جهوده لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام •

ولا تقل أهمية عن ذلك كتابات المؤرخ ابن أبي طى وهو يحيى بن حامد ابو طى النجارين طافر بن على بن عبدالله الخسانى الحلبي ، ولد سنة ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م في مدينة حلب التي كان أبوه رئيسا لنقابة التجارين بها ، وأحمد زعماء الشيعة بها • وشب يحيى في حلب يتلقى العلم عن أبيه وعن علماء حلب ، وصنف كثيرا من الكتب في الفقه وغيره ، ولا تعرف بالضبط سنة وفاته التي كانت بين ٦٢٥ و ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م • (١)

ومن أهم مصنفات ابن أبي طى كتابه ( كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين ) وهو الذي أطلق عليه أبو شامة ( السيرة الصلاحية ) • ورتب ابن أبي طى تاريخه هذا حسب السنين ، وهي الطريقة الحولية الشائعة بين مؤرخى

---

(١) الباز المصري ، مؤرخا لحروب الصليبية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، وتأثير حسان سعادوى ، المؤرخون الماصرون لصلاح الدين ص ٤ ، شاكر مصطفى ، التاريخ المصري والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ •  
(٢) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤١٥ •

المصور الوسطى • ويتميز أسلوبه بالسرد البسيط • ويقترّب من أسلوب ابن الأثير •  
 فهو موجز بعيد عن التكلف • وروى ابن أبي طى عن والده • كما اعتمد على عدد  
 من الوثائق منها رسائل القاضي الفاضل • ومن ههنا أيضًا كتابات ابن رزيق  
 وابن أبي جرادة جد المؤرخ ابن المديم والمظيع وابن القلائس والمماد  
 الأصفهانى • ومؤلف مجهول فى تاريخ مصر • (٣)

وكتاب السيرة الصلاحية يعتبر فى عداد الكتب التاريخية المفقودة • واعتد  
 عليه المؤرخ أبو شامة فى كتابه ( الروضتين فى أخبار الدولتين ) اعتمادا كبيرا  
 لما تضمنه من معلومات هامة عن صلاح الدين يدلنا على ذلك قول أبى شامة  
 " وهذا الذى ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه لله يار الصرية الى أن تمت  
 وزارة صلاح الدين قد وجدته مبسوطا مشتملا على زيادات وفوائد فى كتاب  
 للبحر بن أبى طى فى السيرة الصلاحية • فأحببت ذكره مختصرا " • ونقل عنه  
 أبو شامة فى كثير من المواضع • (٥)

وقد عنى تاريخ ابن أبى طى بسيرة صلاح الدين • فأمدنا بمعلومات  
 قيمة عن تاريخ صلاح الدين وجهوده فى توحيد الجبهة الاسلامية • وأحياء  
 فكرة حركة الجهاد الاسلامى فى نفوس المسلمين ومن ثم استرداد بيت المقدس  
 من الصليبيين • وقد ظهرت تلك الاستفادة واضحة فى كتاب الروضتين لأبى شامة •

- 
- (١) نظير حسان سعداوى • المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين • ص ٤٠٤  
 شاكرو مصطفى • التاريخ العربى والمؤرخون • ج ٢ • ص ٢٥٤ •  
 (٢) أنظر أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ١ • ق ٢ • ص ٥٢٥ •  
 (٣) شاكرو مصطفى • التاريخ العربى والمؤرخون • ج ٢ • ص ٢٥٤ •  
 (٤) أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ١ • ق ٢ • ص ٤١٥ •  
 (٥) أنظر على سبيل المثال • أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ١ • ق ٢ • ص  
 ٥٣١ • ٥٣٤ • ٥٦١ • ٥٨٨ • ٦٣١ •

كما اعتمد على كتابات ابن أبي طيى مؤرخون آخرون يعدون من المصادر الهامة لهذا البحث . ويماب على معظمهم أنه لم يشر الى ذلك فى كتاباته منهم ابن شداد ، صاحب الأعلام الخطيرة وابن عبد الظاهر وابن ميسر وابن المديم والذهبي والمقريزى وابن قاضي شهبه وغيرهم . ويبدو أن كتاب السيرة الصلاحية هذا ظل موجوداً حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى حين استخدمه ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م . ثم اختفى ولم يبق منه الا ما نقل (١) عنه .

ويمتبر كتاب الكامل فى التاريخ لابن الاثير الجزرى من أهم مصادر والبحث وابن الاثير هو أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ، المعروف بابن الاثير الجزرى ، واللقب بعز الدين . ولد سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م بجزيرة ابن عمر الواقعة على نهر الفرات والتى كان والده يشغل وظيفة هامة بها ، ثم تحول ابن الاثير مع والده الى الموصل لخدمة الأمراء الزنكيين ، وهناك نشأ نشأة علمية ، وتعلم على علماء العصر . وحظى بمكانة سامية لدى أمير الموصل فاستخدمه فى بعض المهام ، كما أوفده سفيرا الى أولى الأمر فى بغداد . ثم رحل الى بلاد الشام وتروى على دمشق وحلب لطلب العلم . ويرى فى كتابته التاريخ ، حتى اعتبر من أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبرى ، ومؤلفاته تسبىز ذلك . (٢) توفى فى رمضان من سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . (٣)

- (١) نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصالح الدين ، ص ٤ ، وشاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
- (٢) السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، نظير سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصالح الدين ، ص ٦ - ٧ ، سعيد طاشور ، بحوث ودراسات فى تاريخ المصور الوسطى ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .
- (٣) سعيد طاشور ، بحوث ودراسات فى تاريخ المصور الوسطى ، ص ٣٩٤ .
- (٤) شارك مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
- (٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ .

وكتاب الكامل في التاريخ يعتبر من المصادر الهامة لمصر صلاح الدين ،  
فقد استقى ابن الأثير معلوماته مما شاهده بنفسه يدلنا على ذلك قوله عند حديثه  
عن معركة تل السلطان سنة ٥٧١ هـ « فأننى وقتت على جريدة المرضى ، وترتيب  
المسكر للمصابين وميسرة وقلبا وجاليشيه وغير ذلك » . وكذلك استقى كثيرا من  
الأخبار عن كبار رجال صلاح الدين وقادته يدلنا على ذلك قوله « فحكى لى الأفضل  
ولد صلاح الدين » وقوله عند حديثه عن حصار صلاح الدين لدمينة الرها سنة  
٥٧٨ هـ « فحدثنى بعض من كان بها من الجند أنه عد فى غلاف رمح أربعة عشر  
خرفا وقد حرقته السهام » . ونقل ابن الأثير أيضا عن المصادر الأصفهاني في كتابه  
البرق الشامى وهو بهذا يقتل عن صدر موشوق ، وذلك لأن المصادر اشتهر بملازمته  
صلاح الدين ، لهذا فإن كتاباته عن صلاح الدين كانت عن قرب . وقد امتاز ابن  
الأثير فى كتابه الكامل بالدقة فى إيراد الإحصاءات عن عدد الجيوش فى الممارك  
وكذلك إحصاء الأسرى وغيرهم .<sup>(١)</sup>

والواقع أن ابن الأثير فى كتابه الكامل قد تناول بالتفصيل تاريخ صلاح  
الدين منذ خروجه مع عمه أسد الدين شيركوه الى مصر حتى آخر أيامه ، لذلك فهو  
من المصادر الأصلية التى تصور ما بذله صلاح الدين من جهود لتوحيد الجبهة  
الإسلامية ، وبث فكرة الجهاد الإسلامى فى نفوس المسلمين ، وكيف تمكن صلاح  
الدين بفضل تلك السياسة القائمة على الجهاد الإسلامى من استرداد بيوت  
المقدس من أيدي الصليبيين ، وانتهاء كل محاولاتهم لاستمالة من المسلمين .

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٩ .
  - (٢) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ .
  - (٣) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤٨٣ .
  - (٤) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٩ .
  - (٥) أنظر المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤٨٢ .

ويلاحظ على ابن الأثير في كتابه الكامل تحامله على صلاح الدين وميلسه  
 الواضح إلى البيت الزنكي ، فكثيراً ما صب اللوم على صلاح الدين الذي اشتهر  
 بشهامته في معاملة الصليبيين . ويرى ابن الأثير في كتابه هذا أنه كان من الأفضل  
 أن لا يفعل صلاح الدين ذلك وأن ذلك التسامح كان السبب الأكبر الذي سبب  
 المتاعب للمسلمين بعد ذلك في صراعهم مع الصليبيين . ويظهر ذلك فيما ذكره  
 عند حديثه عن حصار صلاح الدين لمدينة صور سنة ٥٨٣ هـ ، وكذلك عند حديثه  
 (١)  
 عن حصار عكا سنة ٥٨٥ هـ .

ومنه يبدو لنا أن ابن الأثير في كتابه الكامل كان متحاملًا على صلاح الدين  
 وأنه لم يستطع اخفاء حقه عليه في أكثر من موضع ، حيث كان يتلمس المناسبات  
 ليعز صلاح الدين ونقذه وذلك بحكم نشأته في الموصل موطن الزنكيين الذين كان  
 يتحيز لهم . ونسى ابن الأثير أن تلك السياسة الحكيمة التي سار عليها صلاح الدين  
 (٢)  
 باتباعه مبدأ التسامح مع الصليبيين هي التي مكنته من السيطرة على المدن الساحلية  
 في مدة لا تتجاوز الشهرين .

ويعتبر كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد من أهم  
 مصادر البحث . وابن شداد هو بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن غنيم  
 ابن غنيم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدی قاضي حلب المعروف بابن شداد ، توفي  
 والده وهو صغير السن فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم . ولد بالموصل  
 سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م وحفظ القرآن في صغره وأخذ عن شيوخ الموصل ، ثم انتدر  
 إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالدرسة النظامية وعين فيها معيداً بعد وصوله

(١) أنظر ما يلي ص :

(٢) ابن واصل ، مروج الكروب ، ج ١ ص ٢٢٣ ، حاشية ، سعيد عاشور ،  
 الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٢٩

اليها بقليل ، واستمر بها نحو أربع سنين ثم عاد مرة أخرى الى الموصل وذلك سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م فترتب مد رسا بالدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري .<sup>(١)</sup>

وسرعان ما اشتهر ابن شداد لدى الأمراء المواصلية بالحكمة وسداد الرأي فأولوا اليه عددا من المهام .<sup>(٢)</sup> وبقي بالمراق بميدا عن صلاح الدين حتى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وذلك أنه شد الرحال الى مكة في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م لقصد الحج ، وعزم في طريق عودته على زيارة بيت المقدس الذي كان صلاح الدين آنذاك قد استرده من الصليبيين . فلما سمع صلاح الدين بقدومه أبدى رغبته في مقابلته ، واجتمع به صلاح الدين فأكرمه وطلب منه أن يسمح له جزأ من الحديث ، فقرأ عليه بنفسه ، ثم جمع كتابه في فضائل الجهاد وقدّمه الى السلطان صلاح الدين ، وطلب صلاح الدين من ابن شداد البقاء معه ، ثم ولاه قضاء المسكر والحكم بالقدس الشريف ، ومنذ ذلك الوقت لازم ابن شداد صلاح الدين ولم يفارقه حتى وفاته .<sup>(٣)</sup> وبلغ الأمر بصلاح الدين أنه كان يفضي اليه بأمور لا يجب أن يطلع عليها أحدا .<sup>(٤)</sup> واستمر ابن شداد في خدمة البيت الأيوبي

(١) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ص ٣٤٠ ، والقاضي كمال الدين الشهرزوري هو أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي احمد القاسم الشهرزوري هكان فقهما أدبيا شاعرا تولى القضاء في الموصل ودمشق وحماه وحصن . توفي سنة ٥٧٢هـ به دمشق ( أنظر ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٤ ص ٢٤١ - ٢٤٤ ) ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٤٠ .

(٢) أنظر ما يلي ، ص

(٣) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ص ٨٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ص ٣٦١ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، مقدمة الشيال ، ص ١ - ٤ ، البار الصرني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٠٠ ، نظير حسان سمدأوى ، المؤرخون المخلصون لصلاح الدين ، ص ١٥ - ١٦ .

(٤) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٥ .

(١)  
الى أن توفي سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤ م

ولابن شداد عدد من المؤلفات التاريخية يهمنها منها كتابه النـسـوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية الذي أمد البحث بمعلومات نى غاية الأهمية لأنه دون فيه بأسلوب متمتع حياة صلاح الدين شارحا خططه السياسية والعسكرية ومكارمه الأخلاقية . ويمكن تقسيم المعلومات التى تتضمنها هذا الكتاب الى قسمين : القسم الأول يشمل الفترة الأولى من حياة صلاح الدين حتى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م . وقد بدأها ابن شداد بحد يث مفصل عن مولد صلاح الدين ونشأته وخصائصه وأخلاقه وشمائله ، وهى الفترة التى سبقت مجيئه الى بلاد الشام . وقد اعتمد ابن شداد فى تدوين معلوماته عنها على ثقاته<sup>(٢)</sup> . أما القسم الثانى فيشمل الأحداث فى هذه السنة وما بعدها ، وقد اعتمد فى تدوينها على ما شاهد به بنفسه ، يد لنا على ذلك ما ذكره ابن شداد نفسه من أنه خدم صلاح الدين من مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ ، وأن جميع ما أورده من معلومات عن الأحداث السابقة لذلك قد استقاه عن يثق به ممن شاهد تلك الأحداث ، ومنذ ذلك التاريخ لم يدون الا ما شاهد به بنفسه أو أخبره به من الثقة خبرا يقارب الميان<sup>(٣)</sup> . وبالرغم من أنه قد اعتبر القسم الأول من هذا الكتاب الذى يشمل الفترة الواقعة بين سنتى ٥٦٥ هـ - ٥٨٤ هـ / ١١٦٩ - ١١٨٨ م مصدرا ثانويا لا يخلو من الخطأ عن تفاصيل الحقيقة والتاريخ ، فإنه يبدو أن ذلك القول قد جانبه الصواب<sup>(٤)</sup>

(١) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ص ١٠٢

الحروب الصليبية ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) ابن شداد ، النوادر والسلطانية ، مقدمة الشيال .

(٣) ابن شداد ، النوادر والسلطانية ، ص ٧١ ، ويرحسان سعادوى ، المؤرخون

المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٨ .

(٤) أنظر الباز الميرنى ، مؤرخا الحروب الصليبية ، ص ٢٠٤ .

بدليل أن ابن شداد لم يكتف بمجرد السماح فيما أورد من معلومات عن تلك الفترة بل قام بتحقيق ما سمعه ودونه عن تلك الفترة<sup>(١)</sup> فضلا عن رجوع ابن شداد إلى صلاح الدين نفسه عند تدوينه لأحداث تلك الفترة التي لم يتمكن من مشاهدتها و بدليل قول ابن شداد عند حديثه عن حملات أسد الدين شيركوه على مصر<sup>(٢)</sup> " ولقد قال لي السلطان قدس الله روحه كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة "

أما الفترة الأخيرة من حياة صلاح الدين ، التي كان ابن شداد فيها قد اتصل بخدمة ، فإن أدلة كثيرة تدل على أن ما كتبه ابن شداد كان تمييزا عن مشاهداته الشخصية للأحداث وذلك بحكم مشاركته صلاح الدين أحداث تلك الفترة<sup>(٣)</sup> . وعليه يمكن القول بأن كتاب ابن شداد ( النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ) يعد مصدرا أصليا أمدنا بمعلومات قيمة عما بذله صلاح الدين من جهود عظيمة مكنته من استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين . وأنه في القسم الأخير من كتابه هذا الذي يشمل أحداث سنة ٥٨٤ هـ وما بعدها قد أعطى تلك الجهود تفصيلا واسما وذلك بحكم مشاهداته لأحداث تلك الفترة ، وبخاصة حديثه عن مجيء الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام وفشلها في استرداد بيت المقدس من المسلمين .

أما عن المجموعة الثانية لصناديق الرسالة فهي مؤلفات لمؤرخين عاشوا بعد عصر صلاح الدين غير أنهم نقلوا عن مؤرخين معاصرين . ويأتى في مقدمة هؤلاء :

- ( ١ ) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٨ ؛ نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٨ .
- ( ٢ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٩ .
- ( ٣ ) أنظر على سبيل المثال ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ٢٣٥ .



كتابات المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى  
 الدمشقي ، المعروف بأبي شامة الذى ولد سنة ٥٩٩ هـ ، ونفى العلم حتى  
 صار من كبار رجال الفقه والحديث واللغة والتاريخ وتوفى مقتولا فى منزله  
 (١)  
 سنة ٥٦٥ هـ / ١٢٦٨ م .

الف أبو شامة الى جانب كتب الدين واللغة ، كتب فى التاريخ يهمنها  
 منها ، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، وقصد به دولة نور الدين وصلاح  
 الدين . ويمتاز هذا الكتاب بشهرة عظيمة وذلك لاعتماده على مصادر ضائعة  
 لمؤرخين معاصرين لصلاح الدين ، مثل كتاب الحماد الأصفهاني البرق الشامي  
 وكتاب ابن أبي طى السيرة الصلاحية ، فضلا عن اعتماده على وثائق كثيرة أتت بها  
 فى مواضعها لتوثيق تاريخه .

وكتاب ( أبو شامة ) هذا لا يقل أهمية عن المصادر المعاصرة لصلاح  
 الدين ، فقد أمد موضوع البحث بمعلومات قيمة ، وذلك لأنه اعتمد فى تدوين  
 معلوماته على المصادر الأساسية لمصر صلاح الدين ، إذ استقصى أبو شامة آراء  
 المؤرخين أمثال الحماد وابن شداد ، وابن الأثير والقاضى الفاضل وابن أبي طى  
 وغيرهم ، ليجمع القارئ أمام الحقيقة الواضحة .

ويلى ذلك كتاب مرآة الزمان لسيط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م ،  
 وهو أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغل بن عبد الله التركى المولى البغدادي ،  
 وجده لأمه الحافظ ابن الجوزى تلقى سيط ابن الجوزى العلم فى بغداد والبصرة دمشق  
 (١) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ١٦٧ ، شاكر مصطفى ، التاريخ المرسى  
 والمؤرخون ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

وزار مصر ، ففتح في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ . ويهمننا من مؤلفاته —  
التاريخية كتابه مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان ، وهو تاريخ عام رتبته على  
أساس حولى وقد تناول بالحديث في الجزء الثامن منه ، ما بذله صلاح الدين  
من جهود مكنته من استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين .

والواقع أن هذا الكتاب يعد من المصادر الهامة التي تناولت البحث  
عن صلاح الدين واسترداد بيت المقدس ، وذلك لاعتماده على مصادر ماصرة  
لمصر صلاح الدين كابن شداد ، وكذلك جده ابن الجوزى صاحب المنتظم ،  
وابن الأثير وغيرهم .<sup>(٢)</sup> ويؤخذ على سبط ابن الجوزى أنه — على ما يبدو — قد تأثر  
بابن الأثير في تحامله على صلاح الدين بدلاً من أن يذكره سبط عند حديثه  
عن حصار صلاح الدين لمدينة صور .<sup>(٣)</sup>

ويهمننا أيضاً كتاب مضاف الحقائق وسر الخلائق لمؤرخ من البيت الأيوبي  
اسمه أبو المعالي محمد بن عبد الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن  
أيوب المصروف بابن شاهنشاه الأيوبي المتوفى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م . ويقع —  
كتابته هذا في عشرة مجلدات ، فقد معظمها ، ولم يبق منه سوى جزء قليل ويعد  
هذا القسم من المصادر الهامة التي أمدتنا بمعلومات طيبة عن جهاد صلاح الدين

- 
- (١) طبع هذا الجزء من كتاب مرآة الزمان في مطبعة حيدرآباد بالهند ، أما  
بقية الكتاب فلا يزال مخطوطاً ، وتوجد أجزاء منه في مكتبة أحمد الثالث  
بإستانبول تحت رقم (٢٩٠٧) .  
(٢) أنظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠١ ، ج ٩ ، ص ٢٧١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٢ .  
(٣) أنظر ما يلي ، ص .  
(٤) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ١٢٤ ، شاكر مصطفى التاريخ  
المصري والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

لصفية المدوان الصليبي من بلاد الشام • ويعتبر كتاب مفرج الكروب في أخبار  
بنى أيوب لابن واصل للقاضي جمال الدين محمد المتوفى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م  
من أهم المصادر التي تناولت بالبحث عصر صلاح الدين • فقد أمدنا هذا  
الكتاب بمعلومات قيمة عن جهود صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من أيدي  
الصليبيين ، وخاصة الجزء الثاني منه الذي تناول فيه ابن واصل بالتفصيل وفي  
أسلوب متع خطط صلاح الدين السياسية والعسكرية القائمة على أحياء فكرة  
الجهاد الاسلامي ، تلك الفكرة التي تمكن بفضلها من تطهير بيت المقدس من  
براشن الصليبيين • واعتد ابن واصل في تدوين معلوماته في هذا الكتاب على  
النقل عن مؤرخين مفاشرين لصلاح الدين أمثال ابن شداد ، وابن الأثير  
والمعاد الأصفهاني وغيرهم <sup>(١)</sup> • كما نقل ابن واصل عن أمير يدعى حسام الدين علي  
وهذا الأخير كان يستقى معلوماته عن جده الذي كان في خدمة صلاح الدين <sup>(٢)</sup> •

ومن المصادر الهامة لموضوع الرسالة كتاب ( نهاية الأرب في فنون الأدب )

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م •  
وقد أمد الجزء السادس والمصنفون من نهاية الأرب موضوع الرسالة بمعلومات  
تاريخية قيمة • وكتاب ( الدر المطلب في أخبار بني أيوب ) لابن أيك الدواداري <sup>(٣)</sup>  
المتوفى سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٢م • وتناول ابن أيك في هذا الكتاب جهود  
صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس • كما تعتبر مؤلفات المؤرخ الكبير أحمد بن  
علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م من أهم المصادر التي تناولت

(١) أنظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧٨ •

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٤٨ •

(٣) مخطوط مصور بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٤٩ ، مضاف عامة •

موضوع البحث ، وخاصة كتاب ( اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء )  
 وكتاب ( اعانة الأمة بكشف الغمة ) ، وكتاب ( السلوك لمصرنة دول الملوك ) ،  
 وكتاب ( الخطط ) التى أفادت موضوع البحث عن جهود صلاح الدين لاسترداد  
 بيت المقدس بمعلومات تاريخية قيمة • ولا يقل أهمية عن ذلك كتاب المماد  
 الحنبلى ، الذى أسماه ( شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب )<sup>(١)</sup> الذى أفاد البحث  
 بمعلومات فى غاية الأهمية ، وكتاب ( الروض المهبوب فى دولة أيوب )<sup>(٢)</sup>  
 لابن سميد الذى أمدنا بمعلومات طيبة عن موضوع الرسالة • وكتاب ( تاريخ ابن  
 أبى الهيجاء )<sup>(٣)</sup> لابن أبى الهيجاء نفسه ، وهو عبارة عن تاريخ عام أمد البحث  
 بمعلومات طيبة •

أما بالنسبة لفصول الرسالة ، فقد تناول الفصل الأول وعنوانه ( صلاح  
 الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية ) ضعف النفوذ الفاطمى فى مصر بسبب المشاكل  
 الداخلية وانتشار الأوبئة والمجاعات ، ومن ثم استغلال ذلك الضعف الذى  
 حل بالدولة الفاطمية من جانب نور الدين محمود الذى أخذ يواصل جهوده  
 والده عماد الدين زنكى لإقامة جبهة إسلامية موحدة • وأوضحت الدراسة كيف  
 تمكنت جيوشه التى دخلت مصر تحت قيادته أسد الدين شيركوه من فرض السيادة  
 على مصر وتولى أسد الدين شيركوه الوزارة المصرية ، وما أعقب وفاة أسد الدين  
 من تولى صلاح الدين الوزارة المصرية والتمكين لنفسه هناك ، واختتام الفتن التى  
 ظهرت ضده • كما أوضحت الدراسة ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود من

( ١ ) مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٤٠٣١ •

( ٢ ) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٧١٢ تاريخ •

( ٣ ) مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات المصرية بالقاهرة تحت رقم

اختلاف في البيت الزنكي ومن ثم تفكير صلاح الدين في القضاء على تلك الخلافات التي نشأت بين الأمراء بسبب تنافسهم على الفوز بالوصاية على الملك الصغير الصالح إسماعيل . فخرج صلاح الدين من مصر إلى الشام ، وتمكن من إنهاء تلك الخلافات بالسيطرة على المدن الشامية الهامة ، كما فرض سيطرته على مدن إقليم الجزيرة والموصل محققا بذلك اتمام مشروع الجبهة الإسلامية الذي ضم مصر وبلاد الشام ومعظم أراضي العراق ، فضلا عن الحجاز واليمن .

أما الفصل الثاني وعنوانه ( جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية ) فقد تناول بالشرح كيف تمكن صلاح الدين من احيا فكرة الجهاد الاسلامي نفوس المسلمين ، ومن ثم تفكيره في تكوين جيش كبير منظم ، قام على أساس اقناعي كفا لصلاح الدين توفير كافا لاحتياجات له ولجيشه من مؤن وعتاد وأسلحة ، فضلا عن كون هذا النظام الاقناعي قد كفى صلاح الدين دفع رواتب لجيشه . كما تناول هذا الفصل بالدراسة ديوان الجيش الصلاحي الذي كان بمثابة الجهاز التنظيمي لنظام الاقناع الحربي ، وكذلك عناصر الجيش الصلاحي الذي كان يتكون من الجيش السلطاني ، وجند الأمراء ، وفرق الجند المتطوعة . كما عالج هذا الفصل أساليب القتال التي اتهمها صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين ، وكذلك أنواع الأسلحة التي استخدمت في ذلك . وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل دور صلاح الدين في إعادة بناء الأسطول الاسلامي منذ بداية حكمه ، وما أسهم به الأسطول من مجهود وافر في تحقيق النصر على الصليبيين باسترجاع بيت المقدس منهم .

وناقش الفصل الثالث وموضوعه ( معركة حطين مقدمة لاسترداد بيت المقدس ) ما سبق معركة حطين نفسها من مقدمات تمثلت في انتصاره في معركة

من الميون سنة ٥٧٥ هـ ، وأظارته على مدن الساحل الشامي لمحاولة عزل  
 مملكة بيت المقدس عن الغرب الأوربي . كما تناول الفصل فشا ، غرة أوطاط صاحب  
 الكرك على ساحل البحر الأحمر ، واستعدادات صلاح الدين المسكر لمعركة  
 حطين ، تلك الاستعدادات التي شملت ضمان وصول الامدادات الى أراضى  
 المعركة ، فضلا عن ادخال الخلل والفرقة بين صفوف الصليبيين لاضعافهم .  
 وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل تلك التنظيمات العسكرية التي اتبعتها  
 صلاح الدين عند اشتباكه مع الصليبيين في صفورية وحطين ، والتي أدت الى  
 تحقيقه لذلك الانتصار الحاسم على الصليبيين مما ترتب عليه من نتائج عظيمة .  
 كان أهمها تلك الخسائر المادية والمعنوية التي منى بها الصليبيون .

وتناول الفصل الرابع وعنوانه ( حصار واسترداد بيت المقدس ) أحوال  
 مملكة بيت المقدس عقب معركة حطين ، التي باتت مفتقرة الى القادة والقادة والفرسان  
 فضلا عن عزلها عن الغرب الأوربي والامارات الصليبية ببلاد الشام بسبب سيطرة  
 صلاح الدين على مدن الساحل الشامي عقب انتصاره في حطين مباشرة . كما  
 ناقش هذا الفصل ما قام به القادة الصليبيون من استعدادات عسكرية داخل  
 بيت المقدس لمواجهة الهجوم الاسلامي ، وكذلك خطة صلاح الدين العسكرية  
 لفتح بيت المقدس التي شملت جمع الحشود العسكرية ، وأدوات الحصار ، وكذلك  
 اختيار المكان والزمان الملائم للهجوم على بيت المقدس ، وكيفية اسفلام بيت  
 المقدس بعد أن شمر الصليبيون بعدم مقدورتهم على مقاومة الهجوم الاسلامي .  
 كما أوضحت الدراسة في هذا الفصل ما أبداه صلاح الدين عند دخوله بيت  
 المقدس من تسامح منقطع النظير في معاملته لأسرى الصليبيين واحترامه لمشاعرهم .  
 وأنه لتسامحه وشهامته لم يتأثر بها عمله الصليبيون بالمسلمين عند دخولهم بيت

المقدس • وأوضحت الدراسة أيضا مدى استرجاع بيت المقدس في العالم الاسلامي حين أرسل صلاح الدين الهشائر باسترجاعه الى كافة ديار الاسلام حيث عبر ملوكه وأمراؤه عن مشاعرهم بإرسال الوفود والرسائل التهنئة لصلاح الدين بذلك الفتح العظيم • كما تناولت الدراسة ما قام به صلاح الدين بعد دخول بيت المقدس من ازالة ما أستحدثه الصليبيون فيه ، وكذلك ما قام به من تطهيره المسجد الأقصى من شعارات صليبية • وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل أهمية استرجاع بيت المقدس بالنسبة لصلاح الدين نفسه ومكانته بسين أباطال المسلمين ، فضلا عن أهمية ذلك بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي عامة وشد الصليبيين خاصة •

أما الفصل الخامس والأخير فقد ناقش موضوع ( فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس ) حيث تناول بشيء من التفصيل آثار وأصداء استرجاع صلاح الدين لبيت المقدس في الحرب الأوربي وما ترتب على ذلك من جهود صليبية أدت الى دفع القادة الأوربيين الى تسيير حملة صليبية الى بلاد الشام لمساعدة قلوب الصليبيين التي تجمعت داخل مدينة صور محفولة لاستعادة بيت المقدس من المسلمين • فناقش هذا الفصل طرق سير هذه الحملة وقادتها ، وما حل بجيوش هذه الحملة من كوارث ومناقب أثناء سيرها الى بلاد الشام ، وكذلك ما حل بها من خسائر من جراء صراعها المريع مع الجيوش الاسلامية ، ومن ثم كيفية تمكنها من دخول عكا • كما عالج هذا الفصل عجز الصليبيين عن فرض سيادتهم على المدن الساحلية الواقعة جنوب عكا وكذلك أحداث معركة ارسوف وما ترتب عليها من فشل ريتشارد قلب الاسد في استرجاع بيت المقدس • وأخيرا أوضحت الدراسة انتصار المسلمين بأفشار مهمة الحملة الصليبية الثالثة التي

انتهت بمقد صلح الرملة ، الذى يعد فى حد ذاته نصرا للمسلمين لما ترتب عليه من عودة تلك الجيوش الصليبية الى بلادها خائبة خاسرة .

ومن الواجب فى هذا المقام أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى واعتزازى بالجميل الى أستاذى الفاضل المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / حسين محمد ربيع الذى لم ييخل على طيلة مدة البحث بخزير علمه ، ووافر توجيهاته وارشاداته العلمية السديدة . جزاء الله عنى وعن طلابه وطالباته خير الجزاء . كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى الى المسئولين فى مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ومكتبة الحرم المكى الشريف ، ومكتبة جامعة الملك عبدالمعز بجدة ، ودار الكتب المصرية ومكتبة جامعة القاهرة ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، والمكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبات أحمد الثالث والسليمانية ونور عثمانية وفاتح وكوبرلى باستانبول لما قدموه من مساعدات قيمة .

والله أسأله المون والسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا

—————يرا .



# الفصل الأول

## صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية

- قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م
- دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م
- نزاع صلاح الدين مع الزنكيين : معركة قردح عمار ، معركة تل السلطان .
- استيلاء صلاح الدين على مدن إقليمي الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م
- استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م
- الموصل تدوينه بالولاء لصلاح الدين سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م

## الفصل الأول

### صلاح الدين وتوحيد الجبهة الاسلامية

قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ :

تأسست الخلافة الفاطمية الشيعية سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، حينما أخذت البيعة لمبيد الله المهدي في مدينة سجلماسة بأفريقية . ثم انتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، حيث أسست مدينة القاهرة لتكون عاصمة لهذه الخلافة التي وقفت موقف المعارض والمناوئ من الخلافة المباسمية السنية في بغداد . على أن الضعف ما لبث أن دب في جسم الخلافة الفاطمية منذ أواخر عهد الخليفة المستنصر ( ٤٢٧ - ٤٧٨ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م ) لأسباب كثيرة منها داخلي وبعضها خارجي إذ أخذ نفوذ الوزراء في الازدياد منذ أواخر عهده ، وبدأ ذلك باستئثار الوزير بدر الجبالي بالسلطة دون الخليفة ، وتغالي ابنه الأفضل في اغتصاب حقوقه إذا قدم بمعد وفاة الخليفة المستنصر على ابعاد ابنه نزار ولي عهده ، وأكبر أبنائه عن الحرس ، وأقام مكانه أخاه الصغير أبا القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي بالله ليتمكن من التصرف في شئون الدولة . وقد أدى اقضاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها الى اضطراب الأمور في بعض البلاد المصرية ، وخاصة الاسكندرية التي خرج أهلها عن طاعة المستعلي وأعلنوا ولائهم لنزار الذي قدم اليهم مع أحد اخوته ، فهايموه بالخلافة .

(١) البقيرزي ، اتماظ الحنفاء ، ج ٣ ، ص ١٢ - ١٣ ، أنظر جمال الدين سور ، الدولة الفاطمية ص ١٦٣ .

ولقبوه بالمصطفى لدين الله - الأمر الذى أثار الأفضل بن بدر الجمالى ، فصار  
الى الاسكندرية على رأس حملة كبيرة . وهناك دارت معركة بينه وبين والى الاسكندرية  
ناصر الدولة أفتكين . الذى وعده نزار بالوزارة ان ظفر هو بالخلافة . واسطاع  
والى الاسكندرية هزيمة الأفضل وارجاعه الى القاهرة ، الا أن الأفضل لم ييأس  
من ذلك فأعد حملة جديدة فى أوائل سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وسار الى الاسكندرية  
للمرة الثانية ، وفرض عليها حصارا قويا ، اضطر على اثره كل من أفتكين ونزار  
الى طلب العالمان ، فأمنهما الأفضل ثم أمر بانفاذهما الى القاهرة حيث نكل بهما .<sup>(١)</sup>

وبالقضاء على تلك المحاولة التى قام بها نزار لاسترداد الخلافة لنفسه ،  
تمكن الأفضل بن بدر الجمالى من القبض على شئون الحكم فى البلاد ، واستبد  
بالأمور دون المستمل ، وبذلك دخلت مصر عهد نفوذ الوزراء . وأصبح الوزير  
يتمتع بالسلطة الكاملة فى مصر ، فهو صاحب الحل والمقد ، واليه الحكم فى جميع  
الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية ، وهو الذى يتولى توزيع المناصب  
الديوانية والدينية .<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لذلك ، أصبح منصب الوزارة فى مصر مجالاً المتنافسين كبار  
الرجال - الذين أخذوا يتماحبون عليه بصورة غير معقولة . ففى سنة  
٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م تولى الخلافة الفاطمية الخليفة الخارج بأداء الله ، بمعد  
وفاة والده الحافظ ، وقالك بمعد منه . حدث هذا فى وقت كانت هذه الدولة<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) المقرئى ، اتعاظ الحنفاء ، ج ٣ ، ص ١٤ ، جمال الدين سرور ، الدولة  
الفاطمية ، ص ١١٤ .  
(٢) المقرئى ، الخطوط ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ ، ابن خلدون ، المبرج ، ج ٤ ، ص  
٧٤ ، ابن ظافر الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٢ .

تسير من سىء الى أسوأ ، بسبب استبداد الوزراء ، بإدارة دفة الخلافة ، وتنافسهم  
فى ذلك . ففى خلافة الظاهر ، التى لم تدم أكثر من أربع سنوات وسبعة أشهر  
تعاقب على منصب الوزارة ثلاثة وزراء كان أولهم نجم الدين بن محال الملقب  
بالأفضل الذى لم تدم وزارته أكثر من خمسين يوما ، ان خرج عليهم السى (١)  
الاسكندر بن السالار ومعه ابن لزوجته يدعى عباس بن أبى الفتوح الصنهاجى . (٢)  
ولم يستطع ابن محال مقاومتهما ، بل هرب الى بلدة بصعيد مصر يقال لها  
دلاى وذلك فى شعبان من سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . ولم يكشف ابن السالار  
بهذا ، بل بحث عباسا المذكور ، يتعقبه حتى أدركه بهذه البلدة وقتله . (٣)  
ودخل ابن السالار بعد ذلك القاهرة ، وتولى وزارة الظاهر ، فلقبه الخليفة  
بالمادل أمير الجيوش ، فقام بأمر الدولة ، واستبد بها . الأمر الذى أشار (٤)  
حقه الخليفة عليه ، وحفزه الى تدبير مؤامرة أدت الى الاطاحة به ، وذلك  
بمساعدة عباس الصنهاجى ربيب ابن السالار الذى أخذ بدوره يتحين الفرس  
للفتنك به كى يتولى أمر الوزارة من بعده . وهنا يدولنا مدى ما وصلت اليه (٥)

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٤٢ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٦ - ٤١٧ ، ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، أما ابن خلدون فيذكر فى المبرج ج ٤ ص ٧٤ ، انها استمرت أربعين يوما فقط ، وابن محال هذا هو من أهل ( لك ) بضم اللام ، وتشديد الكاف وهى بلدة عند برقة ( ابن خلكان ، المضمر نفسه ) .  
(٢) هو ابو الفضل عباس بن أبى الفتوح بن يحيى بن تميم بن باديس الصنهاجى ، قدم من أفريقيا الى الديار المصرية ، ومعه والدته ( بلأره ) فتزوجها ابن السالار ( أنظر ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٧ ) .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٤٢ ، ابن خلدون ، المبرج ج ٤ ص ٧٤ ، ابن ظافر الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٧ .  
(٤) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٦ .  
(٥) ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢٠ .

الخلافة الفاطمية من ضعف بلغ بها حد تدخل الخلفاء أنفسهم في مساعدة الرجال الطامعين في منصب الوزارة مهما كلف ذلك من غدر وخيانة وتدبير مؤامرات ، وكان لسان حالهم يقول « الخلافة في مصر لمن غلب » .<sup>(١)</sup>

لم يكن عباس الصنهاجى عند توليه الوزارة أحسن حالا من سابقه ، إذ استبد بالأمور وسيرها على هواه ، فسقطت عقولان في أيدي الصليبيين ، واقتطع نور الدين محمود الذي كانت حلب قاعدة حكمه في ذلك الوقت دمشق من مجير الدين أبيق .<sup>(٢)</sup> الأمر الذي جعل الخليفة الظافر يتذمر منه ، فلجأ إلى الأسلوب المعتاد ، وهو تدبير المؤامرات . وبعد هذه المرة إلى الاستمالة بابن عباس نفسه ، وودعه توليته الوزارة ، إلا أن عباسا أطلع على المؤامرة وأدرك أنه لا سبيل إلى بقاءه إلا بالقضاء على الخليفة الظافر ، ففتك به في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م .<sup>(٣)</sup> ودخل عباس القصر متظاهرا بالسلام على الخليفة ، فلما لم يجد أنه أنب من في القصر على ذلك ، وأحضر أخوين للخليفة هما يوسف ، وجبرئيل ، وأتهمهما بقتل أخيهما ، فقتلا في الحال . ثم أحضر عباس ابنا صغيرا للظافر اسمه عيسى لم يكن وقتذاك قد تجاوز خمس السنين وأجلسه على كرسی الخلافة خلفا لوالده المقتول مسندا إليه لقب الفائز بنصر الله .<sup>(٤)</sup>

(١) أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٥٠ ج ٣ ص ٢٧ ، وأنظر أيضا الجنبلى شفا التلويح ، ورقة ٥ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ٥١١ ج ١١ ص ١٤٢ .

(٣) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ١٩ - ٢٠ ، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٥٣ ج ٣ ص ٢٨ .

(٤) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ٢١ ، ابن الاثير ، الكامل ٥١١ ج ١١ ص ١٩٢ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ٥١١ ج ١١ ص ١٩٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ ص ٢٣١ .

وإذا كان الوزير عباس قد حقق آماله ، باقامة خليفة عاجز ، ليقى بذلك  
وزيرا ، فان فعلته تلك ، التي أدت قلوب أهل القصر ، لم تصب عن أذهانهم ،  
بل سارعوا الى التفكير في الانتقام منه ، ولجأوا الى الاستجداد بأبى الفوارات  
طلائع بن رزيق والى منية بنى خصيب فى صحيد مصر ، فسارع ابن رزيق السى  
نجدتهم \* أما عباس فقد وجد أن الامراء فى القاهرة غاضبون عليه ، وابن رزيق  
قادم ، وأنه لا قبل له بذلك ، فأخذ يتأهب للنجاة بنفسه ، فهرب ومعه ابنه  
نصر ، وأسامة ابن منقذ متجها الى بلاد الشام ، قاصدا الاستجداد بالملك  
الحادل نور الدين محمود \* لكنه لما ان اقترب من عسقلان حتى لقيه خيال  
الصليبيين ، ودارت بينهما معركة حامية ، وقتل الصليبيون عباسا وأسروا ابنه ،  
فأرسل الصالح بن رزيق وأهل القصر الهدايا ليهبون تسليم ابن عباس لهم .  
(٣)

ومهما يكن من أمر ، فانه بمجرد خروج المباس وابنه من القاهرة ،  
سارع ابن رزيق الى دخولها ، فخلع عليه الخليفة الفائز الفاطمى خلع الوزارة ،  
ولقبه بالملك الصالح \* وكعادة من سبقه لم يكذب يأنس بكرسى الوزارة ، حتى  
اتبع أسلوب الاستجداد وحب البقاء ، فعمل على تصفية كل من يشك فى اخلاصه  
(٤)

- 
- (١) اسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ٢٤ ، وابن القلائى ، ذيل تاريخ دمشق ،  
ص ٣٣٠ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ .  
(٢) اسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ٢٣ ، وابن القلائى ، ذيل تاريخ دمشق ،  
ص ٣٣٠ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٢ ، أبو الفداء المختصر  
فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٨ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، أبو الفداء المختصر فى أخبار البشر ،  
ج ٣ ، ص ٢٨ .  
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، وابن خلكان ، وفيات الاعيان ،  
ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

له ، فقبض على أصحاب البيوت الكبار وأعيان الدولة المصرية ، فقتل بعضهم ،

(١)

وأبعد البقية الآخر عن مصر .

والواقع أن أسلوب الاستبداد لم يبق بالصالح بن رزيق عند هذا الحد

بل تعدى ذلك إلى التدخل في شؤون الخليفة نفسه ، فعند وفاة الخليفة  
الفاتر سنة ٥٥٥ هـ / ١١٥٩ م أحضر أهل القصر شخصاً راشداً صالحاً للخلافة ،

فتدخل خواصه ونصحوه بإبعاده ، فاستجاب لنصيحهم ، وطلب إحضار الماضد

لدين الله الذي وصفه ابن الأثير بأن كان مرابطاً ، قارب البلوغ ، وبإيمانه  
بالخلافة . (٢)

ولكى يحكم قبضته على الخليفة الماضد ، أقدم ابن رزيق على تزويجه  
من ابنته ، فأصبح يذبح وزيره وصهره . (٣)

وبما قصد بذلك أن تنجب ابنته ابناً من الخليفة الماضد يكون بعده خليفة ،  
(٤)

فاجتمع لبني رزيق الخلافة مع الملك .

لم ترق سياسة الصالح هذه لأهل القصر ، وعلى رأسهم الخليفة الماضد

(٥)

نفسه ، الأمر الذي دعاهم إلى التفكير في التخلص منه وقتله . وكان قد أوصى

قبل وفاته بالوزارة لابنته رزيق . فلما توفي ولي مقاليد الوزارة ، وخلع عليه الخليفة

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢ ، ورقة ١١٢ ، ابن الأثير ،

الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون المبر ، ج ٤ ، ص ٢٦ ،

على بيومي ، قيام الدولة الأيوبية ، ص ٩٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٥ ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار

البشر ، ج ٣ ، ص ٣٢ .

(٤) جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٢٦ .

(٥) ابن طاهر الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١١٢ ، ابن أبيك

الدوادري ، الدر المطلوب ، ص ١٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،

ص ٢٧٤ .

الماض ، ولقبه بالمادل وذلك في سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م . ولم تدم وزارته

طويلا ، بل ثار عليه شاور السعدي ، الذي كان واليا على الصعيد ، عند ما  
عندما حاول المادل زبكه عزله عن ولاية الصعيد ، متناسيا وصية والده بعدم

التعرض له ، خوفا من خروجه عن طاعته . وجاهر شاور بالمصيان ، وسار على  
رأس جيشه في اتجاه القاهرة ، وما أن وصل الى مشارفها حتى شمر ابن زبكه

بالنشل امامه ، فهرب بنفسه ، ودخل شاور القاهرة ، وحضر بين يدي الخليفة  
الماض ، الذي خلع عليه الوزارة ، ولقبه بأمر الجيوش ، وذلك في سنة  
(٤) ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م . ثم أمر بتمقب المادل زبكه ، فنجى به اليه وقتله .

لم يكن شاور هذا أحسن حالا من سابقه ، فمجرد توليه الوزارة سار

على سورتهم السيئة ، فاعتدى على دار الوزارة ، وهجم على دور المادل زبكه  
فنهبها ، كما عمل على مراقبة كبار المسكر ، واضطهدهم خوفا من منافسته .

الأمر الذي جعلهم يتفقون على التأمر عليه ، وإبعاده عن الوزارة ، وكان ممن  
جملتهم أبو الأشبال ضرغام الذي استطاع أن يضم حوله عددا كبيرا من الجنود

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩١ ب ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) هو أبو شجاع شاورين مجير الدين بن نزار من عشائر بني شاش ، قيل انه  
عرف بشاور السعدي نسبة الى حليلة السعدية ( أنظر ابن خلكان ، وفیات ،

الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، العمري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ص ١٢٧ ) .  
(٣) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٢ ، العمري ، مسالك الابصار ،  
ج ٧ ، ص ١١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٠ ، ابن خلكان ،  
وفیات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٠ ، أما ابن واصل ، فيذكر في التاريخ  
الصالحى ، ورقة ١٩٢ ب أن شاور عندما قبض عليه سجنه وضيق عليه فقط .

(٥) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٩٠ ، ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٦٣ ، ابن الراسب ،  
على بيومى ، قيام الدولة الايوبية ، ص ٩٨ .

(٦) هو أبو الأشبال ضرغام بن عامر المنذرى كان مقدما على جماعة من الامراء ، =



وسار لمحاربة شاور ، فلقبه الأخير ، ودأرت بينهما معركة انتهت بهزيمة شاور  
 ودخل ضرغام بمدى ها القاهرة ، وتولى الوزارة فى رمضان من سنة ٥٥٨ هـ / ١٦٣٠ (١)  
 أما شاور فقد هرب بنفسه متجها الى بلاد الشام ، يطلب النجدة من نـور  
 الدين محمود بن زنكى . وهنا يبدو لنا أن نور الدين محمود ، الذى كان يعمل  
 آنذاك جاهدا فى بلاد الشام لتوحيد الجبهة الاسلامية للوقوف فى وجهه  
 الصليبيين ، أدرك مدى ما وصلت اليه الدولة الفاطمية فى مصر من تفكك وانحلال  
 فرأى فى استنجاد شاور به فرصة طيبة للتدخل فى شئون مصر ، وضمها الى  
 مشروع الوحدة الاسلامية ، لذلك سارع الى تلبية طلب شاور وعده بالمساعدة  
 (٢)  
 على ضرغام .

وهنا يظهر لنا جليا مدى ما وصلت اليها الخلافة من ضعف ، بسبب  
 استبداد الوزراء وتحاقبهم ، حيث ولى الوزارة فى هذه السنة ثلاثة وزراء ، هم  
 الحادل رزبك وشاور السمدى ثم ابو الاشبال ضرغام الذى نهج نهج سابقيه ،  
 فاستبد بالأمور ، وأخذ يوطد لنفسه فى الوزارة ، فعمل على التخلص من كثير  
 من الأمراء ، لتخلو له البلاد من أى منازع . (٣)  
 الا أن لجوء شاور الى مصكر نور الدين  
 محمود ، حرم ضرغما من الاستمرار فى ذلك المنصب ، ثم أن ذلك مكن نور الدين  
 من التدخل فى شئون مصر لتحقيق وحدة اسلامية بين الشام ومصر ، ووضع  
 الصليبيين بين شقى الرحى — كما سنرى فيما بعد .

- = يدعون ( البرقية ) وهم أمراء أنشأهم الصالح رزبك فى وزارته ( أنظر المقرئى  
 الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢ ، وابن خلدون المبر ، ج ٤ ، ص ٧٧ ، اليافعى ،  
 مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ) .  
 (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، وابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٢  
 ص ٤٤٤ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٨ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١١٦ ، وابن خلكان ، وفیات الاعيان ،  
 ج ٢ ، ص ٤٤٤ .

كان من أهم نتائج سياسة الاستبداد التي اتبناها الوزراء في الدولة الفاطمية ، إضافة الى عدم وفاء النيل في بعض السنوات ، أن حلت بمصر أزمتان اقتصاديتان أدتا الى إثارة الفوضى والشغب داخل البلاد كما حدث في عهد الخليفة المستنصر في سنة ٤٥٧ هـ / ١١٦٢ م . فقد استمر انخفاض ماء النيل سبع سنين حتى تزايد الفناء ، وأعقبه وباء أدى الى ترك الأراضي بدون زراعته . واضطر الخليفة المستنصر الى بيع ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره .<sup>(١)</sup> يضاف الى ذلك أن الوزراء أثقلوا كاهل الناس بالضرائب والمكوس التي<sup>(٢)</sup> استمرت تفرض عليهم .

وفي عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ( ٤٩٥ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م )<sup>(٣)</sup> وقع في مصر غلاء شديد بلغ القمح فيه كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينارا . كما حدث غلاء آخر في عهد الخليفة الحافظ لدین الله ( ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م ) بسبب القحط واحتكار بعض الناس للغلات ، حتى نقصت الأقوات ، واستاء الناس ، ولولا مبادرة الوزير الأفضل الذي تدارك الأمر به بتتبع أسباب تلك الأزمة ، فأنزل العقوبة بجماعة من المحتكرين وفرض عليهم رقابة شديدة ، حتى عادت الأمور الى حالتها الطبيعية .<sup>(٤)</sup>

ومهما يكن من شيء ، فإن هذه الازمات كانت لا تكاد تنفك حتى تمر مرة

- 
- (١) المقريزي ، غلاة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
  - (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ، السيوطي ، حسن الحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٧ .
  - (٣) المقريزي ، غلاة الأمة ، ص ٢٦ - ٢٧ .
  - (٤) المقريزي ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

أخرى ، ففى عهد الخليفة الفائز ( ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م )  
 حلت أزمة اقتصادية أخرى ارتفعت على أثرها الاسعار ، وقلت السلع الضرورية ففى  
 الاسواق ، حتى تضرر الناس من ذلك ، واضطر الخليفة الى اصدار أوامره الى  
 كل من عنده فائض عن حاجته باعطاء المحتاج حتى تنزول الازمة <sup>(١)</sup> . كما يذكر  
 المقرئى أيضا أن غلاء ومجاعة نزلا بمصر فى أيام الخليفة الفائز حيث قلت  
 الأقوات ، وارتفعت الاسعار ، وحل بالناس كرب شديد ، اضطر معه الخليفة  
 الفائز الى اخراج ما كان بالأهراء <sup>(٢)</sup> من غلات وتوزيعه على الفقراء والمحتاجين .  
 كما أسهم جماعة من الأهراء وأهل البيوت الكبار فى ذلك <sup>(٣)</sup> . ومما لا شك فيه أن  
 هذه المجاعات وما صاحبها من فوضى واضطراب ، لم يقتصر تأثيرها على عامة  
 الناس فحسب ، بل أدت الى تزايد اطماع الصليبيين فى التدخل فى شئون  
 مصر ، والطمع فى الاستيلاء عليها <sup>(٤)</sup> .

وفى الوقت الذى كانت الخلافة الفاطمية فى مصر تسير من سيء الى أسوأ ،  
 بسبب تولى مقاليد الحكم فيها ، خلفاء ضعفاء الشخصية أسلموا أمورهم الى  
 وزراء عرفوا بسياسة لا استبداد وحب البقاء ، فى ذلك الوقت كان نور الدين محمود  
 يدرك ما لصر من أهمية فى مشروع الوحدة الاسلامية ، لمدة أسباب ، منها  
 ما وصلت اليه الحالة فى مصر من ضعف واضطراب ، حتى أصبحت الأمور

- 
- ( ١ ) ابن القلائسى ، ذيد تاريخ دمشق ، ص ٣٣٦ .  
 ( ٢ ) الأهراء هى الاماكن التى كانت تخزن بها الفلات الخاصة بالخليفة تحسبا  
 لمثل هذه الطوارئ الاقتصادية ، وكانت لا تفتح الا عند الضرورة .  
 ( أنظر المقرئى السلوك ج ١ ، ص ٥٨ ، حاشية ) .  
 ( ٣ ) المقرئى ، غلة الأمة ، ص ٢٧ - ٢٨ .  
 ( ٤ ) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٩ .

هناك تمييز بمجرد الايهام والمحال ، على حد تعبير ابن شداد <sup>(١)</sup> . هذا  
بالإضافة الى أن الصليبيين كانوا يدركون أن مصر هي مركز المقاومة الحقيقية  
في العالم الاسلامي ، وبذلك قد توضع اهتمامهم على اعتبار أنها الطريق  
الذي سيسهل لهم البقاء في بيت المقدس .

ولا يخفى أيضا أن هناك سببا قويا ربما حرك عند نور الدين الرغبة  
في غزو مصر لنضمها الى مشروع الوحدة الاسلامية ، ووضع الصليبيين بين شقي  
الرخي للقضاء عليهم ، ذلك هو العامل الذهبي ، فالخلافة الفاطمية في مصر  
كانت شيعية ، في حين أن الخلافة العباسية في بغداد تدّين بالذهب السني ،  
وهذا بلا شك كان هدرا من مصادم الفرق في العالم . لذلك كان من الطبيعي  
أن يحمل نور الدين محمود — وهو الحاكم السني — على ازالة هذه الفرق وإعادة  
مصر الى حظيرة الخلافة العباسية السنية ، لتكوين جبهة اسلامية تمتد من  
الفرات الى النيل <sup>(٢)</sup> . ويمكننا أن نلحق بذلك سببا رابعا ، هو أن مصر مشهورة  
بغیر راتها الوفيرة التي لا تنضب ، والتي لا غنى عنها أثناء الجهاد ضد  
العدوان الصليبي .

وعلى كل فان نور الدين — ما أن وصل اليه في دمشق شاور سـنة  
٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م مستجدا به على ضرام الخارج عليه ، ووعده بأن ينزل له  
عن تلك خراج مصر إضافة الى اقطاعات الجيش ، وأن يقيم أسد الدين شيركوه  
بجيشه في مصر ، ويتصرف بأمر نور الدين محمود . اذا ما عاونته في التغلب

---

(١) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٦ .  
(٢) أنظر سميد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ١٣ — ١٤ .

على ضرغام وانتزاع الوزارة منه حتى أحسن اليه وأكرمه ووعده النصرة وأعادته إلى الوزارة في مصر ، قاصداً من ذلك كشف أخبار مصر والتعرف على أحوالها (١) .

وهنا تذكر المصادر أن نور الدين تردد بادئ الأمر في إجابة شاور  
 « فيبقى يقدم لهذا الفرض رجلاً ويؤخر أخرى » على حد تعبير ابن الأثير ،  
 فتارة يعزم على مساعدته عطفًا عليه ورغبة في التوسع ، وأخرى يتخوف من الإقدام  
 على ذلك لسببين ، أحدهما تخوفه من خطر الطريق لوجود الصليبيين بينه  
 وبين مصر ، والثاني شكه في إخلاص شاور له . ولعل مما يؤيد السبب الأول  
 أن نور الدين خرج على رأس جيشه في ذلك الوقت لمنازلة الصليبيين ، حتى  
 يشغلهم عن التمرض ، لذلك الجيش الذاهب إلى مصر . (٢)

ومعظم يكن من أمر ، فإن أسد الدين شيركوه الذي ولاه نور الدين  
 قيادة ذلك الجيش ، دخل مصر سالماً ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، الذي  
 كان لا يفضل أمراً ولا يقرر حالاً إلا بمشورته ، وجمله « مقدم عسكري وصاحب  
 رايه » . (٣)

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ،  
 أنظر أيضاً حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص ١٠٤ .  
 (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٨ ، أنظر أيضاً أبو شامة ، الروضتين ،  
 ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ابن  
 واصل ، ص ٢٠١ ، ص ١٣٨ ، ابن المدني ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .  
 (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .  
 أنظر أيضاً ، حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص ١٠٥ .  
 (٤) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن موان ، لقب الملك المنصور أسد الدين  
 وهو عم صلاح الدين ( أنظر ترجمته في ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٢ ،  
 ص ٣١٧ ) .  
 (٥) أنظر أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ .

وسار شيركوه حتى وصل بلبيس ، وهناك لقيه ناصر الدين أخو ضرغام على رأس جيش كبير . ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه ، الذي سار بعدها الى القاهرة ، فدخلها في أواخر جمادى الآخرة من سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م فخرج ضرغام منها هاربا بنفسه ولكن رجال شاور لحقوا به وقتلوه . وتولى شاور الوزارة مرة ثانية في رجب من السنة نفسها . وكما توقع <sup>(١)</sup> نور الدين محمود ، فان شاور ما أن تمكن من الوزارة حتى تنكر لصهده ، وكتب الى أسد الدين يطلب الصلوة الى الشام ، فلم يجبه الى ذلك ، بل طالبه بما وعدهم به . ولكن شاور اتمادى في الرفض وألح على خروج أسد الدين ، الذي أرسل فرقته من جيشه استدلت على بلبيس . <sup>(٢)</sup>

وهنا يبدو أن شاور أدرك عجزه عن مقاومة شيركوه ، فبحث السلي الصليبيين يطلب منهم مساعدته ، ويخوفهم من امتلاك نور الدين لصر ، فسارعوا الى اجابته ، الأمر الذي أجبر نور الدين محمود على غزو ممتلكاتهم في الشام لكي يشغلهم عن مساعدة شاور ، الا أن ذلك لم يمنحهم لصلهم بأهمية مصر ، فتركوا في الشام من يقاوم نور الدين ، وساروا يتقدمهم عمـسـورى الأول (Amarlic I) ملك بيت المقدس الى مصر ، واتجهوا صوب بلبيس التي كان يتركز فيها شيركوه ، وحاصروه بها ثلاثة أشهر ، ولكنهم لم ينالوا منها شيئا رغم قلة الاستعدادات بها . وفي الوقت نفسه بلغهم انتصار نور الدين محمود <sup>(٣)</sup>

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢٩٩ ، ابو شامة ، الروضتين ج ١

ق ٢ ص ٣٣٣ ، حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ص ١٠٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢٩٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ابو شامة ، الروضتين ،

ج ١ ق ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ج ١ ص

١٣٩ - ٢٤٠ ، ابن الصديم ، زبكا الحلبي ج ٢ ص ٣١٧ ، الذهبي

الصبر في خبر من غير ، ج ٤ ص ٨٦٧ .

فى حارم واستيلائه عليها ، ثم تقدمه الى بانياس . وهنا أدركوا خطورة الأمر ، ورأوا ، أنه لابد من العودة الى الشام ، فراسلوا أسد الدين شيركوه فى الصلح ، وتسليم ما بيده لشارور . ويبدو لنا من هذا أن شيركوه لم يكن يعلم بما فعله نور الدين فى الشام من انتصارات ، هذا بالإضافة الى نفس الدخائر والأقوات عنده ، نتيجة لطول الحصار عليه ، فوافق شيركوه على الصلح ، وكان ذلك فى ذى الحجة من سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، وطاد الى الشام سالماً رغم ما تعرض له من الصليبيين فى طريق عودته . وتعرف شيركوه على أحوال مصر ، وانفـرس (١) فى نفسه الطامح فيها ، حتى كانت مجالسه بالشام لا تخلو من التحدث بالرجوع اليها . وظل يمنى نفسه بالعودة اليها « وكان عنده من الحرس على ذلك (٢) كثير » . (٣)

وأدرك نور الدين محمود أن ثروة مصر ، ربما يفيد منها الصليبيون حربياً وما ديا ، خاصة بعد أن بلغه أن شاورا قد كاتب الصليبيين ، طالباً منهم الدخول الى مصر لمساعدته ، وتمكينه فيها . فضلاً عن استياء الخليفة الفاطمى الماضد ، الذى بحث الى نور الدين يستجد به منه ، لاتباعه سياسة الظلم وسفك الدماء فى مصر . (٥)

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٣٣٦ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، وابن المديم ، نيك الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .
  - (٢) ابن سعيد الروض المهبوب ، ج ١ ، ورقة ٢٤ .
  - (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٤ .
  - (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٧ ، ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٤٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ .
  - (٥) سبط ابن الجوزى ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠٤ ، ابن تقيى بركى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

بالإضافة الى غدره بأسد الدين وعدم وفائه بمحمد لنور الدين محمود . كل ذلك كان كفيلا بتحريك هم نور الدين للدخول الى مصر ، حيث غادرت الحملة النورية الثانية دمشق فى ربيع الأول من سنة ٥٦٢ هـ / يناير ١١٦٧ م فى طريقها الى مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، الذى ذكر البعض أنه خرج الى مصر مكرها . ولكن الذى يهمنا هو أن صلاح الدين قد استفاد من اشتراكه فى تلك الحملات ، حيث وقف بنفسه على أحوال مصر وعرف أهلها ، فدخل مصر ، حتى وصل الى بلدة أطفح ثم عبر النيل ، ونزل بالجيزة وعسكر هناك .<sup>(٤)</sup>

أما شاور فانه لما بلغه مجئ أسد الدين شيركوه ، كتب الفرنج طالبا النجدة فأتوه فى جموع كثيرة ، يحدوهم الى ذلك أمران : الاول طمعهم فى مصر ، والثانى خوفهم من سيطرة نور الدين عليها . ثم سار يحد ذلك أسد الدين شيركوه بجيشه متجها الى الصعيد حتى وصل الى مكان يعرف باليابين وتمتعه جيوش مصر والصليبيين ، ولحقوا به هناك فى جمادى الآخرة من سنة ٥٦٢ هـ / مارس ١١٦٧ . واستشار أسد الدين أصحابه فى ملاقاتهم فتددوا بساىء

- (١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٦٣ فى ابوشامة ، الرضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٦٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ابن قاضي شبيه الكواكب الدرية ، ص ١٦٩ .
- (٢) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابوشامة ، الرضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٦٢ .
- (٣) أطفح ، بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل الشرقى ( أنظر ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٨ ) .
- (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، ابوشامة ، الرضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ .



الأمره لكهنهاده واجتمعت كلمته على القتال • ودارت بين الطرفين معركة  
حامية الوطيس انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه • وهزيمة أعدائه •  
(١)

سار أسد الدين بعد هذه المعركة متجها الى الاسكندرية • ومسا آن  
وصلها • حتى سارح أهلها بتسليمها له • بسبب ميلهم الى المذهب السني •  
فاستتاب بها ابن أخيه صلاح الدين وعاد هو الى الصعيد • ويبدو أن أسد  
الدين شيركوه ربما يكون قد خاف أن تصل لشاور والصليبيين بعد هزيمتهم  
في معركة البابين امدادات من البحر • لذلك سارح الى الاستيلاء على الاسكندرية  
لمنع ذلك • وهو ما حدث فعلا في الوقت الذي كانت قوات الصليبيين والفاطميين  
قد عادت الى القاهرة بعد واقعة البابين • ثم زحف الى الاسكندرية حيث  
قامت بحصارها برا • كان الاسطول الصليبي قد شرع في حصارها بحرا الأمر  
الذي أجبر أسد الدين شيركوه على ترك الصعيد والمودة الى الاسكندرية •  
وهنا يبدو أن هزيمة شاور وحلفائه في البابين • وتفرق عسكر اسد الدين بين  
الشمال والجنوب • جعل كلا منهما يوافق على الصلح عندما بحث الصليبيون  
والفاطميون اليه في طلبه • مقابل اعطاء خمسين ألف دينار • فأجاب طلبهم  
واشتراط ألا يقيم الصليبيون في البلاد المصرية • ثم عاد شيركوه وصلاح الدين الى  
الشام • عاد أسد الدين شيركوه من مصر الى الشام بعد أن عقد صلحا مع  
(٢)

- (١) ابن الاثير • الكامل ج ١١ ص ٣٤٥ • ابو شامة • الروضتين ج ١ ص ٢٤١  
ص ٣٦٥ • ابن واصل • مفتي الكرب ج ١ ص ١٥٠ • وعن تفاصيل موقعة  
البابين • وأسباب هزيمة الصليبيين فيها • أنظر حسن حبشي • نور الدين  
والصليبيون ص ١١٤ •
- (٢) ابن الاثير • الكامل ج ١١ ص ٣٢٦ • ابو شامة • الروضتين ج ١ ص ٢٤١  
ص ٣٦٥ • ابن واصل • مفتي الكرب ج ١ ص ١٥١ • ابن المديم  
نجدة الجلب ج ٢ ص ٣٢٤ •
- (٣) أنظر جمال الدين سرور • الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٨ •
- (٤) ابن الاثير • الكامل ج ١١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ • ابو شامة • الروضتين ج ١  
ص ٢٤١ • ابن واصل • مفتي الكرب ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ •

شاوور وحلفائه اشترط فيه اخروج الصليبيين جميعا من مصر ، الا ان الصليبيين  
اتفقوا مع شاوور على ان يبقى لهم بالقاهرة مندوب أو شحنة <sup>(١)</sup> ، وأن تكون لهم  
حامية • تحرس ابواب المدينة وأسوارها • هذا بالإضافة الى التزامهم شاوورا  
بدفع مائة ألف دينار سنويا <sup>(٢)</sup> •

وهنا يبدو أن الصليبيين المقيمين بمصر أدركوا سهولة الاستيلاء عليها ،  
فبحثوا الى ملكهم عموري الاول ، يستدعونه لدخولها ، فرفض في بادئ الامر ،  
ولكنه عاد الى اجابة طلبهم مرغحا • هذا بالإضافة الى ما قام به بعض اعيان  
الدولة الفاطمية الناقبين على شاوور من الاتفاق مع عموري الاول على دخول مصر  
ومساعدتهم • وسار عموري الاول على رأس جيش كبير الى مصر ، فنزل بلبيس <sup>(٣)</sup>  
واستولى عليها في صفر من سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ثم سار منها في اتجاه  
القاهرة • وهنا يذكر ابن الأثير ، أن أهلها قاوموا الصليبيين خوفا من التمرض  
للمصير السيئ الذي تعرض له أهل بلبيس ، وأن عموري لو أحسن السيرة فسي  
بلبيس لملك القاهرة • أما شاوور ، فيبدو أنه قد شعر بحرج موقفه أمام الصليبيين  
فأمر بإشغال النار في الفسطاط بعد أن نقل أهلها الى القاهرة • <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) الشحنة : هو رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد ، والشحنة  
هي وظيفة رئاسة الشرطة - أنظر المقرئى ، السلوك ج ١ قسم ١ ص ٣٥  
ص ٩٧٩ ، سعداوى ، جيش مصر ، ص ٣٢ ، حاشية رقم (١) •
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٣٢٧ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ،  
ص ١٥٥ ، المقرئى ، الخطط ج ١ ، ص ٣٣٨ ، وابن الفرات ، تاريخ  
ابن الفرات ج ٤ ، ص ١٩ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ج ٢ ،  
ص ٤ •
- (٣) أنظر ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، وابن واصل ، مفرج  
الكروب ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٤٤٥ -  
٤٤٦ •
- (٤) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٣٣٦ ، أبو شامة ، الروضتين ج ١ ، ص ٢٠١ ،  
ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ، ص ١٥٧ •

وكان الخليفة الفاطمى قد أدرك خطر الصليبيين على بلاده ، وعجز  
 شاور عن وقهم ، فبعث الى نور الدين محمود يخبره بذلك ، ويطلب النجدة  
 منه . <sup>(١)</sup> والواقع أن نور الدين لم يكن من الممكن أن يترك الصليبيين يستولون على  
 مصر ، لما كان يعتمد عليها من الآمال فى تحقيق مشروع الوحدة الاسلامية .  
 لذلك فلم يكد يسمح بمودة عمورى اليها ، حتى سارع الى تجهيز قوة كبيرة بقيادة  
 أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين . الذى حرصت المصادر  
 العربية على اظهاره فى صورة الممتنع عن المعجى الى مصر فى صحبة عمه شيركوه .  
 ولكن يبدو أن المؤرخين انما قصدوا من تلك الاشارات ايضاح أهمية الدور  
 الذى يمليه القدر المكتوب ، وكيف أن نور الدين ألج على صلاح الدين فى  
 الحضور الى مصر دون أن يدرك أن صلاح الدين هذا سيكون منافسه فى المستقبل ،  
 وانه سيرثه فى دولته .

وعلى كل فان شاورا عندما أدرك خطر الصليبيين ، حين شددوا  
 الحصار على القاهرة اتبع أسلوب اللين والمفاوضة معهم ، فبعث الى عمورى  
 الأول ، يتودد اليه ويطلب المصالحة فوافق عمورى بعد أن اشترط على شاور  
 أن يدفع له مبلغا كبيرا من المال ، على أمل الاستعداد والمودة الى مصر مرة  
 ثانية . أما أسد الدين شيركوه فقد اخترق الصحراء الى القاهرة حيث رحب به  
 الناس والتفوا حوله . وهنا يبدو أن عمورى الاول ، لم يجد حلفاء من الفاطميين  
 فأدرك فضله فهاد الى الشام يجرأ نال الخيبة . أما شيركوه ، فبمجرد

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٢) أنظر ابن همدان ، النوادر السلطانية ، ص ١١ ، ج ٣٣٨ ، وابن تشرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٧ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢  
 ص ٣٩١ .

د خوله القاهرة استدعاه للخليفة الماضد ، وخلق عليه خلع الوزارة ولقيه الملك المنصور ، وذلك في ربيع الآخرة من سنة ٥٦٤ هـ / يناير ١١٦٩ م .<sup>(١)</sup>

تولى أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة الفاطمي الماضد وتحقق بذلك ما كان يصبو اليه نور الدين محمود من تحقيق وحدة اسلامية تمتد من الفرات الى النيل لوضع الصليبيين بين شقي الرحى تمهيدا للقضاء عليهم . لذلك ، لم يكف يسمح بانتصار قائده شيركوه حتى غمرته فرحة كبيرة ومث رسله بالبشائر الى مختلف البلاد .<sup>(٢)</sup>

وكان من الطبيعي أن يحقد شاور على شيركوه وخاصة بعد أن ظهر تأييد الخليفة الماضد لشيركوه . فأرسل شاور مرة أخرى الى الصليبيين يستدعيهم لمساعدته وطلب منهم الدخول الى مصر عن طريق دمياط . ويدعو أن الصليبيين قد تأخروا عن الوصول لمساعدته ، فأخذ يعمل على تدبير مؤامرة يقضي بها على شيركوه وأمرأه نور الدين جميعا . لذلك اجتمع اعيان مصر ، وكبار قادة جيش شيركوه وقالوا له « ان شاورا سبب فساد البلاد والعباد » وطالبوه بقتله ، وانتفاذ المسلمين من شره .<sup>(٣)</sup> وهنا يذكر ابن الاثير أن شيركوه نهى رجاله عن قتل

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ هـ ٣٣٩ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ هـ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٣٩٧ هـ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٦١ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٩ .
- (٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧٦ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٩ هـ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٦ هـ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧٦ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٩ هـ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٦١ هـ ، ١٦٢ هـ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ .

(١)  
 شاور ه فأجابوه الى ذلك في الظاهر ه أما في السر فقد عزموا على قتله ه ولمل  
 السبب في ذلك خوف شيركوه من ظهور فتنة في مصر بسبب قتله قد تؤدي الى  
 اخضاع جهوده ه وهنض رجال شيركوه على شاور ولم يجهزوا عليه بل جاءوا به  
 أسيرا اليه ه ولم يفعل شيركوه به شيئا ه حتى أرسل اليه الخليفة الماضد ه  
 يأمر بقتله ه وانفذ رأسه اليه ه وهكذا انتهى الأمر بقتل شاور في ربيع الأول  
 ٥٦٤ ه / يناير ١١٦٩ م واستمر أسد الدين شيركوه وزيرا للخليفة الماضد  
 الفاطمي لمدة شهرين وخمسة أيام ه وخلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي ه

أما عن صلاح الدين فهو صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ولد  
 في قلعة تكريت سنة ٥٣٢ ه / ١١٣٨ م وكان والده أيوب واليا عليها ه ولكن  
 يبد وأن صلاح الدين لم يطل به المقام بها وذلك لانتقال أسرته الى الموصل  
 ثم الى الشام ه حيث أصبح والده حاكما على بعلبك التي اقطعها اياه نور  
 الدين محمود ه وقضى صلاح الدين طفولته ببعلبك ه وتلقى بها ما يتلقاه  
 الطفل المسلم من العلوم الاسلامية ه ولقى من الرعاية والاهتمام باعتباره ابن والي  
 المدينة ه ما لا يلقاه أبناء أوساط الناس ه قد رس القرآن الكريم والحديث والفقه  
 والنحو والتاريخ واللغة والأدب ه فضلا عن لعب الكرة والفروسية والصيد وغيرها  
 مما يتاح لآبناء الطبقات الحاكمة ه ثم لحق الشاب صلاح الدين بعمه أسد  
 (٤)

- 
- (١) ابن الاثير ه الكامل ه ج ١١ ه ص ٣٤٠  
 (٢) ابن الاثير ه الكامل ه ج ١١ ه ص ٣٤٠ ه ابن واصل ه التاريخ الصالح  
 ورقة ١٩٤ ب - ١١٩٥ ه مفرج الكروب ه ج ١٦٢ ه ص ١٦٣ ه  
 (٣) ابن شداد ه النوادر السلطانية ه ص ٦ ه  
 (٤) أنظر ابن زالمريني ه الشرق الأدنى في المصور الوسطى ه ص ٢٩ ه

الدين شيركوه في حلب ، حيث كان شيركوه في خدمة نور الدين وحصل على  
 إقطاع بها ، ثم خلف صلاح الدين بعد ذلك أخاه الأكبر توران شاه في شحنة  
 دمشق في سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٦ م بعد أن أصبحت دمشق من ممتلكات نور  
 الدين . وأبعدى صلاح الدين في هذا المنصب قدرة كبيرة ومهارة فائقة ، غير  
 أنه لم يلبث أن دب خلاف بينه وبين صاحب الديوان أدى إلى تخليه عن ذلك  
 المنصب .<sup>(١)</sup> ورجع صلاح الدين إلى حلب مرة أخرى ، وهناك شمله نور الدين  
 بمنائته ، لما بدا فيه من أمارات السعادة والاحاطة عليه من علامات التقدم والسيادة<sup>(٢)</sup>  
 وظل نور الدين يقره إليه ويخصه وهو « كلما تقدم قدما تدد منه أسباب تقضى  
 تقدمه » على حد تعبير ابن شداد .<sup>(٣)</sup> حتى اتفق لزمه أسد الدين شيركوه  
 الدخول إلى مصر فاصطحبه معه — كما سبق أن رأينا — لتبدأ تلك المرحلة  
 الهامة من حياة صلاح الدين .

ولم ينعم أسد الدين شيركوه بالحياة طويلا في مصر إذ توفي في ٢٢  
 جمادى الآخرة من سنة ٥٦٤ هـ / ٢٣ مارس ١١٦٩ م وذلك بعد شهرين  
 وخمسة أيام من توليه الوزارة . وولى الخليفة الماض بعده ابن أخيه صلاح<sup>(٤)</sup>  
 الدين ، وذكر أبو شامة نقلا عن أن ابن أبي طى أنه عندما توفي أسد الدين  
 شيركوه وقع اختلاف بين المسكر الشامى فيمن يتولى الوزارة . ومالت الاسدية

(١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص

(٢) ابن شداد ، النواد والسلطنة ، ص ٦ .

(٣) الصدر السابق ، ص ٦ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤١ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٤٠٥ ، وابن واصل ، فوج الكرب ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، البلد

سنا البرق الشامى ، ج ١ ، ص ٨١ .

الى صلاح الدين ، وفي تلك الساعة أرسل الماضد وسأل عن يصلح للوزارة  
 فأشار عليه جماعة من الأمراء بشهاب الدين محمود الحارثي خال صلاح الدين  
 فاستدعاه ، وخطبه فمحتوى الوزارة ، فامتنع من ذلك وأشار لولاية ابن أخته  
 صلاح الدين . وكان الحارثي أولاً قد رغب في الوزارة وتحدث فيها ، فلم  
 رأى مزاحمة بعض كبار الأمراء له ، خاف أن يشتغل بطلبها فتفوت ، وربما  
 فانت صلاح الدين ، فأشار به لأنها إذا كانت في ابن أخته كانت في بيته .  
 (١)  
 وقد وجد ذلك قبولاً لدى الخليفة الماضد لأن صلاح الدين لم تكن له بطانة  
 بعصر وكان صغير السن ، فلما من الخليفة الفاطمي أنه بذلك يستطيع الحكم  
 في الأمور على هواه ، ومن ثم منح نور الدين من التدخل في شئون مصر بعد ذلك .  
 (٢)  
 بالإضافة الى إيقاع الفتنة بين الأمراء النوريين الكبار أمثال المشطوب والحارثي  
 وغيرهما . هذا ما حدث بالفعل ، فقد رفض بعض الأمراء تولي صلاح الدين  
 الوزارة ، لولا ذلك المجهود الضم الذي بذله الفقيه عيسى الهكاري في إقناعهم  
 بذلك ، حيث استجابوا لما دعا عين الدولة ياروق الذي عاد الى الشام  
 (٤)  
 غاضباً .

- 
- (١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .  
 (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٤٣ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٤٠٧ ، ابن تفرق ، برذى ، العجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧ .  
 (٣) هو الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد الهكاري ، من  
 كبار رجال الدولة الصلاحية ، ذكر ابن خلكان أن نسبه ينتهي الى الحسن  
 ابن علي بن أبي طالب ( أنظر وفیات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ ) .  
 (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ، أبو الفدا ، المختصر  
 في أخبار البشائر ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

لكن صلاح الدين لم يكد يتولى الوزارة ، حتى خيب آمال الخليفة  
 الماضي ، فاستحال الناس بالفناء المكوس الفاطمية ، وبذل الاموال والهبات  
 والخلق لهم ، حتى أحبوه وساسهم سياسة حسنة . ولعل ما زاد الناس حبا  
 له وتعلقا به ، تكتنه من صد تلك الفارة التي شنها الصليبيون على دمياط في  
 صفر من سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ورد هم خائبين عنها . فضلا عما قام به أثناء  
 وزارته من تأسيس المدارس وتحصين المدن والموانئ والشفور المصرية ، وبناء  
 القلعة على طرف المقطم ، حتى استطاع أن يمدن لنفسه في الوزارة ، لبيداء  
 بذلك صفحة جديدة في تاريخ الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، انتهت  
 بانتصاره عليهم واستعادة بيت المقدس .

ولكن يبدو أن الخليفة الماضي لم يكن وحده المستاء من نفوذ صلاح  
 الدين وبالتالي نور الدين في مصر ، بل إن ذلك امتد الى نفوس عامة الناس  
 حيث قام الدواشي مؤتمن الخلافة أحد رجال القصر الفاطمي بالانتماء  
 بالصليبيين ، وتحريضهم على مهاجمة مصر ، حتى يضطر صلاح الدين الى  
 الخروج من القاهرة لصد غارتهم ، فيتمكن هو من القضاء على البقية الباقية من

- 
- ( ١ ) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٣ .  
 ( ٢ ) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١١٩٥ ، وابن الاثير ، الكامل ،  
 ج ١١ ، ص ٣٤٤ .  
 ( ٣ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤١ ، ٤٣ ، وابن الاثير ، الكامل ،  
 ج ١١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ ، أبو شامة ، الروضتين ج ١ ، ق ٢ ، ص  
 ٤٥٦ - ٤٥٧ ، سبط ابن الجوزى ، مآثر الزمان ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧٩ ،  
 ابن ابيك الدوادارى ، الدر المطلب ، ص ٤١ ، والشبكي ، طبقات  
 الشافعية ج ٧ ، ص ٣٥٥ .  
 ( ٤ ) مؤتمن الخلافة هو خصي متحکم في القصر قيل أن اسمه جوهر ( أنظر أبو  
 شامة ، الروضتين ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ .



رجال صلاح الدين بالداخل • الا أن صلاح الدين الذي كان — على ما يبدو —  
 وديرك استياء بعض الفاطميين من سياسته تلك قد جعل بمصر جواسيس لمراقبة  
 كل التحركات هناك فاكشف رجاله حامل رسالة مؤتمن الخلافة وهو في طريقه بها  
 الى الصليبيين • فاكشف صلاح الدين تلك المؤامرة فأسرع بقتل مؤتمن الخلافة  
 وذلك في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م • وأثار مقتله غضب أتباعه من السودان •  
 فقررروا الخروج على صلاح الدين • الذي ما أن علم بذلك حتى جمع أصحابه •  
 واستعد لذلك • فوصل السودان الى القاهرة • ودارت بين الدارين معركة •  
 تجلت فيها مقدرة صلاح الدين الحربية • فرجحت كفة جيشه • حتى اضطر  
 السودان الى طلب الأمان منه • فأجابهم الى ذلك •  
 (٢)

وفي الوقت الذي شدد نور الدين محمود هجماته على الصليبيين  
 بالشام • واستولى على الموصل سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م • كانت هناك مشكلة  
 عظيمة لها خطورتها تعلق باله • تلك هي الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر •  
 فنور الدين محمود • كان سنيا يدين بالتبعية للخلافة المباسية في بغداد •  
 إضافة الى أن علاقته بها قد ازدادت على ما يبدو وعقب استيلائه على الموصل •  
 (٤)

أما صلاح الدين في مصر فلم يكن أقل تحمسا للذهب السني • إذ كان

- 
- (١) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٣٤٥ • ابو شامة • الروستين • ج ١ •  
 ق ٢ • ص ٤٥١ • ابن واصل • مفرج الكرب • ج ١ • ص ١٧٦ • المقرئ  
 الخطط • ج ٢ • ص ١٩ •  
 (٢) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٣٤٧ • ابن واصل • مفرج الكرب • ج ١ •  
 ص ١٧٦ • ١٧٧ •  
 (٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٣٦٤ •  
 (٤) سعيد عاشور الحركة الصليبية • ج ٢ • ص

شافعى المذهب فأخذ يعمل على نشر المذهب السنى هناك ، تمهيدا لعلان الخلافة العباسية فى مصر • وبدأ صلاح الدين بمزول قضية مصر الشيعة ، وعين مكانهم قضية شافعية <sup>(١)</sup> كما أنشأ مدارس للشافعية وأخرى للمالكية ووقف عليها الأوقاف <sup>(٢)</sup> ، كما عمل على القضاء " حتى على خير العمل من الأذان " <sup>(٣)</sup> ، بالإضافة الى ما قام به صلاح الدين من جهود لاضعاف مركز الخليفة الماضد وتقوية مركزه فى مصر ، فيقال أنه تنجح جند الماضد ، واستولى على دور الامراء واقطاعاتهم ، وأعطاهم لأصحابه ، ولم يبق للماضد معه الا الاسم فقط • ومع ذلك فان صلاح الدين ، ظل متخوفا من اقدام على تلك الخطوة الكبيرة وهى اسقاط الخلافة الفاطمية فى مصر • ولحل السبب فى ذلك أن صلاح الدين نفسه ، كان حريصا على ابقاء الخلافة الفاطمية فى صورتها الشكلية ، لاحتياجه لثقل شعور نـسـوـر الدين نحوه وتخوفه منه ، فأراد أن تبقى ليلوذ بها عند الحاجة • يدلنا على <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٠ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣١٦ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، المقريزى الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، السيوطى ، حسن المطاطرة ، ج ٢ ، ص ٥٥ •  
 (٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٨٦ ، وسيط ابن الجوزى ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٢٨٣ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، والبندارى ، سنا البرق الشامى ، ص ١١٠ تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١ ، ص ١٢٨ •  
 (٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ •  
 (٤) المقريزى ، الخطط ، ص ٣٥٨ ، والسبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٣٤١ ، وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١ ، ص ١٦١ •  
 (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ، وأنظر أيضا سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ •

ذلك أن صلاح الدين عندما جاءته أوامر نور الدين بذلك ما ظله يادى الأمر بحجة خوفه من وثوب أهل مصر عليه لميلهم إلى العلويين إلا أن نور الدين لم يصح إليه بل شدد عليه بذلك « وألزمه الزاماً لا فسخة فيه » <sup>(١)</sup> وأخيراً لم يصر صلاح الدين بدا من تنفيذ أوامر سيده نور الدين بإعلان الخلافة المباسية في مصر بعد أن استشار أصحابه وبعض الفقهاء فأمر الخطباء بالدعاء للخليفة <sup>(٢)</sup> المباسى على المنابر في أول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧ هـ / سبتمبر ١١٧١ م <sup>(٣)</sup>.

أما الخليفة الماض فيقال أنه في ذلك الحين مرض مرضاً شديداً ولم يخبره أحد بما فعله صلاح الدين وقالوا « إن عوفى فهو يعلم » وإن توفى فلا ينبغى أن نجسمه بمثل هذه الحادثة قبل موته « فمات يوم عاشوراء دون أن يعلم بذلك » <sup>(٤)</sup>.

ومما لا شك فيه أن سقوط الخلافة كان حدثاً خطيراً في تاريخ المالم

الاسلامى بوجه عام وفى مصر بوجه خاص ، فيها هى دولة الفاطميين تنهار بعد

(١) الصيغى ، عقد الجمان ج ١٢ ، ورقة ١٦٥ ب ، وابن الاثيره الكامل ، ج ١١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، وابن المديم زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٣٣ ،

ابن المبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٥ .  
(٢) ذكر الصيغى في عقد الجمان ج ١٢ ، ورقة ١٦٧ أ ، وابن الشحنة في روضة المناظر ورقة ٧٠ ب ، ان صلاح الدين قبل الاقدام على قطع خطبة الماض الفاطمى واقامتها للمستضى المباسى ، استفتى الفقهاء ، فافتوه بجواز ذلك لما كان عليه الشيعة في مصر من فساد الاعتقاد .

(٣) الاصفهانى ، البستان الجامع ، ورقة ١١٨ أ ، والكبرى ، عيون التواريخ ، ج ١٧ ، ورقة ١٣٥ أ ، ابن الاثيره ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٦ ، ابو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ، ٤٩٣ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٠ ،

انظر أيضا : Cambridge History of Islam, P. 203.

(٤) ابن الاثيره ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٦٩ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٠١ ، وابو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ٥١ .

قرنين من الزمان تقريبا • لتمود للعالم الاسلامي وحده تلك الهدية ، وتصبح  
 الخلافة المباسية هي الخلافة الوحيدة التي تدعى لها العالم الاسلامي بولائه  
 الروحي • لذلك فلا غرابة اذا اقيمت الاحتفالات في بغداد تيميرا عن شهور  
 الفرج بذلك النصر الذي تحقق للخلافة المباسية حيث كان نور الدين قد بحث  
 الى الخلافة المباسية في بغداد رسلا يشرونه بذلك ، فرد عليه الخليفة  
 المستنصر بارسال الخلع والتشريفات له ولصالح الدين ومعها الاعلام والرايات  
 (١)  
 السود شعار المباسيين •

لم يؤد اعلان الخلافة المباسية في مصر وموت الخليفة الماضد الى استقيا  
 الأمور لصالح الدين ، بل واجه فتنة كان من أهمها ظهور بعض المنتمين  
 الى الخلافة الفاطمية ، الذين حاولوا احياؤها في مصر • ففي سنة ٥٦٩ هـ /  
 ١١٧٤ م دبرت مؤامرة اشترك فيها الناقمون على صلاح الدين ، وكان من  
 زعمائها عمارة اليميني وعبد الصمد الكاتب ، وداعى الدعاة فضلا عن غيرهم من  
 (٢)  
 جند مصر ، ومقاي السودان وحاشية القصر •

- 
- (١) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٢٨ •  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٧١ ، البندارى ، سنا السبوق  
 الشامي ، ج ١ ، ص ١١٥ - ١١٧ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧ •  
 (٣) عمارة اليميني : هو الفقيه ابو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكي اليميني  
 الملقب نجم الدين والشاعر المشهور كان فقيها شافعي المذهب شديد  
 التمسك للمذهب السني ، له كتاب في تاريخ اليمن ، توفي سنة ٥٦٩ هـ •  
 (أنظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٣١ - ٤٣٥ ) •  
 (٤) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢٢ (مخطوط) ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١  
 ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ •  
 ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ •

ويبدو أن هؤلاء المتأمرين أدركوا عجزهم عن مواجهة صلاح الدين دون الاستعانة بقوة خارجية ، فاتصلوا بالاسماعيلية في الشام ، وطلبوا منهم (١) التدبير لقتل صلاح الدين — وذلك لما عرفوا به من براعة في هذا المجال . كما أن عمارة وأصحابه لم يكتفوا بهذا بل اتصلوا بالصليبيين في الشام وصقلية ، واتفقوا معهم على غزو مصر . وفي الوقت نفسه يقومون هم بأشمال الفتنة — من الداخل . ولكن هذه المؤامرة كشفت واحبطت قبل أن تنفذ ، وذلك بفضل اشتراك زين الدين علي بن الواظ ، أحد رجال صلاح الدين مع مدبريها ، فقد أخبره بما عزم عليه أولئك فقبض عليهم (٢) . وعندما تأكد له ذلك ، صلب زعماءهم في رمضان من سنة ٥٦٩ هـ / أبريل ١١٧٤ م . ثم التفت الى بقية المتأمرين من الفاطميين فنفاهم الى الصعيد . أما أهل القصر فقد فرض عليهم رقابة شديدة ، حتى لم يمد يصل اليهم شيء من أمر الدولة ، وأجرى عليهم — من الارزاق والكسوة ما يليق بحالهم . (٣)

أما بالنسبة للصليبيين ، فيبدو أن صليبي الشام عرفوا انكشاف مؤامرة عمارة وأصحابه ، وأنه لا قبل لهم بملاقاة صلاح الدين ، فلم يفعلوا (٤) . أما ملك صقلية فيحتمل أنه قد استجاب لذلك الطلب من ساعته ، فجهز اسطولا ضخما ، وبمجهته الى مصر ، فسار حتى وصل الى الاسكندرية في ذي الحجة

- 
- (١) عن الاسماعيلية أنظر ما يلي ص ٦٠ — ٥٥٠ .  
 (٢) أبو شاهه ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٥٦١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٣٠٤ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .  
 (٣) الكتيبي عيون التواريخ ، ج ١٧ ، ورقة ١٥٣ أ — ب ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٠ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، وابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ، ٢٢٦ .  
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠١ .

من سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م . وهناك دارت معركة كبيرة بينه وبين قسوات  
صلاح الدين في البر والبحر ، انتهت بانتصار جيوش صلاح الدين . وعاد  
اسطول صقلية عن مصر بجراذيل الخيبة ، بعد أن فقد عددا كبيرا من رجاله  
(١)  
وعدده .

ولم تقتصر الفتن التي ظهرت في مصر لمناوأة صلاح الدين على تلك  
التي ظهرت بالقاهرة ، بل تعدتها إلى أنحاء مختلفة من البلاد المصرية ،  
كان من أهمها تلك التي أشعل نارها في أسوان على حدود النوبة أحد قادة  
الفاطميين الذي يدعى كنز الدولة . التف حول ذلك القائد جمع كبير من  
المصريين الناقمين على سياسة صلاح الدين أوهمهم بأنه يملك البلاد المصرية  
ويعيد الخلافة الفاطمية فيها ، وهاجم مدينة قوص ويضيف ابن الأثير ، أن كنز  
الدولة أقدم على قتل أحد أمراء صلاح الدين ، الذين كانت أقطاعاتهم في تلك  
البلاد . (٢)  
الأمرا الذي زاد من غضب صلاح الدين عليه ، وقروا هذه الفتنة  
في مهبها . فجهز جيشا كبيرا ، أسند قيادته إلى أخيه الملك المادل ، فسار  
حتى لقي الكنز وأصحابه ، ودارت بين الطرفين معركة قتل فيها عدد كبير من  
عسكر الكنز . وعاد المادل إلى القاهرة بعد أن قضى على تلك الفتنة ، وذلك

- 
- (١) المصدر السابق ج ١١ ص ٤١٤ . وابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ،  
ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . وابن أبيك الدوادري ، الدرالمطلوب ، ص ٤٩ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٧ - ٤٨ . وابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١٧ . والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٥٨ .  
وقوص مدينة كبيرة في صعيد مصر ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤١٤ .

(١)

في صفر من سنة ٥٧٠ هـ / سبتمبر ١٩٧٤ م .

وفي الوقت الذي تحققت فيه أحلام نور الدين محمود بإقامة جبهة إسلامية موحدة تضم مصر وبلاد الشام يستطيع بها الوقوف في وجه الممدوان الصليبي هـ ظهرت أحداث أدت إلى ظهور وحشه بينه وبين قائده صلاح الدين . فقد اتهم صلاح الدين سياسة متشددة في مصر لتستتب له الأمور فيها ؛ ففساد مصر كبار القادة في الجيش النوري ، أمثال عين الدولة ياروق وعز الدين جرهك وغيرهما ، من لم تعجبهم سياسة صلاح الدين ، ولملمهم آثارا نور الدين بعده . فضلا عن احاطة صلاح الدين نفسه بجماعة من الأمراء الأسدية وهم أمراء معه أسد الدين شيركوه وعلى رأسهم الفقيه عيسى الهكاري ، وجاؤلى الاسدي ، وسهاء الدين خراقوش الذي حكمه في قصور الخليفة الماضي ضد بعد وفاته . بالإضافة الى تحكم صلاح الدين في خيرات مصر ، وعدم تخصيص شيء منها لبلاد الشام ، حتى اضطر نور الدين الى أن يرسل ميمونا من قبله هو الموفق خالد بن القيسراني الى صلاح الدين ، ليطلع على الأمور ويطلبه بحساب ما أخذه من قصور الخليفة الفاطمي ودواوين الدولة الفاطمية » وتقرير

- 
- (١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢ ، ابن شداد ، النوادر والسلطانية ص ٤٨ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٣٣٨ ؛ ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ابن تفرى ، مريد ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٩ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٠ .
- (٣) نظير حسان سحداوى ، التاريخ الحربي المصري ، ص ١٥ - ١٦ .

(١) القضيعة على صلاح الدين في كل سنة .

وما لبثت النفرة التي حدثت بين نور الدين وصلاح الدين أن انتقلت إلى مرحلة أخطر ، إذ تطور الأمر إلى تخوف صلاح الدين من الاجتماع بسيد نور الدين في أي عمل حربي مشترك ، ففي سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م عزم نور الدين على مهاجمة حصن الكرك والشوبك ، وأمر صلاح الدين بأن يخرج إليه من مصر ، في الوقت الذي يأتي هو من بلاد الشام لاحكام الحصار عليه . فوعده صلاح الدين بادی الأمر بالطاعة ، إلا أنه عاد فاعتذر عن لقائه عندما علم بوصول إلى الكرك متمللاً بخوفه من وثوب الشيعة على مصر في حالة غيابه عنها .

(٢) ومن الواضح أنه كان على صلاح الدين ، في تلك الظروف ، أن يحدد موقفه من نور الدين فاما أن يظل على ولائه له بوصفه نائباً عنه في مصر ، وفي هذه الحالة عليه أن يتقبل قرار نقله منها في أي وقت من الأوقات ، واما أن يستقل عن نور الدين ويخرج عن طاعته ، وفي هذه الحالة عليه أن يصعد هجوم نور الدين .

وإزاء هذا أدرك صلاح الدين خطورة موقفه أمام جيوش نور الدين — إذا ما حاولت دخول مصر ، فعزم على الاستيلاء على مناطق أخرى تكون ملاذاً له يقيم فيها دولته إذا ما نجح نور الدين في اخراجه من مصر . ففكر بادی الأمر

- 
- (١) المقريزي ، الخطط ج ١ ، ص ٥١ — ٥٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٢٧٠ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ورقة ١٠٦ أ .  
 (٢) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٨ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ، ص ٢٢١ ، والبنداري ، سنا البرق الشام ج ١ ، ص ١١٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٢٦٨ .

- (٣) سحميد عاشور ، الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .



في بلاد النوبة ، وبعث اليها أخاه توران شاه فاستولى عليها ، ولكنه رأى أنها  
(١)  
بلاد فقيرة لا تنفي بحاجاتهم إذا احتاجوا لها . كما فكر أيضا في الاستيلاء على  
برقة طمعا في ثروتها<sup>(٢)</sup> . وأخيرا اختار على ما يبدو أن يكون ملجأه عند الحاجة  
الى اليمن التي اشتهرت في ذلك الحين بغنى مواردها ، وبعث أخاه توران شاه  
(٣)  
اليها فاستولى عليها سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م .

وبالإضافة الى ذلك ، لا يوجد أدنى شك في أن صلاح الدين لم تكن  
تخفى عليه أهمية بلاد اليمن بالنسبة لتجارة البحر الأحمر ، لذلك قرر السيطرة  
على المدخل الجنوبي لهذا البحر خاصة بعد أن أصبحت عدن مركزا تجاريا .  
يضاف الى ذلك أن صلاح الدين أراد أن يضمن لقاعدة ملكه في مصر ورود متاجر  
الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر ، وتزويد موارده بمصر المالية بالضرائب  
التي تجبي من ميناء عيذاب وغيره .  
(٤)

وعندما أدرك نور الدين أن صلاح الدين أخذ يوسع نفوذه في البلدان  
المجاورة لمصر ، قرر الدخول اليها وأخذها منه ، فاستدعى جيوشه من الشرق  
وعزم على المسير الى مصر . الا أن مشروعه هذا لم يتم حيث وافته الأجل قبل  
(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٨٧ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
ص ٢٢٩ ، والمقريزي ، الخطط ، ج ٢ ص ٣٧ ، ابن كثير ، البداية  
والنهاية ، ج ١٢ ص ٢٧٠ ، وتوران شاه ، هو : الملك المعظم توران شاه  
ابن أيوب بن شاذى توفي بالاسكندرية سنة ٥٧٦هـ ( ابن خلكان ، وفیات  
الاعيان ، ج ١ ص ٣٠٦ ) .  
(٢) سعيد عاشور ، الأيوبيون والمماليك ، ص ٢٩ .  
(٣) الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٧ ، ورقة ١٥٢ أ ، وابن الشحنة ، روضة  
المناظر ، ورقة ٧٠ ب ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٨٣ ، وابن  
قفري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٦٩ ، والمقريزي ، السلوك ، ج ١  
ص ٥٣ .  
(٤) حسنين ربيع ، البحر الاحمر في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ البحر الاحمر  
بجامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٩م ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

( ١ )  
تنفيذه .

دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م :

لم يكد نور الدين محمود ينهى مشروع توحيد الجبهة الاسلامية السذى  
أصبح يضم الشام ومصر ، حتى وافته المنية فى شوال من سنة ٥٦٨ هـ / مايو  
١١٧٤ م ، قبل أن يجنى ثمار تلك الجهود التى بذل الفائق والرخيى من  
أجلها . وتولى الأمر بعده ابنه الملك الصالح اسماعيل الذى لم يكن قد تجاوز  
الحادية عشرة من عمره ، مما أثار الأطماع داخل البيت الزنكى وخارجه فى امتلاك  
هذه الدولة <sup>(٢)</sup> ، وكان أول الطامعين سيف الدين غازى ، صاحب الموصل ، ذلك  
أن نور الدين عند ما ظهرت الوحشة بينه وبين قائده صلاح الدين وعزم على  
الدخول الى مصر وأخذها من صلاح الدين ، بحث الى الموصل ود يار بكر وبلاد  
الجزيرة يطلب مجيئهم للاستمانة بهم فى غزو مصر . فسار سيف الدين ابن عم  
نور الدين على رأس جيشه قاصدا الشام . وفى أثناء سيره بلغه نبأ وفاة نور  
الدين ، وتولى ابنه الصغير فدخله الطمع فى هذه المملكة ، وأسرع باحتلال  
بعض المواقع الهامة ببلاد الجزيرة مثل نصيبين والخابور وحران والرها والرقه  
وسروج وغيرها ، ولم يبق سوى رأس المين لأنها كانت لقطب الدين صاحب  
قلعة جمبر على الفرات مقابل صفيين <sup>(٣)</sup> وكانت تعرف أولا بدوسرثم ملكها  
هو ابن خاله ، وقلعة جمبر لصانيتها <sup>(٤)</sup> . وقد شمر سيف الدين

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ .

( ٢ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١

ص ٤٠٢ .

( ٣ ) رأس المين ، ويقال رأس عين ، مدينة مشهورة من مدن إقليم الجزيرة بين

حران ونصيبين ودنيسر ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

( ٤ ) قلعة جمبر على الفرات مقابل صفيين ، وكانت تعرف أولا بدوسرثم ملكها

رجل يدعى جمبر بن مالك فسميت به ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

( ٥ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧٥ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢ ،

ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٣٥ ،

ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ،

ص ١٢ .

غازى بتسلط أمراء الشام وغيرهم على أحوال الدولة النورية مستغلين صغر سن الملك الصالح وعجزه عن تدبير أمور دولته . ولعل ذلك كان السبب فى هروب سعد الدين كشتكين من صفوف جيش سيف الدين غازى ، عند ما علم بوفاة نور الدين محمود بالشام لينافس غيره من الأمراء فى تدبير دولة الملك الصالح .  
(١)

ولم تقتصر تلك الاطماع بعد وفاة الملك نور الدين على أفراد البيت الزنكى فى بلاد الشام ، وانما تمتد ذلك الى الأمراء النوريين هناك ، وذلك للفوز بتدبير مملكة الملك الصالح ، مع أنهم أجمعوا بادئ الأمر على توحيد كلمتهم لخدمته والحفاظ على دولته وجعل شمس الدولة ابن المقدم صاحب الراى الأول  
(٢)  
فى ذلك .

الا أن هؤلاء الأمراء ، ما لبثوا أن اختلفت كلمتهم ، فذهب الخلاف بين اثنين من أكابرهم هما شمس الدين على بن الداية الذى تمركز بحلب ، وأخذ يقوى مركزه هناك ، وشمس الدين محمد بن المقدم بدمشق ، حيث كان يقسم الملك الصالح عنده . وأخذ كل منهما يسعى للحصول على الوصاية على الملك الصالح فابن المقدم يسمى للحفاظ عليه بدمشق فى الوقت الذى كان ابن الداية يتحصن

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠١ ، وابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٩ ، وابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١١ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٥ ، و ابو شامة ، البروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٥٨٥ ، وابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٤١ ، وابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٢ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، وابن المقدم ، هو الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم من كبار أمراء الدولتين النورية والصلاحية . وتوفى بمكة سنة ٥٨٣ هـ متأثرا بجراحه التى لحقت به أثناء المعركة التى دارت بين الحجاج العراقيين والشماسيين ، و انظر الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١١٢ .

الفرس لنقله الى حلب . وعندما استولى سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة ، بعث ابن الداية الى دمشق يطلب احضار الملك الصالح ، بحجة خوفه من مجيء سيف الدين للسيطرة على بلاد الشام .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن ابن المقدم أدرك نوايا ابن الداية فرفض ارسال الملك الصالح عندما بحث اليه يطلبه . ثم عاود ابن الداية فيحث سعد الدين كشتكين ، ومعه بعض الأمراء الى دمشق لاحتضار الملك الصالح ، فخرج لهم ابن المقدم وتمقيهم في الطريق وأنزل بهم خسائر عادية على أثرها الى حلب . ولم يياس ابن الداية من ذلك ، بل عاود تجهيز كشتكين ، وبعثه مرة أخرى الى دمشق ، وسير معه الكتب الى كبار الأمراء ، فدخل دمشق واجتمع بهم وأخبرهم بما في سفير الملك الصالح الى حلب من المصالح فوافقوه على ذلك وعاد الى حلب ومعه الملك الصالح .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

ويبدو أن ابن الداية عندما عزم على ارسال سعد الدين كشتكين الى دمشق للمرة الثانية كان قد زوده بمعلومات كافية باقتناع الأمراء الدماشقيين دون ابن المقدم ، وبوجوب انتقال السلطان الطفل الى حلب . ولعل تلك المعلومات تلخص في أن ابن المقدم على صلة بصالح الدين ، وأن صلاح الدين ربما استولى على شخص اسماعيل بمساعدة ، وأن المصلحة تتطلب ارساله الى حلب قبل نوات

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٥ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٢

ص ٥٩٠ ، ابن المقدم ، زبدة الطب ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن المقدم ، زبدة الطب ، ج ٣ ، ص ١٤ .

(٤) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن المقدم ، زبدة الطب ، ج ٣ ، ص ١٤ .

الأوان<sup>(١)</sup> . كما يمكن القول بأن ابن الداية ربما يكون قد زود كمشتكين بالاغراءات  
للأمراء الدماشقة ، باسناد المناصب اليهم أو بزيادة اقطاعاتهم ، بدليل أنهم  
استرطوا على ابن الداية عند موافقتهم على ارسال الصالح أن يخلف لهم على  
(٢)  
اقطاعاتهم بدمشق ويبحث نسخة اليعين مع أخيه سابق الدين عثمان .

ويخرج الملك الصالح من دمشق الى حلب ، ازداد التنافس بين الأمراء  
وطمح كمشتكين في الاستئثار بتدبير دولته . ودبر وهو في طريقه الى حلب  
مؤامرة للقبض على أولاد الداية وغيرهم من كبار الأمراء ، فقبض عليهم وأودعوا  
السجون ، وانفرد هو بتدبير أمور الملك الصالح وذلك في المحرم من سنة  
(٣)  
٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م .

وازاء هذا الحدث أيقن ابن المقدم ، ومعه الأمراء الدماشقة أن  
كمشتكين ان استقر له الأمر بحلب ، أخذ الملك الصالح وسار اليهم ، فقتلوا  
اللجوء الى وسيلة تحميمهم من ذلك ، وراسلوا سيف الدين غازي ، صاحب الموصل  
الذي رفض المجيء لاستلام دمشق ، بل سارع الى مراسلة الملك الصالح وسعد  
الدين كمشتكين وصالحهما على ما أخذ من البلاد ، معتقداً بأن الدماشقة ينوون  
خداه . الأمر الذي ازداد تهممه مخاوفهم ، فكانوا صلاح الدين في مصر

- 
- (١) أنظر حسان سحداوى ، التاريخ الحمى المصرى ، ص ٥٣ .  
(٢) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤ .  
(٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢ - ٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١  
ص ٤١٥ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ ،  
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٦٥ ، ابن المديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤ - ١٥ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة  
ج ٦ ، ص ٢٤ .

(١)  
وطلبوا منه الخروج اليهم لامتلاك دمشق .

كان للتنافس الذي حدث بين الأمراء النوريين بالشام حول الفسوز بتدبير دولة الملك الصالح ، وما عقبه من أطماع داخلية وخارجية في السيطرة على أملاك الدولة النورية ، تلك الأطماع التي أهمها ما قام به الصليبيون من محاولة للسيطرة على أملاك تلك الدولة ، حتى اضطر هؤلاء الأمراء الذين حرصوا منذ البداية على منع صلاح الدين من التدخل في شئون الشام ، إلى مراسلة عموري الأول ومهادنته . وكان لذلك أثره البالغ في إثارة غضب صلاح الدين ، فنهض يهتد الأمراء النوريين بالشام ويتوعدهم بالخروج اليهم لحماية الملك الصالح ودولته ، فكتب رسالة إلى شمس الدين بن القيدم وغيره من الأمراء يقول فيها : « لو أن نور الدين يعلم أن فيكم من يقوم مقامى ، أو يشق به ، مثل ثقته بى لسلم إليه مصر ، التي هي أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يجعل عليه الموت لم يصعد إلى أحد بترمية ولده والقيام بخدمته غيرى ، وأراكم قد تفردتم بمولاي دونى ، وسوف أصل إلى خدمته ، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرها وأجازى كلانكم على سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده » . ورسالة أخرى يقول فيها : « أنا لا نؤثر الاسلام وأهله إلا ما جمع شملهم ، ولق كلمتهم ، وللبيت

- 
- (١) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٣ ، وابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ ، وابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٩ ، أبو الندا المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥٦ . ابن أبى الهيثجاء ، تاريخ ابن أبى الهيثجاء ، ورقة ١٧٣ .  
(٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩٤ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ ، وابن الأثير ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٢ - ١٣ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ، وابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٣ .

الأتا بكى - أعلاه الله - إلا ما حفظ أصله وفرعه أو دفع ضره وجلب نفعه -  
 فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة ، والمحبة إنما تظهر أثرها عند تكاثر طمع  
 العداة ، وبالجمله أنا فى واد والظانون بنا ظن السوء فى واد ، ولنا من الصلاح  
 (١)  
 مراد ، ولم يحددنا عنه مراد .

والخلاصة أن تلك الخلافات بين الأمراء الشاميين ، تطورت تطورا  
 خطيرا ، عند ما انفرد كمشكين بتدبير أمور الملك الصالح ، ثم صالحته لسيف  
 الدين غازى ، مما أثار مخاوف بقية الأمراء من اطماعه ، فاضطروا الى الاستجداد  
 بصالح الدين ، الذى أدرك أنه ينبغي مواصلة السياسة التى بدأها زنكى ، وجرى  
 عليها نور الدين من بعده ، والتى تقضى بتوحيد كلمة المسلمين ، والقضاء على  
 الصليبيين ، فأجاب طلبهم . (٢)

خرج صالح الدين من مصر ، قاصدا الشام بعد أن تأكد من أن  
 (٣)  
 « الملك الصالح صلبى لا يستقل بالأمور ، ولا ينهض بأعباء الملك » على رأس  
 جيش قوامه سبعمائة فارس ، بعد أن استخلف على مصر أخاه الطك المبادل ،  
 وسار حتى وصل بصرى ، وهناك استقبله صاحبها الذى سبق أن كاتب صالح  
 الدين للقدوم الى الشام وقدّم له المساعدات والتسهيلات . ثم سار صالح الدين  
 (٤)

(١) ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ٢ ص ١٨ ، السبكى ، طبقات الشافعية ،  
 ج ٧ ص ٣٦١ .

(٢) الباز المرينى ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٦٠٤ ، ابن تيمزى بريدى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٥ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤١٦ ، وبصرى موضع بالشام من أعمال  
 دمشق وهى قسبة كوره حوران ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

حتى وصل دمشق ، وفتحت له أبوابها وتسلمها دون عناء يذكر في أواخر شهر  
(١)  
ربيع الآخر من سنة ٥٢٠ هـ / نوفمبر ١١٢٤ م .

وهنا يمكننا أن نؤكد أن خروج صلاح الدين إلى الشام لم يكن لمجرد  
الرغبة في تحقيق اطماع ونكاسب شخصية ، وإنما ظهر الاتجاه واضحا في سياسته  
نحو تحقيق الوحدة الإسلامية والقضاء على عوامل الفرقة التي ظهرت في الدولة  
النورية بقصد مواجهة الصليبيين صفا واحدا بدليل ما صرح به صلاح الدين  
من عبارات تدل على ذلك عند خروجه إلى الشام .<sup>(٢)</sup>

تسلم صلاح الدين دمشق ، وسكن دار والده المعروفة بدار العقيقي ،  
وكان عليه أن يتسلم قلعتها التي احتفظ بها الخادم ربحان ، ورفض بسادى  
الأمر تسلمها . وهنا يبدو أن صلاح الدين لم ير الاصطدام بربحان وبمث إليه  
القاضى كمال الدين بن الشهرزورى يخبره بأنه لا يزال على ولائه للملك الصالح  
ابن نور الدين ، مود ، وأنه إنما جاء لخدمته واعادة دولته ، واستطاع ابن  
الشهرزورى اقناع ربحان . وتسلم صلاح الدين القلعة ، واستتب له الأمر فـ

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١  
ص ٤١٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٦٠٤ ، ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩ ، ابن تضرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢  
(٢) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، أما المبارات  
التي قالها صلاح الدين عند خروجه إلى الشام فيذكر سبط ابن الجوزى  
( مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤ - ٣ ) أن صلاح الدين كتب إلى  
شرف الدين بن عسرون يقول " لما بلغنى وفاة المرحوم ، خرجت من مصر  
لنقد الجهاد ، وتطهير البلاد من أهل الكفر والعناد . " وذكر ابن واصل  
( مفرج الكروب ) ، ج ٢ ، ص ١٨ : أن صلاح الدين قال " ولو استمرت  
ولاية هؤلاء القوم تفرقت الكلمة ، وطمع الكفار في البلاد " كما قال " أنا لا  
نؤثر للإسلام وأغله إلا ما جمع شملهم ولف كلمتهم " .



دمشق ، وظل يظهر الطاعة للملك الصالح ، فغضب النقود وأقام الخطبة باسمه .<sup>(١)</sup>

ولعل السبب في اتباع صلاح الدين الأسلوب الولاء للملك الصالح ، هو خوفه من إثارة الناس ضده وإتهامه بخيانة سيده نور الدين . والتفت صلاح الدين بعد ذلك إلى استمالة قلوب أهل دمشق وذلك بتوزيع الأموال عليهم ، وإزالة ما استجد بعد وفاة نور الدين من مفكرات وضرائب ومكوس .<sup>(٢)</sup>

وكان لدخول صلاح الدين دمشق ، وتثبيت أقدامه فيها بالاستيلاء على قلعتها ، أثره البالغ على نفوس القائمين بتدبير دولة الملك الصالح في حلب وعلى رأسهم سعد الدين كمشتكين . فما أن سمعوا بذلك الأمر حتى سارعوا إلى الاستجداد بسيف الدين غازي صاحب الموصل الذي سبق أن راسلهم<sup>(٣)</sup> فصالحوه على ما بيده من البلاد .

وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد أن يتجنب الصدام مع الملك الصالح ، فأرسل إليه كتابا يظهر له الولاء ، ويؤكد له أنه إنما جاء لخدمته ، ولجمع كلمة المسلمين للوقوف في وجه المدد والصليبي . واستنضار الملك الصالح كبار رجال دولته في حلب ، فأشاروا عليه بعدم الموافقة ، فرد على صلاح الدين برسالة شديدة اللهجة عده فيها بإخراجه من دمشق وإتهامه بالطمع في الملك . فغضب

- (١) ابن النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٣ هـ ، الإثنا عشر ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ ؛ البنداري ، سدا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ١٧٧ ؛ ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٨٨ .
- (٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٦٠٥ ؛ ابن تفری بردی ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٥ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .
- (٣) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١ .

صلاح الدين من ذلك ، وقال لرسول الملك الصالح \* والله ما جئت الى هاهنا  
شرها ولا طمعا في الدنيا ، وفي مصر كفاية ، وما جئت الا لاستنقذ هذا الصبي  
(١)  
من يد مملك وأمثالك وأنتم سبب زوال دولته \* .

وعلى كل فانه يحتمل أن صلاح الدين عندما وصله ذلك التهديد من  
الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين ، وسمح باستجداده بسيف الدين غزى ،  
أدرك خطورة موقفه في دمشق ، وقرر توسيع نفوذه في بلاد الشام ، فخرج من  
دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين ، فبدأ بحمل  
واستولى عليها في جمادى الأولى من سنة ٥٧٠ هـ / ديسمبر ١١٧٤ م واستم  
(٢)  
عليه قلعته ، فلم يرتضخ الوقت في حصارها ، وسار الى حماه ، فأستولى  
(٣)  
عليها في بداية شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٧٠ هـ / أواخر ديسمبر ١١٧٤ م  
ثم اتجه صلاح الدين الى حصار حلب ، فخرج الملك الصالح ، واحضر أهل  
حلب ، وذكرهم بسيرة نور الدين فيهم ، وتوسل اليهم بمقاومة صلاح الدين ،  
فخرجوا لقتاله . ولكن يبدو أن سعد الدين كمشتكين أدرك خطورة الموقف  
فراسل الاسماعيلية ، وبذل لهم أموالا طائلة ليقتلوا صلاح الدين ، وكادوا  
ينجحون في مهمتهم لولا انكشاف أمرهم وقتلهم بعد أن جرحوا صلاح الدين .

- 
- (١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ؛  
ابن واصل ، مفج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١ .  
(٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٧ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٧ - ٤١٨ ؛ أبو شامة ، الروضتين  
ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٧ - ٦٠٨ ؛ ابن واصل ، مفج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٢ ؛  
ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ ابن أبيك الدوادري  
الدر المطلوب ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

ولما فشل الاسماعيلية في أداء مهمتهم ، وبقي صلاح الدين على حصار حلب ، أرسل الحلبيون الى ريموند الصنجيلي أمير إمارة طرابلس الصليبية ، يطلبون منه المساعدة . وهنا يبدو أن ريموند هذا ، الذي كان وصيا على مملكة بيت المقدس عندئذ ، كان يدرك تماما أهمية تحالف الصليبيين مع أهل حلب ، بالإضافة الى خطورة قيام وحدة بين القاهرة ودمشق وحلب لذلك أسرع الى نجدتهم ، وسار لحصار حصن ، فاضطر صلاح الدين الى ترك حصار حلب وذلك في رجب من سنة ٥٧٠ هـ / فبراير ١١٧٥ م . فلما سمع الصليبيون بحقد مه رحلوا عن حصن ، فدخلها وملك قلعته ، ثم توجه الى بعلبك فملكها أيضا في السنة (١) نفسها .

نزاع صلاح الدين مع الزنكيين : معركة حمرون حماء ، معركة تل السلطان :

والواقع أن صلاح الدين اتبع تلك السياسة الجديدة مرغما ، قاصدا بذلك توحيد الصف لجهاد الصليبيين ، وذلك لما رأى من تواطىء الأمراء في حلب معهم خاصة بعد استجدادهم بريموند الثالث الصنجيلي صاحب طرابلس ، يد لنا على ذلك تلك الرسالة التي كتبت بخط القاضي الفاضل ، وبمعتها صلاح الدين الى الخليفة العباسي ، ذكر فيها أن سبب خروجه الى الشام ، ما توافى اليه من الأخبار : « بما المملكة النورية عليه من تشعب الآراء ، وتشتت الأمور

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٩ ، وابن واصل ، فخر الكروب ج ١٢ ، ص ٢٩ - ٣٠ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ ، سعيد عاشور ، الايوبيون والملوك ، ص ٤١ ، ارنت باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٨٠ .

وتقطيعها ، وأن كل قلعة حصل فيها صاحب وكل جانب دافع اليه طالب ، وأن قصده من ذلك الاستعداد لاسترجاع بيت المقدس الذي لن يتيسر فتحه وهو بحصر ، " لعمد الصافية ، وانقطاع المطارة ، وكلال الدواب التي بها على الجهاد القوة " . وأنه متى جاور بيت المقدس بانتقاله الى البلاد الشامية كانت المصلحة بادية والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة ممكنة والميرة متممة ، والخيول مستريحة ، والمساكر كثيرة الجموع والأوقات مسعدة . " وأن ذلك يمكنه من الحفاظ على الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الذي كان صلاح الدين يرى أنه " به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه (١) ويظهرون الوفاء في خدمته وهم عايطون بظلمه " .

وأدرك سيف الدين غازي أن صلاح الدين إذا ما تمكن من بلاد الشام فإنه سوف يتجه الى الموصل نفسه ، لذلك سارع بإجابة الملك الصالح وبحث الى أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطلب فيه الاستعداد للسير معه الى الشام . وهنا يبدو أن صلاح الدين قد أدرك بادئ ذي بدء خطورة تحالف الزنكيين ضدّه فسمى الى الايقاع بينهم . ويقال أنه أرسل الى عماد الدين صاحب سنجار يمنيه بصفته أكبر أخوته ، فرفض إجابة أخيه سيف الدين الى ذلك . (٣) وعلى كل فان سيف الدين غازي ، عندما رأى عدم استجابة عماد الدين ،

(١) أنظر ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٠ ، وابن واصل ، فتح الكروب ،

ج ٢ ، ص ٣٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

جهاز جيشاً أسند قيادته إلى أخيه عز الدين محمود . وبعد أن انضم إليه الجيش الحلبى زحفوا جميعاً على حماه ، وعندئذ عرض صلاح الدين على الزنكيين أن يتنازل لهم عن الحصون التى أخذها ويكتفى هو بدمشق على أن يكون نائباً للملك الصالح فيها ، إلا أن الزنكيين رفضوا ذلك المرض . والتقى الجمعان بهقزون حماه فى رمضان من سنة ٥٧٠ هـ / إبريل ١١٧٥ م ، ودارت بين الجانبين معركة انتهت بانتصار صلاح الدين .<sup>(١)</sup>

والواقع أن هذه المعركة تعد من الممارك الهامة فى ذلك النزاع ، لما ترتب عليها من نتائج كان أهمها اقدام صلاح الدين عقب انتصاره فى تلك المعركة على حصار حلب ومن ثم اعلانه عزل الملك الصالح اسماعيل بقطع الخطبة عنه ، وإزالة اسمه من النقود ، ليدأ بذلك سياسة مغايرة لما كان عليه من قبل ، حيث كان قبل ذلك يكن ولاءه للملك الصالح على أساس الاعتراف بجميل والده نور الدين محمود . إلا أن تلك السياسة لم تجد على ما يبدو مع أولئك الأمراء الطامعين ، الذين اضطروا نتيجة تجرأ صلاح الدين على عزل الملك الصالح إلى الاعتراف بالأمر الواقع والسمى للصالح مع صلاح الدين . ووافق صلاح الدين على رفع الحصار عن حلب على أن يكون له ما بيده ولهم ما بأيديهم من بلاد الشام ، وأن يطلقوا ابن الداية . وأن تجتمع الجيوش الإسلامية لقتال الصليبيين ، ووقعت الايمان على ذلك . ويضيف أبو شامة نقلاً عن ابن أبى طى أن من جملة

---

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١١٩٨ أ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن الأثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، البندارى ، سنا البرق الشامى ، ج ١ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، ابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٢ .

اليمن أنه متى قصد الملك الصالح عمداً وحضر صلاح بنفسه وجيوشه ودافع عنه ،  
والا يشير الدعاء له على منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولاياته وولاية  
أصحابه ، وأن تكون السكة باسمه .  
(١)

وعقب توقيع ذلك الصلح ، عاد صلاح الدين قاصداً دمشق ، فلما وصل  
إلى حماه وصلت إليه رسل الخليفة المباسي المستنق ، ومعهم التشرifications  
الجليلة والأعلام السود ، وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام . ويبدو  
أن ذلك كان رداً على الرسالة السابقة ، التي أرسلها صلاح الدين إلى الخليفة  
المباسي ، تلك الرسالة التي حدد فيها أهدافه من المجيء إلى الشام .

وبذلك يمكن القول بأن صلاح الدين أصبح مطلقاً التصرف في البلاد  
التي تحت يده ، حيث أقطع خاله شهاب الدين الحارثي حماه وابن عمه ناصر  
الدين محمد بن شيركوه حصصاً .  
(٢)

وبعث سيف الدين غازي صاحب الموصل إلى أمراء حلب يلومهم على ذلك  
الصلح الذي نص على تملك صلاح الدين ما بيده من بلاد الشام ، بالإضافة

- (١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٣ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤١  
ص ٦٣٩ ، ابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ ،  
(٢) ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ١٩٨ أ ، النويري ، نهاية  
الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٢  
أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ،  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٣ ، أبو شامة ، الروضتين ،  
ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(١) الى تنبيه حماية الملك الصالح عند تعرضه لأي خطر خارجي • ولم يكشف سيف الدين غازي أمير الموصل بذلك التوبيخ الذي وجهه الى أمراء حلب بل أجبرهم على نقض ذلك العهد • وبعث اليهم رسولا من قبله أخذ عليهم المواثيق بذلك • ثم توجه ذلك الرسول الى دمشق • ليأخذ له من صلاح الدين العهد والميثاق ويكشف ما عنده من نوايا • فلما وصل طالبه صلاح الدين بنسخة اليمين • فأخطأ الرسول وسلمه ميثاق الحلبيين • فاطلع صلاح الدين على ما اتفقوا عليه • وتحقق انهم نقضوا العهد معه • فكتب الى نائبه بصر الملك العادل يطلب منه المجيء الى الشام استعدادا لما يبنيه له الزنكيون (٢)

أما سيف الدين فقد استعد للقتال استعدادا كبيرا حيث أنهى خلافه مع أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار • واستنجد بصاحب حصن كيفا • وصاحب ماردين (٣) • وسار بجيشه الى حلب • فانضم اليه أهلها • كما أرسل الى الصليبيين يطلب منهم مساعدته مقابل إطلاق سراح من كان في الأسر من أمرائهم (٤) • ثم سارت عساكر النوصل وحلب مع من انضم اليها الى تل السلطان وهو موضع على مسافة مرحلة من حلب باتجاه دمشق • أما صلاح الدين • فقد سار بعد أن وصلته الامدادات من مصر على رأس جيشه لملاقاة الزنكيين وحلفائهم

(١) الميمني • عقد الحماية • ج ١٢ • ورقة ٢٠١ • أبو شامة • الروضتين • ج ١ ق ٢ • ص ٦٤٧ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٣٢ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٣٦ • ابن كثير • البداية والنهاية • ج ١٢ • ص ٢٦٢ •

(٢) أبو شامة • الروضتين • ج ١ • ق ٢ • ص ٦٤٧ - ٦٤٨ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٣٢ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٣٦ - ٣٧ •

(٣) حصن كيفا • ويقال كيفا • وهي بلدة وقلعة عظيمة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر •

(٤) وماردين قلعة مشهورة على جبل الجزيرة مشرفة على نيسرود ارا ونصيبين (أنظر باقوت مجمع البلدان) •

(٤) أنار أبو شامة • الروضتين • ج ١ • ق ٢ • ص ٦٥١ •

فوصل الى تل السلطان • وهناك دارت بين الطرفين معركة في شوال سنة ٥٧١هـ / ابريل ١١٧٦م انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة أعدائه •  
(١)

ويمكن القول بأنه اذا كانت معركة قرون حماه • قد أنهكت آمال للملك الصالح في استعادة ما أخذه صلاح الدين من البلاد • فان سيف الدين غازي يمد هذه المعركة تعرض لنفس المصير • فقد عاد هاربا بعد تلك الهزيمة • وبلغ به الأمر أنه لم يمد يأمن على نفسه هناك حتى فكر في الهرب من الموصل لولا تدخل بعض رجاله لاقتاعه بالبقاء هناك • كما أن تصرف صلاح الدين يمد معركة تل السلطان دل على استحقاقه لزعامة المسلمين وقيادة جيوشهم في مستقبل جهادهم ضد الصليبيين • اذا ارجماعة أمراء حلب والموصل ثم أطلقهم بعد أن خلغ عليهم وهذا التصرف دفعهم الى الانضمام تحت لوائه •  
(٢)

كما يلاحظ أيضا أن صلاح الدين أراد بعد تلك المعركة تأمين مركزه في بلاد الشام وذلك بفصل حلب عن الموصل • فاستولى على بعض المدن الواقعة شرقي حلب مثل بزاعة ومنبج • كما يبدو أيضا أنه أراد قطع كل اتصال بينها  
(٣)

- 
- (١) الاصفهاني • البستان الجامع • ورقة ١٢٠ أ • ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٥١ - ٥٢ • ابوشامه • الروضتين • ج ١ • ص ٢ • ص ٦٥١ - ٦٥٢ • ابن واصل مفرج الكرب • ج ٢ • ص ٣٧ • ٣٩ • البند اوى سنن البرق الشامي • ج ١ • ص ٢٠١ • ابن المديم • زبدة الحلب • ج ٣ • ص ٢٦ - ٢٧ •  
(٢) أنظر ابن واصل مفرج الكرب • ج ٢ • ص ٤٠ • نظير حسان سمد اوى • التاريخ الحديث المصري • ص ٧٣ •  
(٣) بزاعة : بلدة من أعمال حلب بين منبج وحلب ( أنظر ياقوت • معجم البلدان ) •



( ١ )

فأستولى على قلعة أعزاز سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م • ثم توجه بعدها ففرض  
حصارا قويا على حلب في ذى الحجة من سنة ٥٧١ هـ / يونية ١١٧٦ م • ومنها  
يبدو أن الحلبيين أدركوا عدم قدرتهم على المقاومة • فكاتبوا صلاح الدين  
يتوسلون اليه ويطلبون منه الصلح • فلما جابهم الى ذلك • ودخل في هذا الصلح  
المواصلة وصاحب حصن كيفا • وصاحب ماردين • على أن يكونوا يدا واحدة على  
(٢)  
من نكس •

والواقع أننا نلاحظ أن صلاح الدين كان يسارع في كل مرة الى قبول  
الصلح عندما يبالغ منه الزنكيون • ولا يستبعد أن يكون قد قصد بذلك الاسلوب  
معالجة الأمور معهم بالطرق السلمية • مدخرا القوة للجهد ضد الصليبيين •  
أما عن دور الاسماعيلية في نزاع صلاح الدين مع الزنكيين • فتجسدر  
الاشاية الى أن الاسماعيلية طائفة لصيت دورا خطيرا في تاريخ الشرق الأدنى  
في عصر الحروب الصليبية • وأثرت عن طريق مباشر وغير مباشر في مجرى أحداث  
تلك الحروب • وينسب أفراد هذه الطائفة الى اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى  
سنة ١٤٥ هـ والذي نجح اتباعه في اقامة الدولة الفاطمية • وظلت هذه  
هذه الدولة تنزع الدعوة الاسماعيلية التي اشتهر ساعد ها بصفة خاصة في مصر  
والشام وفارس • الا أن هذه الدعوة تصدعت عقب وفاة الخليفة المستنصر بالله

- 
- ( ١ ) ابن شداد • الاصلاح المخطوطة • ج ١ • ورقة ١٢٨ ب • ابن الاثير •  
الكامل • ج ١١ • ص ٤٢٩ - ٤٣٠ • ابو شامة الروضتين • ج ١ • ص ٢٤٢  
ص ٦٥٥ - ٦٥٦ • ابن الوردي • التمهيد المختصر • ص ١٢٣ • سميد  
عاشور • الايوبيون والمماليك • ص ٤٣ •  
( ٢ ) ابن واصل التاريخ الصالح • ورقة ١٩٨ ب • ابن الاثير • الكامل • ج ١١  
ص ٤٣١ • ابو شامة • الروضتين • ج ١ • ص ٢ • ص ٦٦٨ •

الفاطمي حيث انشأ اتباعها في فارس والشام وانتوا الى نزار بن المستنصر  
 فاطلق عليهم اسم فرقة النزارية <sup>(١)</sup> . ومن أهم المبادئ التي أقام هؤلاء الاسماعيليه  
 عليها مذاهبهم ، ايمانهم بأن للمقيدة ظاهرا وباطنا ، وأن الشخص الذي يدرك  
 كنه الباطن ويتبعه لا يستحق العقاب ، وقد أدى بهم هذا الرأي الى تأويل  
 أحكام الشريعة ، فجعلوا لكل نوع من أنواع المياد باطنا ، مما جعل الناس  
 يطلقون عليهم اسم الباطنية <sup>(٢)</sup> .

وكان أول دعاة الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاءش الذي قد مـه  
 الباطنية عليهم والبسوه تاجا وجمعوا له الأموال . وبعد وفاته حل محله الحسن  
 ابن الصباح ، الذي يعد أشهر دعاة هذه الفرقة في التنظيم ، اذ نظم هذه  
 الفرقة تنظيما محكما أساسه مبدآن هما : السرية التامة والطاعة العمياء . كما قام  
 الحسن بن الصباح أيضا بتقسيم هذه الدعوة الى مراتب عدة ، أهمها مرتبة  
 الفداوية أو الفدائيين ، التي اهتم الحسن بتدريب أفرادها تدريبا خاصا  
 يتناول الجانبين الروحي والمادي ، بوصفهم الأداة التي اشتهرت بتنفيذ  
 سلسلة الاغتيالات التي اشتهروا بها في عصر الحروب الصليبية ، حيث كان القتل  
 هو السلاح الرهيب الذي استغله الباطنية في تنفيذ أغراضهم والتخلص من أعدائهم <sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) سميح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في المصور الوسطى ،  
 ص ٣٤٠ ، بونارد لويي ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية )  
 ص ٥٤ - ٥٥ ، ٦٤ .
- (٢) عبد النعميم حسنين ، سلاجقة ايران ، ص ٧١ ؛ سميح عاشور ، تاريخ  
 العلاقات بين الشرق والغرب في المصور الوسطى ، ص ٣٤٠ .
- (٣) سميح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في المصور الوسطى ،  
 ص ٣٤١ ؛ بونارد لويي ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية )  
 ص ٦٣ .
- (٤) سميح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٣٤١ - ٣٤٤ .

ويدو أن نشاط هؤلاء الباطنية الهدام أخذ يمتد الى بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس الهجرى ، عند ما عطف عليهم رضوان ملك حلب واستمد لحمايتهم ، حيث استغل هؤلاء الباطنية ذلك ، وأخذوا يباشرون أعمالهم الاجرامية هناك ، حيث قاموا فى سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م بقتل خلف بن ملاعب صاحب أناميه (١) .

وعلى كل فانه فى الوقت الذى كان صلاح الدين مشغولا بتوحيد الجبهة الاسلامية اضطر بعض الأحيان الى عقد هدنة مع طائفة الاسماعيليه فى بلاد الشام ، تلك التى أصبحت تملك قلاعا قوية ، وقد أزعجها ذلك النجاح الذى حققه صلاح الدين فى هذه البلاد . كما يبدو أن زعماء المسلمين وأمراءهم بالشام جملاوا منهم ورقة رابحة لخراجها عند عزيمهم على التخلص من منافسيهم ، وخصوصهم . ولعل أكبر دليل على ذلك ما حدث من أمراء حلب من الاستعانة بهم للفتك بصلاح الدين عند حصاره لحلب سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م . حيث أرسل سـمـحـد كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية ، وبذل له أموالا كثيرة ليقتل صلاح الدين فأرسل سنان جماعة من "فتاك أصحابه" فجاءوا الى معسكر صلاح الدين واختلوا بمعسكره فمروهم الأمير خمارتنكين صاحب قلعة أبى قبيس ، فزجروهم ، فوثبوا عليه (٢) وجرحوه ، ثم قدم أحد هم وبيده سكينه مشهورة بقتل صلاح الدين ، فلما وصل الى باب الخيمة اعترضه أحد الأمراء فقتله ، ثم قبض على الباقيين وقتلوا (٣) .

- 
- (١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٩ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٩ ، لابو شاهه فيذكر فى الروضتين ، ج ٦ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ ، نقلا عن ابن أبى طى أن الاسماعيليه وثبوا على ناصح الدين خمارتنكين وقتلوه .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٩ ، ابو شاهه ، الروضتين ، ج ٦ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ .

لم تقتصر محاولة الاسماعيلية الفتك بصلاح الدين على هذه المحاولة الأولى التى وقعت فى حلب ، بل حاولوا مرة أخرى الوثوب عليه بتحريض من أمراء حلب ، وهو يحاصر قلعة أعزاز سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م ، حين هجم عليه جماعة منهم حاولوا قتله لولا شجاعة صلاح الدين وتفانى أصحابه فى الدفاع عنه ، واحباط (١) محاولتهم تلك وقتلهم .

وهكذا أدى اتساع نشاط هؤلاء الاسماعيلية فى بلاد الشام بوجه خاص الى اضافة عامل قوى جديد الى عوامل التفكك التى تعرضت لها تلك البلاد فى عصر الحروب الصليبية . ومن هذا المنطلق أدرك صلاح الدين أنه لى يحقق مشروع الوحدة الاسلامية ، فان عليه أن يقوم بتأديب تلك الطائفة . فمأن عقد الصلح مع أهل حلب حتى اتجه الى بلادهم وحاصروا أهم قلاعهم وهى قلعة صيف (٢) سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، وضيق على من يدخلها ، ولم يزل كذلك حتى أرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارثى خال صلاح الدين صاحب حماه يطلب منه التدخل بينهم ، ويصلح الحال ويشفع فيهم . وهنا يذكر ابن الاثير أن شهاب الدين وافق على طلبهم ذلك وتدخل لى صلاح الدين بسبب تهديد الاسماعيلية له ، بالانحاف الى ضجر جيش صلاح الدين

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٣٠ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ١٥٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٣٣٥ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ابن تشرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ص ١٧٠ ، أنار أيضا Lewis, Saladin and the Assassins, p. 238-239.

(٢) سعيد عاشور ، تاريخ الملاقات بين الشرق والغرب فى المصور الوسطى ، ص (٣) صيف ، أو صيف ، حصن مشهور بالساحل قرب بطرابلس ، ( ياقوت ، معجم البلدان ) .

(١) من طول الحرب • أما ابن واصل • فخرج ذلك الى الجيرة التي كانت بسين  
 الاسماعيليه وشهاب الدين الحارثي • في حين يذهب آخرون أن شهاب الدين  
 هذا لا علاقة له بذلك • وأن صلاح الدين وافق على الصلح بسبب خوفه من  
 (٢) هجوم الصليبيين على الشام الأعلى وهو حميد عنهم •  
 (٣)

ومهما يكن من أمر • فإن صلاح الدين الذي كان يبذل كل جهده  
 للقضاء على كل ما يعكر صفو الوحدة الاسلاميه وافق على صلحة الاسماعيليه  
 لأنه كان يرى أن من الأحسن ادخار قوته لساعة الفصل مع الصليبيين •

استيلاء صلاح الدين على مدن إقليم الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م :

وفي سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م توفي الملك الصالح اسماعيل بمسدد أن  
 عهد بولاية حلب لعمز الدين مسعود • صاحب الموصل • فأرأى صلاح الدين  
 خطورة ذلك • وأخذ يفكر في قطع الصلة نهائيا بين حلب والموصل واضعافهما  
 ورأى الوسيلة الى ذلك استيلاء على مدن إقليم الجزيرة •

ومما لا شك فيه أن صلاح الدين كان يعلم ما لهذه البلاد من أهمية  
 كبرى في جهاده ضد الصليبيين • فهو كما يبدو لنا كان في مقدوره عندما خرج  
 من مصر بعد تحصينها والاطمئنان عليها ببناء السور وتشييد القلعة على طرَف

(١) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٣٤٦ •

(٢) ابن واصل • مفرج الكرب • ج ٢ • ص ٤٨ • أنظر أيضا :

B. G.ewis, Saladin, and the Assassins, p.p. 230-240

(٣) الميني • عقد الجابق • ج ١٢ • ورقة ٢٠٥ • والبنداري • سنا البرق

الشام • ج ١ • ص ٢١٩ •

المقطم - كما سترى فيما بعد - (١) الاتجاه الى الشام بعد وفاة الملك الصالح و

والاستيلاء على حلب و حيث حاصرها ثلاثة أيام فقط و ثم رحل عنها ولمل السبب (٢)

فى ذلك ان رآه أن جيش الشام ومصر لن يتقى لقتال الصليبيين فى فلسطين

فضلا عن تخوفه على ما يبدو من خيانة أهل هذه البلاد وضربه من الخلف أثناء

جهاده ضد الصليبيين فأثر ضمها أولا • وبلغ به المزم على ذلك أنه رفض المودة

الى بلاد الشام عندما بلغه آنذاك هجوم الصليبيين على دمشق وتخريب بعض

المدن المحيطة بها • بل أجاب أصحابه بقوله • يخربون قرى ونملك عوضا عنها

(٣)

بلادنا ونعمدها ونقوى على قصد هم •

ورحل صلاح الدين عن حلب قاصدا البلاد الشرقية فى جمادى الأولى

من سنة ٥٧٨هـ / ديسمبر ١١٨٢م • وهنا تذكر المصادر سببا آخر شجع صلاح

الدين على السير الى هناك و ذلك أن مظفر الدين كوكبورى • صاحب حران و

كاتبه يخش على ذلك ويعدده المساعدة • (٤) فارتحل عن حلب ونزل على البيرة السقى

كان صاحبها قد دخل فى طاعة صلاح الدين • (٥) وهنا يبدو أن صلاح الدين أدرك

تذمر بعض الامراء من سياسة الزنكيين • فكاتب ملوك البلاد المجاورة هناك

(١) أنظر ما يلى - ص

(٢) ابن شداد و النودر السلطانية • ص ٥٦ • أبو شامة • الروضتين • ج ٢ •

ص ٣٠ • المقريزى • السلوك • ج ١ • ص ٧٨ • ابن كثير • البداية والنهاية •

ج ١٢ • ص ٣١١ • وابن سميد • المغرب • فى حلى المغرب • ص ١٤٨ •

(٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٤٨٤ •

(٤) ابن شداد و النودر السلطانية • ص ٥٦ - ٥٧ • أبو شامة • الروضتين • ج ٢ •

ص ٣٠ • ابن خلكان • وفيات الاعيان • ج ٥ • ص ٢٠٥ • أبو الفداء المختصر

فى أخبار البشر • ج ٣ • ص ٦٤ •

(٥) أنظر ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٤٧٥ - ٤٧٦ • وابن واصل • مفرج

الكروب • ج ٢ • ص ١١٦ • ١١٧ •

ووعدهم بأن من جاء اليه راضيا سلمت بلاده له ، على أن كون من أجنساد  
السلطان ومساعد يعطى جهاد الصليبيين ، فجاء الى خدمته صاحب ماربين ه  
ورسول من قبل صاحب حصن كيفا ممثلين طاعتها له . أما عز الدين وأصحابه  
فانهم تأنوا قد ساروا الى نصيبين قاصدين حماية حلب من صلاح الدين الأنهم  
فوجئوا به بمبر الفرات اليهم ، فمادوا الى الموصل ، فاستغل صلاح الدين  
ذلك ، وهاجم أقليم الجزيرة فاستولى على الرها وحران والفرقة وسروج ونصيبين  
(٢)  
وفيها سنة ٥٧٨ هـ / ١١٧٢ م .

ويبدو أن صلاح الدين بعد انتصاره ذلك أراد أن يستغل تواجد  
جيوشه في تلك المنطقة ، فاستشار أصحابه في مهاجمة الموصل أو سد جاراو  
جزيرة ابن عمر ، فأشاروا عليه بالموصل لأهميتها ، فحاصرها حضارا شديدا  
(٣)  
قابله الزنكيون بمضود هائل .

ويبدو أن صلاح الدين أخذ يشمر الحرج لمهاجمة الزنكيين - وهم  
مسلمون مما لا يتفق ودعوى الجهاد ضد الصليبيين ، لذلك حاول أن يدغم  
مركزه بطلب التأييد من الخليفة المباسي الناصر لدين الله فبعث اليه رسالة  
يتهم فيها أمير الموصل بأنه عقد تحالفا مع الصليبيين قال فيها : « ولما تحقق

- 
- (١) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١١٢٣ - ب ، أبو شامة ، الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ ،  
ابوالفدا ، المختصرة في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٦٤ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص  
٤٨٣ - ٤٨٤ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ابن المدي ،  
زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٥٨ ، القزويني ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ابن  
كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١١ .  
(٣) أنار ابن حميد ، الروض المهبوب ، ج ٢ ، ورقة ٢٩ ، ابن الاثير ، الكامل ،  
ج ١١ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٣ ، ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٩ - ٢٢١ .

الخدام أن المواسلة قد واصلوا الفرنج مواسلة<sup>١</sup> خلصوا فيها الضمائر ٠٠٠٠ وعقدوا معهم عقدا ٠٠٠٠ وكان عقد هم احدى عشرة سنة ، والمستقر لهم في كل سنة عشرة آلاف دينار على أن تسلم ثغور المسلمين الى الكفار ٠٠٠٠٠ وأسارى الفرنج في كل بلدة بأيديهم وفي كل بلد يسترجعون من الخدام مائة الف الفرنج ..... (١).

ولم يتأثر عز الدين محمود صاحب الموصل ، بتلك المناورات التي قام بها صلاح الدين ، بل صمم على الصمود أمامه ، فلجأ الى الاستانة بمحمدين الامراء المجاورين مثل قزل ارسلان صاحب اذربيجان وشاه ارض صاحب خلاط . أما الخليفة العباسي ، فقد اكتفى بالسمي للصلح بين صلاح الدين والزنكيين ، وفوض صدر الدين شيخ الشيوخ في القيام بتلك المهمة ، حيث كان المواسلة قد بحثوا اليه عندما علموا بمقد صلاح الدين رسولا يخبره بذلك ، ويطلبون منه التجده ، الا أن هذه الوساطة لم تنجح بسبب اختلافها حول شروط (٤) الصلح .

والواقع أنه بالرغم من أن الصلابة بين صلاح الدين والخلافة العباسية قد ازدادت رسوخا وثباتا بحيث فاقت بكثير ما كان هناك بين سيده نور الدين

(١) ابو شاهه ، الروضتين ج ٢ ص ٣١ ، ابن شاهه ، انشاء الأبيي ، مضممار الحقائق ، ص ١٤٤ ، أنظر أيضا سعيد غامره ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٧٦ - ٧٧٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٧ .

(٣) الشيخ صدر الدين هو شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعيد ابن أحمد النيسابوري ولد سنة ٥٠٨ هـ ، ذكر ابو شاهه ، الروضتين ج ٢ ص ٥٧ أنه رتب في شيوخه الشيوخ منذ توفي والده سنة احدى وأربعين وخمسة مائة ، ولم يزل على ذلك الى أن توفي في سنة ٥٨٠ هـ ( أنظر أيضا ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٥٠٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٦٢ )

(٤) أنظر ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٦ ، ابو شاهه ، الروضتين ج ٢ ص ٣٣ ، =



والخلافة المباسية في بغداد ، لاتفاقهما في المصالح والأهواء . فالخلافة  
الفاطمية التي انتهت في مصر على يد صلاح الدين ، خلفت وراءها ذيو لا  
يستهان بها ، مما سبب لصلاح الدين متاعب كثيرة ، حيث تعرض لمدة مؤامرات  
من جانب الشيعة في مصر ، فضلا عن المؤامرات التي دبرها الباطنية لقتله  
بالشام . وإزاء هذه الاخطار التي هددت صلاح الدين من جانب الشيعة  
في مصر وجد نفسه مضطرا للارتقاء في أحضان الخلافة المباسية ، التي لاشك  
أنها نظرت بحسن المصطف والارتياح الى الجهود الكبيرة التي بذلها صلاح الدين  
في استئصال جذور التشيع من مصر ، وتوطيد دعائم المذهب السني ، فضلا  
عن أن الخلافة المباسية في صحتها كان يمنيها في المقام الأول ، أن يكون لها  
في مصر وإشام رجل قوى يدب لها بالتهمة والروحية على الأقل . <sup>(١)</sup> غير أن  
الخلافة المباسية قد أقلقها بعد ذلك الانتصار السريع الذي حققه صلاح الدين  
ضد الزنكيين ، وأنها أصبحت تخاف على مركزها سيما وأنه بوصوله الى الموصل ،  
أصبح منها قاب قوسين أو أدنى . لذلك لا يستبعد أن نرى أنها أصبحت عقب  
ذلك حريصة كل الحرص على الإبقاء على البقية الباقية من البيت الزنكي خوفا من  
ازدياد نفوذ صلاح الدين ، ليصبح قوة تطغى على نفوذ الخلافة ، ولتتطاول  
الموصل كما كانت خطا دفاعيا عن بغداد . ولعل مما يؤيد ذلك ما ذهب اليه <sup>(٢)</sup>  
بعض المؤرخين من أن الخليفة المباسي بعث الى صلاح الدين يأمره بالرحيل

= ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، ابن شاهنشاه  
الايوبي ، مضمائر الحقائق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١) أنظر سعيد طاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ المصور الوسطى ، ص ٦٩ -  
٧١ .

(٢) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٣٩ .

(١)

عن الموصل أثناء حصاره لها .

وأخيرا يمكننا القول بأن صلاح الدين رأى أنه لابد من ترك حصار  
الموصل لهذه الأسباب آنفة الذكر مضافا إليها تخوفه من تلك المعاهدة التي  
انعقدت بين الموصل والصليبيين ، والتي تعهد أهل الموصل فيها بدفع  
عشرة آلاف دينار سنويا للصليبيين ، وتسليمهم بعض ثغور المسلمين ، وإطلاق  
سراح أسراهم مقابل مساعدتهم ضد صلاح الدين . (٢)

وفي طريق عودته صلاح الدين من الموصل ، مر بسنجر التي كان أهلها  
أثناء حصاره للموصل يقتلهمون طريق من يقصده من عساكره ، فاستولى عليها فـى  
شعبان من سنة ٥٧٨ هـ / ديسمبر ١١٨٢ م . (٣)

استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م :

يذكر ابن الأثير أن سيف الدين غزى صاحب الموصل في آخر أيامه وذلك  
سنة ٥٧٦ هـ أراد أن يعهد بملك الموصل لابنه ممر الدين سنجر شاه ، إلا أن  
كبار أمراءه قد خلوا وأشاروا عليه بأن يعهد بذلك لأخيه عز الدين مسعود ، لما  
هو عليه من شجاعة وقوة نفس يستطيع بها مقاومة صلاح الدين الذي اتسع  
نفوذه في بلاد الشام . (٤)

- 
- (١) ابن الصمد ، ذخرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، المبر في خبر من غيره  
ج ٤ ، ص ٢٣٢ .  
(٢) أنظر ما سبق ، ص ٦٦ .  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٤٨٧ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ .  
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٦٣ .

كما سار على هذا النهج الملك الصالح اسماعيل في حلب ، فانه عندما اشتد به المرض وأراد أن يوصى بالملك بحده ، أشير عليه بابن عمه وصهره عماد الدين زنكي الثاني فرفض ذلك ، وذكر أصحابه بما وصل اليه نفوذ صلاح الدين في بلاد الشام ، وأنه لم يبق منها سوى مدينة حلب نفسها وإذا سلمت إلى عماد الدين لم يستطع حفظها من صلاح الدين ، وصلى استولى عليها صلاح الدين فلن يبقى للمبيت الزنكي مقام هناك ، وأن من الأحسن تسليمها إلى عزالدین مسعود صاحب الموصل لكثرة عساكره وبلائه وأمواله .<sup>(١)</sup>

وبالرغم من أنه يبدو للباحث من هاتين الروايتين أن الأمراء الزنكيين أصبحوا يخشون بأس صلاح الدين إلى درجة أن كل أمير تحضره الوفاة كان يعمد إلى اختيار خلف قوى يستطيع مكابهة صلاح الدين .

د سبتمبر  
وعندما توفي الملك الصالح في رجب من سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م سار عزالدین مسعود إلى حلب فتسلمها ودخل قلعته ، واستولى على ما بها من الخزائن ، وتزوج أم الملك الصالح قاردا بذلك تثبيت أقدامه هناك .<sup>(٢)</sup> ويذكر ابن الأثير وغيره أن أهل حماه خرجوا عن طاعة صلاح الدين وذلك في شعبان من سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م ، وأن أهل حلب أشاروا على عزالدین بمهاجمة

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٣ ، أنظر أيضا أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ ، سبط ابن الجوزي ، مآثر الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٦٧ ، ابن واصل ، فوج الكرب ، ج ٢ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ابن المدني ، زبدة الطب ، ج ٣ ، ص ٤١ ، ابن تفری بردی ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ .
- (٢) تاريخ ابن أبي الهيثم ، ورقة ١٧٨ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، ابن خلکان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، سبط ابن الجوزي ، مآثر الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٦٧ .

دمشق وغيرها من بلاد الشام مستغلين غياب صلاح الدين عنها ، فلم يمسسل  
وقال : « بيننا وبين فلا نفد ربه » . (١) ويبدو أن تردد عز الدين ومحافظته على  
المهد يرجع الى ما أشاعته هيئة صلاح الدين وشخصيته في قلبه من رغبة وفزع . (٢)  
كما لا يستبعد أن يكون قد شعر بأن توسعه قد يؤدي الى إثارة أخيه عماد  
الدين ونفى وفتنائه خاصة وأنه كان يحظى بمكانة كبيرة في نفوس أهل الشام  
بدليل الحاحهم بادي الأمر على الملك الصالح بأن يجعله خلفا له .

ولم يطل مقام عز الدين محمود بحلب بل رحل عنها في شوال من سنة  
٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . بعد تسلمها بعدة شهور الى الرقة وفيها وصلتته رسل  
أخيه عماد الدين صاحب سنجار يدالبه أن يسلم اليه حلب ويأخذ منه سنجار  
وهذا عنها ، فلم يجبه الى ذلك . ولكن يبدو أن عز الدين كان قد تخوف من رد  
الفصل لدى صلاح الدين ، وخاصة أن أخاه عماد الدين قد عدده بأن يسلم  
سنجار الى صلاح الدين اذا لم يوافق على طلبه . كما أن تسليم حلب لمز الدين  
لم يرق لبعض الأمراء فيها ، حيث راسلوا عماد في السرية اليون مجيئه الي  
حلب . بالإضافة الى الحاحهم في طلب الاموال والزيادة في الاقتطاع . كل ذلك (٣)  
(٤)

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .  
(٢) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٣٠ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ ، ابو شامة ، البروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٧ .  
(٤) أنظر ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٥ .  
(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

جمل عز الدين يوافق على طلب أخيه ، فتنازل له عن حلب مقابل أخذ سنجاره ،  
وعاد إلى الموصل بعد أن أدرك أنه ليس بإمكانه حفظ الموصل مع الشام .  
(١)

وحدث ما توقعه عز الدين مسعود حيث وصل صلاح الدين إلى الشام  
في صفر من سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ، وبدأ بحصار حلب ، ثم رأى أن يتجه شرقاً  
لتنزو الموصل فاستولى على مدن إقليم الجزيرة - كما سبق أن ذكرنا - وعاد  
بعد ما قاصدا حلب فاستولى في طريقه على آمد وتل خالد وعين تاب في المحرم  
من سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م .<sup>(٢)</sup> ويبدو أن صلاح الدين قصد بذلك قطع أي اتصال  
بحلب بالإضافة إلى تعزيز قواته لحصارها . ولعل ذلك كان السبب في أنه سلم  
آمد بخزائنها إلى صاحب حصن كيفا ، كما أن عذا العمل يبعد صلاح الدين  
كل البعد عن الأنانية وجب السلطة ، وقصد بأعماله تلك الاستعداد لجهاد  
الصليبيين .  
(٣)

اتجه صلاح الدين بعد ذلك إلى حلب في المحرم من سنة ٥٧٩ هـ / يونيو

١١٨٣ م فأحكم حصارها ولقي مقاومة من أهلها بادية الأمر . ولكن يبدو  
أن عماد الدين زكي الثاني أدرك أنه لا قبل له بمقاومة صلاح الدين وذلك  
لأسباب عدة منها : أن ذلك سوف يكلفه الشيء الكثير ، حيث أخذ يقتصد في

(١) سبط ابن الجوزي ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٧ ؛ ابن واصل ،

مفج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛ ابن واصل ، مفج الكروب  
ج ٢ ، ص ١٣٩ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ ابن خلدون ،  
السير ، ج ٥ ، ص ٣٠ ؛ ابن الوردي ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، وآمد  
مدينة من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً ، وتل خالد قلعة من نواحي  
حلب ، وعين تاب قلعة حصينة بين حلب وناطكية ( أنظر ياقوت ، معجم  
البلدان ) .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٤ ؛ ابن تشرى بردي ، النجوم ، =

اخراج الاموال ، محتجا بأن اخاء عز الدين مسمود لم يترك له بها شيئا . الأمر  
(١)

الذى أغضب أهل حلب ، وطلبوه بانفاق كل ما يملك في سبيل الحفاظ عليها .

كما أن لحثكة صلاح الدين دور كبير في ذلك ، حيث تظاهروا بأنه يريد أن يسكن

مساكن على جبل جوشن بالقرب من حلب ، مما أدخل الرهبة والفزع في قلوب

الحيبيين . (٢) يضاف الى ذلك وقوف عز الدين مسمود من ذلك موقفا سلبيا - حيث

لم تذكر المصادر قيامه بشئ لمساعدة أخيه وحماية حلب . لذلك اضطر عماد

الدين الى مفاوضة صلاح الدين ، ومال الى أن يسلم اليه جلد مقابل اعطائه

سنتار ، فوافق صلاح الدين على ذلك ، وزاده على طلبه الخابور والرقصة

ونصيبين . واستقر لصلاح الدين أمر حلب في صفر من سنة ٥٧٩هـ / يونيه

(٣)

١١٨٣م

والواقع أن استيلاء صلاح الدين على حلب قد ترتبت عليه نتائج هامة

كان لها الأثر الكبير في مشروح الجهاد ضد الصليبيين . حيث أصبحت مقاليد

بلاد الشام كلها بيد صلاح الدين ، كما أنه يمكن القول بأن دولته بعد ذلك

أصبحت من جهة السعة والنفاعة الحربية والسعة أكبر دولة في الشرق الأدنى

كله ، إذ شملت جميع البلاد من دجلة الى النيل وشواطئ أفريقيا الشمالية حتى

طرابلس ، فضلا عن التوبة واليمن والحجاز . وذكر ابن جبير أنه في جمادى

الأولى من سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م دعا الخطيب بمكة للخليفة المباسي ، ثم

■ ج ٦٤ ص ٩٤ ابن المبرور تاريخ مختصر الدول ص ٢١٩ ، البارز  
الصربني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، القسم الاول ، الايامون

(١) ابن الأثير الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، مفترج الكروب ، ج ٢  
ص ١٤٢ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، مفترج الكروب ، ج ٢  
ص ١٤١ ، ابن شاغشاه الايوبي ، مضار الحقائق ، ص ١٤١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٧ ، ابو شامة ، الوضعتين ، ج ٢ ص ٤٣  
سيف ابن الجوزي ، مرة الزمان ، ج ٨ ص ١٦٥ - ١٧٦ ، ابن  
واصل ، التاريخ الصالح ورقه ٢١٠ ب ، أنظر ايضا المحاد ، البرق الشامي

ج ٥ ص ١٠٩ - ١١٠

لأبير مكة ، ثم لصالح الدين ، وما أن وصل الى اسم صلاح الدين حتى «  
(١)  
خفقت الألسنة بالتأيين عليه من كل مكان » .

أما بالنسبة للصليبيين فإن استيلاء صلاح الدين على حلب وتوابعها ،  
كان بمثابة ضربة خطيرة وجهت لهم ، ذلك أن صلاح الدين بهذا العمل أصبح  
أقوى حاكم في الشرق الاسلامي . بالإضافة الى تأكيد الروابط العسكرية بين  
مصر والشام ، حتى غدت أملك الصليبيين بالشام محصورة داخل هذا  
المحور . (٢)

واستطاع صلاح الدين باستيلائه على حلب ، أن يوقع الانقسام بين  
البيت الزنكي نفسه ، فترى أن من ضمن الشروط التي سلم بخوجبها سنجرار  
وغيرها من مدن إقليم الجزيرة الى عماد الدين زنكي الثاني ، أن تكون جيوش  
ثلاث المناطق تحت تصرفه اذا أراد الفزوة . (٣)  
ولعله بهذا العمل قد ضمن عدم  
تدخل عماد الدين لمساعدة أخيه عز الدين محمود صاحب الموصل اذا ما أراد  
صلاح الدين بمهاجمة الموصل . والأهم من ذلك أنه بهذا الشرط ضمن  
موازنة عماد الدين له اذا أراد الفزوة ضد الصليبيين .

الموصل تدوين بالولاة لصالح الدين سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥ م :

بعد أن استولى صلاح الدين على حلب توجه الى جهاد الصليبيين

- (١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٦ ، نظير حسان سنداوى ، التاريخ الحربى  
المصرى ، ص ١٤٨ .
- (٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٠ ، نظير حسان سنداوى  
التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٤٧ .
- (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٧ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٤٣ ، ابن وأصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(١) بعض الوقت ، ففزا بيسان والترك ، وهذا يكشف لنا السياسة الحكيمة التي اتبعها صلاح الدين في تلك الرحلة التي كان يعد نفسه بها للجهاد ضد الصليبيين ، ففي الوقت الذي كان يعمل فيه جاهدا لتوحيد الجبهة الاسلامية ، كان يقوم بخيارات متعددة على مقتضات الصليبيين ، لايجاد توازن بينه وبينهم ، حتى تمكن في النهاية من التفريغ لهم ، الا أن ذلك لم ينسهم ضم الموصل ، والاستفادة من امكانياتها في جهاد ضد الصليبيين ، والمزمع على حصارها . وهناك ثلث احداث ربما كان لها الأثر الكبير في دفعه الى اتخاذ هذه الخطوة من ذلك ما قام به مظفر الدين كوكبورى صاحب حران من حيث صلاح الدين على قصد الموصل ، حيث أكثر من مراسلته ، ثم خلف بوعده عندما وصل صلاح الدين الى حران ، بالإضافة الى استنجاد صاحب أربل به عندما تعرض لهجوم من قبل عز الدين مسعود نفسه . كما يبدو أن عز الدين مسعود بمسند أن استولى على حلب أدرك حرج موقفه ، وأنه ليس في مقدوره مقاومة صلاح الدين لو حاصره الموصل . لذلك أراد أن يدخل في مفاوضات معه . فبعث الى الخليفة المباسى يتوسل اليه في انقاذ مندوب من قبله الى صلاح الدين للقيام بدور الوساطة بينهم ، فأرسل شيخ الشيوخ صدر الدين الذي انضم اليه وفد من أهل الموصل . ووصلوا الى دمشق في ذي القعدة من سنة ٥٧٩هـ / فبراير ١١٨٥م ولكنهم عادوا دون التوصل الى نتيجة في ذلك .

(٤)

- (١) أنظر ما يلي في الفصل الثالث :  
 (٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٨ ، سبط ابن الجوزى ، امرأة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٨٣ .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٥ ، سبط ابن الجوزى ، امرأة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، ابن شا منشاء الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .  
 أنظر أيضا العماد ، البرق الشامى ، ج ٥ ، ص ١٦ - ١٧ .



ومهما يكن من أمره فان صلاح الدين سار الى حران في أوائل سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م وهناك انضمت اليه عساكر صاحب حصن كيفا ، ودارا ، كادخل في طاعته ممزالدین سنجر شاه ابن أخى عز الدين مسعود ، صاحب جزينرة (١) ابن عمر ، الذى كان قد خرج عن طاعة عمه بعد قبضه على مجاهد الدين قايماز . ثم سار صلاح الدين باتجاه الموصل في ربيع الأول من سنة ٥٨١هـ / يونية ١١٨٥م . ويبدو أنه أراد أن ينال من الخليفة المباسى تقليدا يخوله الاستيلاء على الموصل ، فبحث اليه يخبره بما عزم عليه من منازلة الموصل وأن هناك أسبابا تجبره على ذلك منها أن أهل الموصل يخاطبون لسلطان المجمع ، وينقشون النقود باسمه ، كما أنهم يراسلون الصليبيين ويجرضونهم على مهاجمة بلاد الاسلام ، وأنه لا يقصد بذلك الطمع في الملك أو التخلص من البيت الزنكى ، وإنما قصده رد عم السى طاعة الخليفة ونصرة الاسلام ، وقطعهم عن مواصلة المجمع (٢) .

أما عز الدين مسعود فانه لما سمع باقتراب صلاح الدين من الموصل أخرج اليه نسوة كان من بينهن ابنة نور الدين محمود ، ومعهن جماعت من أعيان الموصل يطلبون من صلاح الدين الصلح ، فأستشار صلاح الدين أصحابه في ذلك فاختلفوا بين مؤيد وممتنع وقال بعضهم « ان عز الدين ما أرسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد » وازاء هذه المباراة لم يستطع ابن الاثير أن يخفى تعصبه للمواصلة ، فذكر أن عز الدين مسعود لم يرسل هؤلاء النسوة بسبب احساسه

(١) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٢) ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

(١) الضعف والوهن أمام صلاح الدين ، وإنما فعل ذلك لدفع الشر بالحقى من أحسن .  
ولاشك أن عز الدين مسعود أدرك أنه سيواجه صلاح الدين وحيداً ، وأنه لستم  
يمد يدهم في أكثر من الموصل . لذلك أثر أن يذل كل ما في وسعه في سبيل  
الاحتفاظ بها ، إلا أن صلاح الدين كان يعلم أنه لن يهدأ بالآلا بالسيطرة  
على تلك المنطقة ، فرد النسوة وصم على النزول على الموصل بالرغم مما وصله  
عن اتفاق ملوك الشرق على قتله إذا هاجم الموصل . ونفوس عليها حصاراً استمر  
(٢)  
قراية شهر . (٣)

وفي تلك الاثناء توفي شاه أرغين صاحب خلاط في ربيع الآخر من سنة  
٥٨١هـ / ١١٨٥م ، ولم يكن له ولد يخلفه فقام أحد مماليكه . ويسد (٤)  
صلاح الدين كان يتحين الفرض لتوسيع نفوذه في تلك المنطقة فأصدا بذلك  
تضييق الخناق على الموصل ، فاستشار أصحابه في قصد خلاط ، ثم حدث أن  
جاءه بعض أعيانها ، يستدعونه ليسلموها اليه . وهنا يقال أنهم فعلوا ذلك  
مكراً وخديعة بصلاح الدين ، بسبب خوفهم من شمس الدين البهلولان —  
اليدكر صاحب اذربيجان وهذان الذي كان ينوي السيطرة على بلد هم ، في  
الوقت الذي سمعوا فيه بمسير صلاح الدين اليهم . ليدفعوا به البهلولان ويدفعوه

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٢ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣ ، وذكر أن ابن المديم ، ( زبدة  
الجب ، ج ٣ ، ص ٨٢ ) أن ذلك الحصار استمر شهرين .  
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٥١٣ - ٥١٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، ص  
٣٨٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، وغلظه  
تعبية ارمينية الوسطى ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

(١)

بالبهلوان ويبقى البلد بأيديهم .

ومهما يكن من أمر فإن صلاح الدين سار باتجاه خلاط ونزل على ميافارقين ،  
 وحلول الاستيلاء عليها بالقوة إلا أنه لقي مقاومة كبيرة بها ، الأمر الذي دعا إلى  
 إلى استخدام الحيلة في ذلك . فأوقع بين زوجة قطب الدين الملك النور صاحب  
 ماردين المقيمة بالبلد بعد وفاة زوجها وبين أسد الدين برنقش الذي ولّى  
 ميافارقين بعد وفاته . فسلم أسد الدين البلد إلى صلاح الدين في جمادى  
 الأولى من سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م مقابل اشتراطه مالا واقطاعا .  
 (٢)

والواقع أن استيلاء صلاح الدين على ميافارقين بعد من الأحداث الهامة  
 في ذلك النزاع الذي دارت رحاه بين صلاح الدين والبيت الزنكي ، فهو بجانب  
 كونه بذلك قد ضيق الخناق على الموصل ، فإن ابا شامة يذكر نقلا عن المماد  
 الاصفهاني ، أن صلاح الدين قلدا نال بعد فتحها تشريفا من الخليفة العباسي  
 خوله النظرفي أحوال ديار بكر ومصالح ايتام ملوكها . الأمر الذي زاد مركزه  
 قوة في تلك المنطقة ، وأصبح كل تصرف له مصبوظ بصيغة شرعية .  
 (٣)

عاد صلاح الدين بعد أن رتب شئون ميافارقين قاصدا حصار الموصل .

- 
- (١) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٤ .
  - (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٦ ، وابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ ، وابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، ابن سعيد ، المشرب في حلى المشرب ، ص ١٥١ ، ابن العباد ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، الذهبي ، المبر في خبر من غيره ، ج ٤ ، ص ٢٤١ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٤١٩ .
  - (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

فلزل بالقرب منها وذلك في شعبان من سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م \* وهنا يبدو  
 أن عز الدين مسعود قد فقد الأمل في الحفاظ على الموصل \* خاصة بمسند  
 (١)  
 فشله في الحصول على النجدة من الخليفة العباسي \* وملك الحشم البهلوان \*  
 بالإضافة إلى كون صلاح الدين قد عزّم على المقام بالقرب من الموصل  
 (٢)  
 واقطاع تلك البلاد على جيشه \* وأخذ غلالها ودخلها \* وأضماها الموصل بذلك \*  
 ومن ناحية أخرى فإنه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين نفسه قد رأى أن من  
 الأفضل مصلحة الموقف بالطرق السلمية \* فأصداً بذلك حقق دماء المسلمين  
 التي لا يغنى له عنها في جهاد ضد الصليبيين بعد ذلك \* كما يحتمل أيضاً  
 أن يكون قد تخوف من قيام الصليبيين بهجوم مباغت على بلاد الشام مستغلين  
 طول غيابه عنها \* ولعل ما يؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن  
 صلاح الدين قد أرسل إلى عماد الدين زنكي ( الثاني ) صاحب سنجار يطلب  
 منه القيام بدور الوساطة بينه وبين أمير الموصل (٣) \*

وصحفاً يكن من أمر \* فان عماد الدين زنكي لم يلبث أن قام بهذا  
 الدور \* فأخذت رسله تتردد بين الطرفين \* وانتهى الأمر \* بأن تسلم صلاح  
 الدين شهرزور وقلاعها وحصونها وضياعها \* وكذلك ما وراء النهر من البوازيج  
 وغيرها من البلقان المجاورة \* وأن تكون الخطبة والسكة في الموصل لصالح  
 (٤)  
 (١) ابن هداد \* التوادر السلطانية \* ص ٧٠ \* أبو شامة \* كتاب الروضتين \*  
 ج ٢ ص ٦٤ \* ابن واصل \* مغزى الكرب \* ج ٢ ص ١٧١ \*  
 (٢) ابن الأثير \* الكامل \* ج ١١ ص ٥٧١ \*  
 (٣) أبو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ ص ٦٤ \* ابن واصل \* مغزى الكرب  
 ج ٢ ص ١٧١ \*  
 (٤) شهرزور \* كورة واسمة في الجبال بين اربل وهمدان \* والبوازيج : بلد  
 قرب تكريت على نهر الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة وهي من أعمال  
 الموصل ( أنظر ياقوت \* معجم البلدان ) \*

الدين ، الذى كان قد انتقل الى حوران بسبب مرضه ، فوصلته وسيل عزالدین  
سمعود وعلى وأسهم المؤرخ ابن شداد<sup>(١)</sup> واستقر الصلح بين الطرفين وحلف  
كل منهما للآخر ، وترغب على ذلك أن أقيمت الخطبة لصالح الدين فى ديار  
بكر ، والبلاد الارتقية ، وذلك فى ذى الحجة من سنة ٥١٨ هـ / مارس ١١٨٠ م<sup>(٢)</sup>  
وهنا يبدو أن ابن الأثير الذى عرف بحيله للزنكيين ، أراد أن يمد هم من مظهر  
الوهن والضعف أمام صلاح الدين ، فذكر أن صلاح الدين هو الذى حلف أولاً ثم  
بعث رساله الى عز الدين سمعود فحلف لهم<sup>(٣)</sup> .

ومما لا شك فيه أن هذا الصلح يعد مكسبا كبيرا لصالح الدين ،  
استطاع بواسطته أن يقوى عدته استعدادا للجهاد ضد الصليبيين ، حيث  
يذكر أبو شامة فى الروضتين ، رسالة كتبها العماد الاصفهاني على لسان السلطان  
الى أخيه سيف الاسلام طغتكين واليه على اليمن يخبره بأن من ضمن شروط صلحه  
مع أهل الموصل : أن تكون عساكرهم فى خدمته للجهاد<sup>(٤)</sup> . كما يبدو أيضا  
أنه بهذا ، استطاع أن يقضى على المعاهدة الزنكية الصليبية بعد مضي أربع  
عشرات على إبرامها ، وأن يحقق الشرط الاول من حلم عماد الدين الزنكى ونور  
الدين محمود فيما يخص بتوحيد كلمة المسلمين تحت زعامة رجل واحد .

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص .  
(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٧ .  
(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

والواقع أن صلاح الدين بهذا الانجاز العظيم الذي حققه بتوحيد  
الجهة الإسلامية ، أصبح في مركز قوى يمكنه من توجيه جهوده  
لجهاد الصليبيين واسترداد بيت المقدس .

\*\*\*\*\*

## الفصل الثاني

### جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية

- صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين .
- تطور نظام الاقطاع الحربي في عصر صلاح الدين .
- ديوان الجيش الصلاحي .
- تنظيم الجيش الصلاحي .
- الاسلحة والمؤن والعتاد .
- أساليب القتال .
- دور الاطول في جهاد صلاح الدين .

## الفصل الثانى

### جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية

\*\*\*\*\*

#### صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين :

جاء صلاح الدين ليحقق ذلك الحلم الذى بدأه عماد الدين زنكى ثم ابنه نور الدين محمود ، لتوحيد كلمة المسلمين ووقوفهم صفا واحدا لتصفية المدوان الصليبي الذى خيم على المشرق الاسلامى فى ذلك الوقت . والباحث فى تاريخ الدولتين الزنكية والصلاحية يدرك أن قيامهما كان صحوه اسلامية استهدفت ايقاف العالم الاسلامى من سباته العميق الذى استغله الغرب الأوربي ، مثالا فى الحملات الصليبية ، ليفرض سيادته على اجزاء منه . وبالرغم من أن عماد الدين زنكى ثم نور الدين محمود قد تمكنا من القضاء على كل ما يعكر صفو الوحدة الاسلامية سواء بانهاة طاعة الانقسام التى حلت بالعالم الاسلامى والتى أهمها قضاء نور الدين محمود على الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر التى كانت تتنافس الخلافة المباسمية السنية فى بغداد ، أو بالقضاء على امارة الرها تلك الامارة الصليبية التى أسسها الصليبيون فى أعالي العراق . وجاء صلاح الدين يجدد دعوة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين .

والواقع أننا اذا تتبعنا أعمال صلاح الدين فى هذا المجال . ندرك أن المبادئ الاساسية له كان الجهاد فى سبيل الله . ولما كان ذلك لا يتأتى الا بتوحيد كلمة المسلمين فانه قد سعى جاهدا فى سبيل تحقيق ذلك ، حتى تمكن من تكوين جبهة اسلامية ضمت مصر والشام وأقليم الجزيرة . قضى فى سبيل تحقيقها نحو



تسعة أعوام ( ٥٧٠ - ٥٧٩ هـ / ١١٧٤ - ١١٨٣ م ) أصبح بفضلها أقسى ملك بين ملوك الشرق<sup>(١)</sup> . ثم اتبع ذلك بثلاث سنين تمكن خلالها من إخضاع الموصل وتحقيق ولائها له وذلك في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٦ م - كما سبق أن ذكرنا ، ليمود بعد ذلك لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين ذلك الجهاد الذي كان يعد في نظاره فرض عين على كل مسلم ، لا يقل عن كونه ركنا من أركان الاسلام . ومن الأدلة على ذلك ما ذكره أبو شامة نقلا عن الصمد الاصفهاني من أن المسلمين بعد استرجاعهم بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م عقدوا العزم على الحج وأحرموا من المسجد الأقصى على أن الحج والجهاد في نظرهم " ركنا الاسلام " .<sup>(٢)</sup> كما أورد ابن كثير في البداية والنهاية أن صلاح لما رجع الى دمشق بعد غزوة حصن كوكب سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م ووجد الصفي بن القايفي وكيل الخزانة قد بنى له دارا ضخمة بقلعة دمشق ، غضب عليه وعزله وقال " انا لم نخلق للمقام بد دمشق ولا بغيرها من البلاد ، وانما خلقنا لمباداة الله عز وجل والجهاد في سبيله " .<sup>(٣)</sup>

والى جانب ذلك فان صالح الدين كان قد اتبع أساليب عدة دلت على اهتمامه البالغ بتجديد دعوة الجهاد الاسلامي ودفع المسلمين الى أداء هذا

- 
- (١) أنظر نظير حسان سنداوى ، الحرب والسلام زمن المدوان الصليبي .
  - (٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
  - (٣) الصفي بن القايفي : أحد أمراء المسلمين الذين ولاهم صلاح الدين دمشق توفي سنة ٥٨٧ هـ ( أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٧ ) .
  - (٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٩ .

الواجب ، منها اهتمامه الشخصى بأمر الجهاد ، حيث حرص على أن يكون قدوة  
صالحة فى هذا العمل ، فكانت مجالسه لا تخلو من الحديث عن الجهاد  
لا سيما فضائله وأساليب التآهب والاستعداد له وشغفه به ، فيروى أنه قال فى  
أحد مجالسه " متى يسر الله فتح الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت  
وركبت هذا البحر الى جزائره ، أتبعهم حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر  
بالله أو أموت " . وكان الرجل من أصحابه إذا أراد أن يقترب اليه ، ذكر له  
شيئا من أخبار الجهاد ومحاسنه وفضائله وحقه عليه . كما بلغ شغف صلاح الدين  
بأمر الجهاد فى سبيل الله أن طلب من كبار وزرائه وكتابه أن يؤلفوا له كتابا  
عدة فى هذا الموضوع بينوا فيها فضائل الجهاد وآدابه مستشهدين بالآيات  
الكريمة والأحاديث الشريفة التى وردت فيه . فكان ممن ألفت له فى هذا الشأن  
العماد الأصفهانى حيث يقول " وكنت قد جمعت له كتابا فى الجهاد بدمشق " (٣)  
وكذلك القاضي الفاضل الذى قال : " وأنا ممن جمع له فى الجهاد كتابا جمعت  
فيه آدابه وكل آية وردت فيه وكل حديث روى فيه " . كما قال المؤرخ بهاء  
الدين شداد " وأنا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه  
وكل حديث روى فى فضله ، وشرحت غريبها ، وكان رحمه الله - كثيرا ما ياله  
حتى أخذه منه ولده الملك الأفضل " (٥)

- 
- (١) ابن سعيد ، الروض المهبوظ ، ج ٢ ، ورقة ١٧ ب ، ابن شداد ، النوادر  
السلطانية ، ص ٢٢ ، ابن وأصل مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ .
  - (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ١ ، ص ٦٥ ، ابن سعيد ، المشرب فى حلى المشرب ، ص ١٢٧ .
  - (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
  - (٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .
  - (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١ .

كما اتبع صلاح الدين الى بجانب ذلك أسلوا آخر لتجديد دعوة الجهاد الاسلامي وحث الناس عليه ، دل على رجاحة عقله وعظم اهتمامه بهذا الأمر :  
 لقد كان يقوم بإرسال الرسل ومعهم الكتب الى الخليفة العباسي اما لاطالعه على سير الممارك والفتوحات كما حدث بعد معركة حطين وفتح عكا سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م حيث قال العماد الاصفهاني في نهاية كتاب بعثته اليه ذكر فيه ذلك الانتصار ، وعزمهم على فتح بيت المقدس ، وما يتأخر النهوض الى البيت المقدس وهذا اوان فتحه وقد دام الضلال ، وقد آن أن يسمرفيه الهدى عن صحة الاسلام ، واما لاختباره بحلول الازمات ، كما حدث عندما بلغه مقدم ملك الالمان فردريك ببروسا ، حيث بعث رسولا من قبله هو الخوارج ابن شداد يعلمه بذلك ، ومن ثم أمره بالسير الى أمراء الموصل والجزيرة وست جاراويل لحثهم على الجهاد ، فأجابوه الى ذلك وأهبوا للمسير الى صلاح الدين .<sup>(٢)</sup> ولا شك أن صلاح الدين قصد بذلك استغلال السلطة الروحية للخليفة العباسي في ذلك الحين لاستنفار المسلمين وحثهم على الجهاد في سبيل الله ، لتطهير المقدسات وصد الأعداء . بالإضافة الى أن ذلك يدلنا على أن صلاح الدين كان يبعث رسلا من قبله الى شتى البلاد الاسلامية لاستنفار المسلمين للجهاد في سبيل الله . وأن ذلك لم يكن مقصورا على البلاد الخاضعة

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٦ .

(٢) ابن سعيد ، الروض المصنوع ، ج ٢ ، ورقة ٣٦ ، ١ ، التنوير ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابوشامة ، كتاب الرضيتين ، ج ٢ ، ص

١٥٠ ، ابن واصل ، مغر الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

لسلطته بل تعدى الى أبعد من ذلك ، فأرسل رسله لاستفتار التركمان وترغيبهم  
(١)

فى الجهاد بكافة الوسائل وذلك بمنحهم التشرىفات وبذل المطايا والضح لهم .

كما أنه لم يكتف بإرسال رسله الى المشرق الإسلامى ، بل بحث سفارة من قبله

” ومعها سنية من التحف والالطاف ” الى الموحدین فى الغرب ، لاستنفارهم

للجهاد فى سبيل الله ، وذلك عند وصول ملوك الغرب وسقوط عكا فى أيديهم

(٢)

سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م

كما يظهر لنا أن اصلاح الدين اتخذ من خطباء المساجد وسيلة للدعاة

لجيشه بالنصير وحث الناس على الجهاد فى سبيل الله . يدلنا على ذلك ما ذكره

ابن شداد من أن اصلاح الدين كان حريضا على شن معاركه أيام الجمع لا سيما

أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاة الخطباء على المنابر . يضاف الى ذلك ما  
(٣)

كان للقضاء والفقهاء من دور كبير فى ترغيب الناس فى الجهاد وإرشادهم الى

فضائله . ولعل خير دليل على ذلك تلك الخطبة التى ألقاها القاضى محسى

الدين الزكى بعد استرداد بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، والتى تضمنت

الى جانب كونها شكرا لله على ما حققه المسلمون من نصر باسترداد بيت المقدس مرة

حث الناس على الجهاد وبيان ماله من فضائل . ثم انه لما قضيت الصلاة نصب  
(٤)

(١) المساد ، الفتح ، ص ٣٢٣ .

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ سبط ابن الجوزى ،

مراة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،

ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ .

(٤) أنظر نص الخطبة فى أبى شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١١٠ - ١١٢ ؛

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

سريرا للوعظ وجلس عليه زين الدين الواعظ ه فوعظ الناس موعظة وصف لهم فيها  
 (١)  
 الجهاد وفرائضه وفضائله وحضهم عليه .

كما أهتم صلاح الدين أيضا بأشغال الحما من في نفوس المسلمين أثناء  
 اشتداد الازمات وسير الممارك ه حيث كان كثيرا ما يسير بين صفوف الجيش  
 ويحثهم على الجهاد وينادي « يا للإسلام » تارة بواسطة الجاوش ه كما حدث  
 أثناء الوقعة الكبرى على مرج عكا سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ه وتارة بنفسه كما حدث  
 (٢)  
 على عكا أيضا سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م عندما ساءت أحوال الحامية الإسلامية  
 (٣)  
 وأشرف الصليبيون على دخولها .

وخلاصة القول أن ما ذكرناه من الأدلة التي سقناها على سبيل المثال  
 لا الحصر ه يدلنا دلالة واضحة على أن صلاح الدين قد قام بدور فعال جدد  
 فيه الدعوة إلى الجهاد الإسلامي في وقت كان العالم الإسلامي يمر فيه بمرحلة  
 خطيرة ه وشجع المسلمين على الدفاع عن ممتلكاتهم ومقدساتهم ه مؤكدا أن  
 الجهاد فرض مقدم على كل عمل ه وأنه واجب لا فسحة فيه بأي حال من الأحوال .  
 ولعل مما يؤكد هذا ذلك الكتاب الذي بعثه إلى صاحب أربل في سنة

- (١) أبو شامة ه كتاب الروضتين ه ج ٢ ه ص ١٠٩ - ١١٠ .  
 (٢) ابن واصل ه مفتح الكروب ه ج ٢ ه ص ٢٩٦ ه والجاوش : بيد وأنسه  
 جند يا كانت مهمته النداء واستنفار الجند للقتال ( انظر ابن واصل ه  
 مفتح الكروب ه ج ٢ ه ص ٢٩٥ حاشية ) .  
 (٣) ابن واصل ه مفتح الكروب ه ج ٢ ه ص ٣٥٦ ه ابن الفرات ه تاريخ ابن  
 الفرات ه م ٤ ه ج ٢ ه ص ١٣ .

٥٨٠هـ / ١١٨٤م عندما طلب منه منشورا يخوله الانفراد بحكم ابرهـل وما حولها  
 من البلاد والقلاع ، فرد عليه قائلا : " ان الله لما مكن لنا في الأرض ، ووقفنا  
 في اعزاز الحق ، وظهره لاداء الفرض ، رأينا أن نقدم فرض الجهاد في  
 سبيل الله ، فنوضح سبيله ، ونقبل على اعلاء كلمته في أرضه ..... " <sup>(١)</sup> يضاف  
 الى ذلك أيضا ما حدث قبل ذلك عندما عزم صلاح الدين على حصار الحصن  
 الذي بناه الصليبيون عند مخاضة بيت الأحزان مستغلين انشغاله بحصار  
 يمد بك سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م . حيث تملل بعض أصحابه ببعض الاعذاره  
 وطلبوه بمسالمة الصليبيين ، فرد عليهم قائلا " ان الله أمر بالجهاد وتكفل  
 بالرزق ، فأمره واجب " <sup>(٢)</sup>

والجد ير بالذكرا ن وجوب الجهاد في نثار صلاح الدين لم يكن مقصورا  
 على أهل تلك البلاد التي استطاع توحيد كلمتها تحت رايته ، بل أن ذلك  
 يشمل العالم الاسلامي بأكمله ، يد لنا على ذلك احدى رسائله التي بحث بها  
 الى أمير المغرب سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م يدعو الى الاسهام في الجهاد ضد  
 الصليبيين ، تلك الرسالة التي ذكر فيها أنه لم يدعه الا " لواجب عليه والى  
 ما هو مستقل به ومطيع له " . كما يبدو لنا من هذه المباراة أن صلاح الدين  
 قد جعل الجهاد الاسلامي في حكم الحج وأن الجهاد واجب على المسلم  
 المستطيع شأنه في ذلك شأن الحج .

(١) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) ابو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

ولم يكن صلاح الدين وحده هو الذى تبغى دعوة الجهاد الاسلامى ، بل كان لأفراد جيشه دور كبير فى احياء هذا المفريضة ، و يد لنا على ذلك تلك الاجتماعات التى كانت تتمق بينهم ، يتذاكرون فيها فوائض الجهاد وفضائله ، فقد اجتمعوا مرة وقام المؤرخ بهاء الدين بن شداد — بأمر صلاح الدين — بحشهم على الجهاد ، و يدعوهم الى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يفعله مع أصحابه ، و ذلك الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت .  
(١)  
فاستحسن الحاضرون ذلك ووافقوا عليه . كما كانوا يتباشرون ويتسابقون على معسكر صلاح الدين بمجرد علمهم بمزمه على الجهاد . ولا شك أنهم بذلك يؤثرون على غيرهم من المسلمين ، فيجعلونهم يتوافدون على الجهاد فى سبيل الله زرافات ووحدا ، وخاصة المتطوعة . كما حدث عند عزم صلاح الدين على كبس خيام الصليبيين فى معركة مرج الميون سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م يضاف الى ذلك ما كان يقوم به جيش صلاح الدين من أعمال جليلة فى ميادين القتال كان الهدف منها خلاصا لوجه الله تعالى . ولعل خير دليل على ذلك ، ما فعله ذلك الشاب الدمشقى الذى استطاع أن يحرق تلك الابراج الثلاثة التى نصبها الصليبيون على عكا ، عند ما عرضت عليه الخلع والأموال نظير ذلك ، فلم يأخذ منها شيئا قائلا « انا فعلت هذا لله تعالى » . فضلا عن أن هذا الصل دليل واضح على أن جهود صلاح الدين لتجديد دعوة الجهاد الاسلامى قد وجدت

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١٦ .

(٢)

(٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٤ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ،

ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٢ .

استجابة كبيرة بين المسلمين •

### تطور نظام الاقطاع الحربي في عصر صلاح الدين :

نشأ نظام الاقطاع الحربي في الشرق الاسلامي في المصور الوسطى في عهد الدولة السلجوقية ، التي كانت تسيطر على أسواق صرف مرتبات نقدية للجيش النظامي حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، حيث أدى اتساع رقعة الدولة وصعوبة السيطرة عليها ، وازدياد الادارة المالية بزيادة المرتبات التي تصرف للجيش الى تفكير نظام الملك في الاستعاضة عن المرتبات النقدية (١) بالاقطاعات من الارض لمختلف الجند •

ومن المعروف أن مصر في العصر الفاطمي شاعت أحياناً نظاماً اقطاعياً ، ولكنه لم يكن اقطاعاً حروبياً • ولكن هذه الاقطاعات غير الحربية ، ما لبثت أن حدث لها بعض التغيير في طبيعتها ، وذلك عندما منحت هذه الاقطاعات المصرية لأمرأ جيش نور الدين ، اذا تهطلت هذه الاقطاعات بالخدمة الحربية حسب النظام الاقطاعي الزنكي الذي كان اقطاعاً وراثياً فقد كان من عادة نصور الدين محمود عندما يموت أحد الأمراء المقطعين ، منح اقطاع الاب المتوفى لابنه ، وفي حالة صغر الابن كان السلطان يعين من يدور الاقطاع حتى يكبر • وكان هذا هو السبب الذي جعل الأمراء يبرزون قد راثهم الحربية في الحرب ، وكان نور الدين قد اعتاد أخذ الاقطاع من أي أمير يهمل في واجباته ، والدليل

(١) القزويني ، القحط ، ج ١ ، ص ٩٥ ، نظير حسان سمد اوى ، جيش



على ذلك أنه في سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م عندما كان غالبية أمراء نور الدين محصورين  
مترددين في محاربة الفاطميين والصليبيين عند البابيين في صعيد مصر هدد  
الأمير شرف الدين برغض أنهم إذا رفضوا القتال فسوف يسترد السلطان نسيور  
الدين إقطاعاتهم ويطلب منهم إعادة الدوارد التي أخذوها منها ، ولهذا حاربوا  
(١)  
بشجاعة حتى انتصروا .

أما الإقطاع الذي أحدثه صلاح الدين في مصر ، فلم يكن يتطابق تماما  
مع نموذج الإقطاع الزنكي ، وهو الإقطاع الذي اعتاده صلاح الدين وأسلوه ،  
فالإقطاع الإيوبي كان يمنح كما هو الحال في الإقطاع الزنكي مقابل الخدمات الحربية  
غير أنه لم يكن إقطاعا وراثيا ، ولا يمنح المقطع أى سيادة على أراضى الإقطاع .  
أن من المعروف أن طبيعة نظام الإقطاع ورغبة السلاطان المستمرة في تحسين  
فعالية النظام العربى ، لا يسمح بتوريث الإقطاع ، وكان صلاح الدين يصر  
أن توريث الإقطاع سوف يؤدى الى نتائج عكسية بالنسبة للخدمات الحربية ففى  
عدة حالات ، وذلك عندما يموت المقطع ويترك طفلا صغيرا ، أو عددا من الأطفال  
ويصبح الحاصل على الإقطاع ليس فى سن تؤهله لحمل السلاح ، ولا يستطيع  
الاشتراك فى حملات عسكرية ، كما أن توزيع الإقطاع بين عدد من الأطفال كان  
(٢)  
يؤدى بالتالى الى نوع من الفوضى فى الإقطاع .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٥ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ١ ، ص ٢٦٥ .

Hassanein Rabie, the Financial System of Egypt, .  
pp. 28-30.

2) Rabie, on., pp. 59-60.

والى جانب ذلك فان منح الاقطاع بواسطة السلطان ، ليس معناه منحه ملكيات الاراضى الزراعية لهذا المقطع ، وليس معناه أيضا تمتع المقطع بمتحصلات الاقطاع لفترة طويلة ، بل أن منح الاقطاع يعطى المقطع مجرد الحق فى أن يجمع لنفسه ولأجناده مجموعة معينة من الضرائب فى مقابل الواجبات المدنية والعسكرية (١)  
التي كان ملزما بأدائها •

بدأ صلاح الدين بتوزيع اراضى مصر على هيئة اقطاعات فمنح بعضها لأهل بيته ، والبعض الآخر وزعه بين أمرائه وقادة جيشه ، فاقطع والده نجم الدين الاسكندرية ودمياط والبحيرة ، واقطع أخاه شمس الدولة تورانشاه قوص وأسوان وعيذاب • وما يؤيد ذلك أيضا ما ذكره المقرئى فى الخطط حيث قال • وأما منذ أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا ، فان اراضى مصر كلها ، سارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده • • ولم يقتصر توزيع الاقطاعات الحربية فى عهد صلاح الدين على أرض مصر بل تعدى ذلك الى كل البلاد ذلك ~~الى كل البلاد التى تمكن صلاح الدين من ضمها الى مشروع الوحدة الاسلامية •~~  
واتبع عدة طرق لتوزيع تلك الاقطاعات على أمرائه وأجناده ، منها ما كان غرضه منه تثبيت أقدامه فى البلاد التى تخضع له • مثلما حدث عندما استولى على حصص وحماء سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م حيث اقطع الأولى لابن عمه ناصر الدين محمد ابن أسد الدين شيركوه ، والثانية لخاله شهاب

1) Hassanein Rabie, op. Cit. P. 57

(٢) المينى ، عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ١٨١ ، ابن قاضى شهبه الكواكب الدريسة ، ص ١٨٧ ، المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧ •

(٣) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٧ •

(١)  
الدين الحارسي .

كما استخدم صلاح الدين توزيع الاقطاعات وسيلة لتحقيق الوحدة  
الاسلامية ، يدل على ذلك ، النداء الذي وجهه عند نزوله على البصرة ، حيث  
كتب ملوك الاطراف ، قائلا " من جاء " مستسلما سلمت بلاده على أن يكون من  
أجناد السلطان ، واتباعه وساعدته على جهاد الكفرة " وكذلك ما فعله مع  
عماد الدين زنكي ، وعز الدين مسعود صاحب الموصل ، كما سبق أن أشرنا (٣)  
ومع صاحب عتبات الذي قام بمراسلة السلطان معلنا دخوله في طاعته ونزول  
على خدمته ، فلما فتحها أقرها عليه اقطاعات وذلك في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م . (٤)

كما كان صلاح الدين يمنح رجاله الاقطاعات مكافأة لهم على ما قاموا به  
من أعمال جليلة ، يدلنا على ذلك ما فعله صلاح الدين مع أمير حصن كيفا الذي  
أقطعه مكافأة له نظير ما قدمه لصلاح الدين من خدمات . وكذلك ما فعله  
مع سيف الدين المشطوب ، عندما أطلقه الصليبيون من الأسر ، إذ أحسن  
صلاح الدين استقباله ، وأقطعه نابلس وأعمالها وذلك في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م . (٥)

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ١٩٨ أ ؛ الفاهي ، دول الاسلام ،  
ورقة ١٠٧ ب ؛ الهنداري ، سنا البرق الخاص ، ج ١ ص ١٩٣ ؛ ابن  
أيك ، الجيوداري ، الدر المطلوب ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ ابن خلدون ، المبره  
ج ٥ ص ٢٥٧ .

(٢) ابن واصل ، فتن الكروب ، ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣) أنظر ما سبق .

(٤) ابن واصل ، فتن الكروب ، ج ٢ ص ١٣٩ .

(٥) ابن تشرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٩٤ .

(٦) ابن واصل ، فتن الكروب ، ج ٢ ص ٣٨١ ؛ التاريخ الصالح ، ورقة  
٢٠٧ ب .

كما يلاحظ أن صلاح الدين في توزيعه للاقطاعات قد راعى الجوانب الأمنية في دولته ، فوزع الاقطاعات على القبائل المصرية التي كثيرا ما خانته أهلها وحملوا الغلات الى الصليبيين ، فأقطع قبيلتي جذام وشعبة اقطاعات متفرقة في الديار المصرية ، وذلك للحفاظ على الأمن وحث أولئك العربان على الاشتراك معه في الجهاد <sup>(١)</sup> .

ومن خصائص الاقطاع الأيوبي أنه يجيز أن ينتقل الاقطاع من مقطع الى آخر ، ولكن ذلك الانتقال لم يكن عن طريق الوراثة . ولم يحدث توريث الاقطاع في عهد صلاح الدين سوى ثلاث مرات ، ففي سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م توفي ناصر الدين محمد بن شيركوه ، فأعطى صلاح الدين اقطاعه في حوص والرحبة لولده شيركوه <sup>(٢)</sup> . وفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م أعطى صلاح الدين اقطاع شمس الدين ابن المقدم أمير الحاج الشامى لابنه عز الدين الذي ولاه الحاج الشامى أيضا <sup>(٣)</sup> . وفي المرة الثالثة أعطى صلاح الدين ثلثي اقطاع الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب لابنه عماد الدين أحمد وأميرين معه <sup>(٤)</sup> .

ومن الامثلة على انتقال الاقطاع من مقطع لآخر من غير وراثة وهي القاعدة العامة ، أنه حدث في سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م أن أعطى صلاح الدين حملا

- 
- (١) البقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، ص ٢٩ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٨ ، وابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٢ ، السبكي ، طبقات النافعية ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .  
 (٣) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .  
 (٤) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٤١٠ - ٤١١ ، ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٧ ب ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .

بعد موت صاحبها خاله شهاب الدين الحارث لابن أخيه تقي الدين عمر بن  
 شاهنشاه<sup>(١)</sup> . وفي سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م توفي زين الدين يوسف بن زين الدين  
 على كوجك صاحب اربل ، فاقطعها صلاح الدين لأخيه مظفر الدين بسوري ،  
 وأضاف إليه شهرزور<sup>(٢)</sup> .

وفي مقابل الموارد المتحصلة من لاقطاع ، كان على المقطع مجموعة من  
 الالتزامات التي كان يجب عليه أن يؤديها ، وهي التزامات حربية مثل تقديم  
 المساكين وقت الحرب ، فضلا عن عدد من الواجبات غير الحربية . ونظرا للجهد  
 الذي اتصف به المعمر فقد كانت الواجبات الحربية للمقطع دون شك أهم هذه  
 الواجبات ، فقد كان المقطع مسئولا عن نفقات عساكره ، وكان عليه أن يمد نفسه  
 لكي يلحق بجيش السلطان على رأس فرقته الحربية في كل حملة حربية ويكون  
 مكلفا بالانفاق عليها . والدليل ذلك ما ذكره العماد الكاتب أحد موظفي ديوان  
 الانشاء من أنه عندما خرج مع السلطان صلاح الدين من مصر إلى الشام لقصد  
 الجهاد ضد الصليبيين ، ووصل جيش صلاح الدين إلى السدير في حلة الرملة  
 سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م أعلن في المعسكر أن كل القوات يجب أن تأخذ ما يكتفيها  
 من الأقوات لمدة عشرة أيام أخرى ، وأقيم سوق المعسكر لهذا الغرض ، وشجعت  
 الاسمار المرتفعة العماد الصفهاني على أن ينتهز الفرصة ويعرض للبيع حوائجه  
 حيث أنه على حد قوله من رجال القلم وليس من رجال السيف ، فتوافدوا على

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٠ ؛ اليافعي

مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ .

(٢) ابن الوردي تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

السوق ، واشتروا منه مؤنهم ، وذلك بعد أن أعطاهم أمراؤهم رواتب الاقامات  
(١)  
الاقطاعية الممتدة .

ويبدو أن صاحب الاقطاع لم يكن ملزما في كل الحالات بالذهاب على رأس  
جيشه الى المعسكر السلطاني ، بل كان يكتفى أحيانا بإرسال عدد معين من  
الجند ، وأحلاما من السلاح والعتاد . يدلنا على ذلك ما حدث في سنة ٥٧٤هـ /  
١١٧٨م عندما بنى الصليبيون قلعة بيت الأحزان ، وجعلوها مرصدا لحرب  
المسلمين ، فأرسل صلاح الدين الى أخيه الملك العادل بصر ، يدالبه فيه أن  
يبحث اليه خمسمائة فارس يستعين بهم على جهاد الصليبيين (٢) وما حدث سنة  
٥٨٥هـ / ١١٨٩م حيث بحث عز الدين محمود ، أمير الموصل الى صلاح الدين  
وهو على عكا ، أحلاما من النفط الأبيض ومن التراس ، والرماح ومن كل جنس  
(٣)  
أحكمه وأقوه وأجوده .

والى جانب ذلك كان على صاحب الاقطاع أن يقوم بمراقبة تحركات الأعداء  
وصد غاراتهم مثال ذلك ما حدث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م عندما أغار أمير أنطاكية  
الصليبي على شيرز ، وأغار أمير طرابلس أيضا على جماعة من التركمان بمسد  
تأمينهم ، فقد رتب صلاح الدين نتيجة لذلك الهجوم ابن أخيه تقي الدين عمر  
ابن شاهنشاه على حماه وأقلعه أياها وجعل في خدمته شمس الدين بن المقدم ،  
وسيف الدين أحمد بن المشطوب وجعل مهمته صد غارات صاحب

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٧ ، حسنين ربيع ، النظم  
المالية ، ص ٦٥ .  
Hassanein Rabie, op. P. 32.

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٣٠٠ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، المعاد ، الفتح ، ص ٣٥٠ .

انطاكية • كما رتب ناصر الدين محمد بن شيركوه بحصى فى مقابلة صاحب طرابلس الصليبي (١) •

أما الواجبات غير الحرية التى كان على المقطع أداؤها ، فتشمل تنفيذ المراسيم السلطانية التى كان صلاح الدين يصدرها ، وإقرار الأمن بداخل الاقطاع ، والنظر فى صالح الرعية داخل الاقطاع • <sup>(٢)</sup> وبالإضافة الى ذلك فقد كان على المقطع عدد من الواجبات المدنية أهمها تلك التى تخص برى وزراعة الاقطاع وبعض الخدمات الخاصة بالسلطان ، فضلا عن قيام المقطع وموظفيه بتوزيع التقاوى السلطانية بين المزارعين فى الاقطاع • وكانت هذه التقاوى تمنح من جهة السلطان للمقطع مع الاقطاع لضمان سلامة المحصول • وكان من الواجب على المقطع أن يترك التقاوى فى الاقطاع ليضمن محصولا طيبا لمن يخلفه على <sup>(٣)</sup> هذا الاقطاع •

وكان الاقطاع أحيانا يحتوى على أراضى مستصلحة نتيجة شق قنوات وجسور وكان على المقطعين أن يبذلوا كل جهدهم لكى يحصنوا هذه الاراضى المستصلحة ، فضلا عن قيام المقطع بإقامة الجسور البلدية وصيانتها • وعلى السدود الزراعية الصغيرة ( التى كان لها أهمية كبيرة فى رى الاقطاع • أما عن الجسور السلطانية وهى السدود الزراعية الكبيرة التى شيدت لمنفعة الأقاليم

(١) ابن الشحنة ، روضة المناظر ، ورقة ٧٢ أ ، أبو شاهه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٤ •

(٢) ابن شاهنشاه الأيوبي ، ضمائر الخفايا ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ •

فلم يكن المقطع مسغولا عنها من الناحية النظرية ولكن من الناحية العملية ، كان المقطعون يساعدون السلطان في تشييد هذا النوع من الجسور وذلك بامداده بالرجال والبقر والآلات وغيرها • يضاف الى ذلك أيضا أن المقطع كان يشترك في حفر وتطهير الترع والقنوات (١) •

ورأينا في الفصل الأول أن صلاح الدين نجح في توحيد الجبهة الإسلامية التي كان الهدف منها اعداد المدة للجهاد لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام • وكان عليه أن يكون جيشا كبيرا ومنظما يستأخ به تحقيق هدفه الذي ينشد • ولما كان من الصعب عليه دفع رواتب هذا الجيش نظرا لكثرة عدده ، لذلك لجأ صلاح الدين الى نفس الاسلوب الذي اتبعه أسلافه الزنكيون من قبل ، فوزع الاقطاعات على أمراءه ليكون بد يلا عما يتطلب منه من دفع رواتب للجند • يدلنا على ذلك ما كان يفعله صلاح الدين عند عزمه على الجهاد ضد الصليبيين حيث كان يكتفى بمخاطبة المقطع ، الذي يسير بدوره اليه ومعه جيشه مزودا بالمتاد والمؤن • (٢)

ولما كان صلاح الدين هو المصدر الاصلى لمنح الاقطاع ، فقد كان يستأجج الفناء في أى وقت وذلك متى تقاعس المقطع عن أداء واجبه ، أو بد ر منه ما يخل بالتزاماته الحربية من ذلك ما حدث سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م من أن

(١) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٠١ ، حسين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٤ •

(٢) أنظر النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابن تفرى بىردى ، "ججوم الزاهرة" ج ٦ ، ص ٢٩ •



صلاح الدين قطع أخباز جماعة من الاكراد لأجل أنهم كانوا السبب في هزيمة الجيش الاسلامي في وقعة الرملة عند تل الصافية أمام الجيش الصليبي الذي كان يقوده ارناط .<sup>(١)</sup>

والواقع أن نظام الاقطاع الحربي كان ذا أهمية كبيرة بالنسبة لجيش صلاح الدين ، حيث كان ذلك النظام دافعا لهم على التوسع في الفتوحات من ذلك ما حدث سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م عند ما عاد صلاح الدين الى دمشق بعد عقد الهدنة مع الصليبيين واستراح قليلا ، ثم اعزم الغزو ، فأستشار ابنه الأفضل وأخاه المادل في ذلك . فأشار المادل عليه بغزو خلاط لأنه كان قد وعده أن يقطعه أياها اذا استولى عليها .<sup>(٢)</sup>

كما أن نظام الاقطاع الحربي بما اشتمل عليه من واجبات ، يعاقب المقطع بالاعفاء من اقطاعه متى قصر في شيء منها كان كفيلا باخلاص الجند واستماتتهم في القتال . فضلا عما كان يقوم به بعض المقاطعين من أعمال حربية ضد الاعداء ، فيذكر كهل منابن واصل ، وابن كثير في حوادث سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م ، أن عز الدين فرخشاه الذي كان اقطاعه بمبعلك آنذاك ، أغار فسي هذه السنة على صفد ، وعاد سالما بعد أن فتك بعدد كبير من مقاتليهم ، وغنم منهم غنائم كثيرة .<sup>(٣)</sup>

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، Hassanein Rabie, op. Cit. 56.

(٢) ابن خلدون ، المبر ، ص ٣٣٠ .

(٣) ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٤٢ ص ٨٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٤ .

ويضاف الى ذلك أن نظام الاقطاع الحربي ، يمد من أولى موارد الدولة الأيوبية لأنه مصدر الإيراد الدائم اللازم للصرف على الجيش السلطاني ، وجيوش الأمراء الاقطاعيين ، فضلا عن النفقات العسكرية الهامة للجيش بنوعيه زمــــن الحربية .<sup>(١)</sup> وبهذا يمكن القول بأن صلاح الدين بتطبيقه لنظام الاقطاع الحربي في دولته ، قد وفر على نفسه مهمة تزويد جيشه كله بالسلاح والمتاد والمؤن ، خاصة اذا علمنا أنه كان على صاحب الاقطاع أن يأتي بجيشه الى ساحات القتال بكل مستلزمات القتال ، هذا فضلا عما كان يساهم به المقطع من أموال وعتاد ومؤن لخدمة الجيش السلطاني الملازم لصلاح الدين .

#### ديوان الجيش الصلاحي :

وكان ديوان الجيش الصلاحي مشرفا ومسئولا عن توزيع الاقطاعات ومطابقتها . فقد كان هذا الديوان مركزا لتوزيع الاقطاعات بين الأمراء المقطميين ، ومن أهم مهامه اثبات أسماء أصحاب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ومن ثم الاشراف على تلك الاقطاعات التي كانت تخضع للزيادة والنقصان نظرا لما يقدمه الامير المقطع من خدمات السلطان . كما قام ديوان الجيش بتقدير البالغ الصفاة النسيانات وهي الأموال التي تخصم من الجندى نتيجة غيابه عن الخدمة بدون إذن ، حيث يقوم الديوان بعملية الخصم عن هذه المدة . مثال ذلك ما ذكره ابن ماضي في تفسيره لمناخا ، حيث ذكر أنه اذا كان قد قرر للجندى ستاعة دينار ، واشتغل

---

(١) حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٤٠ .

بقراؤه ذلك أول السنة ، ثم غاب في اثنائها بخير اذن مدة شهرين اقتطع منها  
(١)  
مائة دينار .

كما يه وأن ديوان الجيش قد قام أيضا بتسجيل العمليات المصروفة  
بالتفاوت والتي يمكن تعريفها : بأنها عبارة عن أموال الفروق الناتجة عن  
تغيير مرتبة الجندي بانتقاله من فئة أصحاب الجوامك والرواتب الى فئة  
ذوى الاقطاعات ، أى أنه اذا انتقل جندي الى اقطاع جديد للمرة الأولى ،  
(٢)  
فانه يأخذ دخل اقطاعه من تاريخ تعيينه عليه لأمن أول السنة .

ومن الوظائف التي قام بها ديوان الجيش أيضا تسجيله للأموال المصروفة  
بالفواصل والتي فسرها ابن ماتي بضمه مثلا على ذلك ذكر فيه ، انه اذا كانت  
عبارة ناحية من التواحي خمسة آلاف دينار ، وفيها جماعة مقطعون بما يملكه  
(٣)  
أربعة آلاف وثمانائة دينار رسمى ما بقى من خبرتها فاضلا وهو مائة دينار .  
(٤)

وما قيل عن الفواصل يمكن أن يقال عن المتوفر ، والذي هو عبارة عن  
جملة من الاموال تتوفر بسبب وفاة الجندي ، اذ جرى الصرف بأن يكون راتبه

---

(١) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ،  
في مصر ، ص ٦٣ .

(٢) حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٦٣ .

(٣) العبارة من الناحية النذارية هي متوسط المتحصل السنوي من الاقطاع بأن  
يجمع ايراد أحسن سنة وأساء سنة ثم يقسم على اثنين : ومن الناحية العملية  
كانت العبارة والمتحصل الفعلي من الاقطاع لا يمكن أن يتطابقا لتفصيل  
ذلك أنظر : Hassanin Rabie, op. Cit., PP. 47-48.

(٤) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥ .  
Hassanin Rabie, op. Cit., PP. 47-48.

من أول السنة الى يوم وفاته لورثته ، وما كان يقرر باقية السنة ، صار من المتوفى  
(١)  
وانا لم يكن له ورثه ، جعل ذلك الديوان جميع ما قرر له متوفى .

وكان من اختصاصات ديوان الجيش ، اصدار احكامات دورية بمسدد  
الجيش ، والبالح المقررة لهم ، حيث يذكر المقرري نقل عن متجددات  
القاضي الفاضل ، أنه في رجب من سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م ، بلغت عدة الأجناد  
ثمانية آلاف وست مائة واربعمين ، والأمراء مائة وأحد عشر ، والطواشي ستة  
آلاف وتسعمائة وستة وسبعين ، والقراغلامي ألفا وخمسمائة وثلاثة وخمسين  
(٢)  
وان المستقر لهم من المال ثلاثة آلاف وستمائة وسبعون ألف وخمسمائة دينار .

ومن خصائص ديوان الجيش أيضا ما ذكره ابن خلكان في ترجمته للملك  
الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين من أنه جلس يوما لعرض المسكر ، وديوان  
الجيش بين يديه ، فكان كلما حضر جندي أمامه ، سأله الديوان عن اسمه  
(٣)  
ليثبتوه في القوائم .

وقام الموظفون بديوان الجيش بتسجيل أسماء أصحاب الاقطاعات

- (١) ابن ماضي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ،  
ج ٤ ، ص ١٩٠ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٦٣ .  
(٢) أنظر المقرري ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، والطواشي هو من رزقه  
من سبعمائة الى ألف دينار شهريا وله غلام يحمل سلاحه والقراغلامي  
طبعة أدنى من الطواشي ، أنظر ، ج ، دراسات في حضارة  
الاسلام ، ص ١١٥ .  
(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٦ - ٧ .

على اختلاف طبقاتهم ، وعدد الجند التابعين لكل مقطع داخل اقطاعه ، وأما اسم كل مقطع عبرة اقطاعه « رمزاً لا تصريحاً » ولعل ذلك كان من بساط الحذر والسرية التي توخاها موظفو الديوان ، لذا تجنب الديوان ذكر عبء الاقطاع أو متحصله ، إلا بناء على مرسوم من السلطان .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن ديوان الجيش قد قام بالصوف على المعائن ، والتصينيات التي كان صلاح الدين يهتم بها خاصة في مصر خوفاً من هجوم الصليبيين عليها أثناء وجوده ببلاد الشام ، ولعل خير شاهد على تلك التصينيات التي أنفق عليها الأموال الطائلة ، بناءه للسور الايوس بالقاهرة ، وتأسيس قلعة الجبل على طرف جبل المقطم .<sup>(٢)</sup> وكذلك تحصين مدينة مياط التي يذكر المقرئ أن تحصينها قد كلف « ألف دينار »<sup>(٣)</sup>

أما أهم موظفي ديوان الجيش في عهد صلاح الدين ، فيشمل الناظر وهو الذي يمد المستول الاول عن كل ما يجرى في الديوان ، وليس لأحد من موظفيه أن يتفرد عنه بشئ من الأمور التي ينظر فيها الديوان . ولا بد من توقيعه الرسمي على جميع ما يجرى من الديوان من أوراق رسمية ، فضلاً عن احاطته بجميع ما يرد على الديوان من معاملات ، بالإضافة الى اشرافه على كل ما يرد الى

(١) النويري ، نهاية الارب ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ حسنين ربيع ، النظام المالية ، ص ٦٢ .

(٢) أنظر ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٤٧ ؛ حسنين ربيع ، النظام المالية ، ص ٦٧ .

(٣) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢١٥ .

(١) الديوان وما ينصرف منه • ولديه جميع البيانات بالمتحصلات والصروفات والبقاوى  
والفوائض والمتأخرات • (٢) كما أنه يعد المسئول الأول عما يحدث في ذلك من خلل • (٣)

(٤)

ويلي الناظر متولى الديوان ومهمته الاشراف على تنفيذ تعليمات الناظر •

وليس له أن يزيد على ذلك شيئاً وأن فعل شيئاً منه لزمه ما يترتب عليه من تبعه  
كما يقوم بالتصديق على التصاريح التى تسمى التذاكر ، فضلاً عن الاستدعاءات  
وكذلك الاشراف على الموظفين عند مباشرتهم وذلك بالكتابة على توقيعهم  
وتحريراتهم • (٥) أما الموظف الثالث في الديوان فهو المسئوفى ووظيفته ملاحظة

الموظفين بما يجب عليهم رفعه من الحساب في أوقاته • كما يقوم بتبليغ متولى  
الديوان بما يجب تحصيله من الأموال في مواعيد المحددة وإقامة السجلات  
والتأكد من كمال ما يرد على الديوان • وإخراج ما يجب تخريجه منه • ومستى  
ظاهر تقصير في شئ من ذلك كانت عليه مسئوليته الا في حالة عدم وجود توقيمه  
عليه ويأتى بعد ذلك المحمين • وهو الموظف الرابع في الديوان • والذي ذكر  
ابن مامى أنه عبارة عن كاتب بين يدي المسئوفى • مهمته مساعدته في الأعمال  
المعلقة به • وليس عليه مسئولية شئ من ذلك الا فيما يحرره من جرايد الديوان  
من غير أن يشهد عليه أحد • ليمض عليه الوقت فتصبح الجريدة شاهدة عليه •

أما الناسخ • فهو كاتب وظيفته نسخ التوقيعات • والمكاتبات الواردة من الديوان

(١) ابن مامى • قوانين • ص ٢٩٨ •

(٢) النويرى • نهاية الارب • ج ٨ • ص ٢٩٩ •

(٣) ابن مامى • قوانين الدواوين • ص ٢٩٨ • أنظر حسنين ربيع • النظم  
المالية • ص ٨٤ •

(٤) ابن مامى • قوانين الدواوين • ص ٢٩٨ • النويرى • نهاية الارب •  
ج ٨ • ص ٣٠٠ • حسنين ربيع • النظم المالية • ص ٨٤ •

(٥) النويرى • نهاية الارب • ج ٨ • ص ٣٠٠ •

والواردة اليه ومتى ظهر منه تحريف فى شىء من ذلك تحمل مسئوليته • والموظف السادس فى الديوان هو المشارف • والذي ذكر ابن مماتي بأن « أمره جار على أمر الناظر » إذ يبدو لنا من هذا أن وظيفته هى تكرار عمل الناظر لتأكيد • ومن ثم مراقبة تنفيذه وتدقيقه • ويزيد على ذلك أن جميع المتحصلات المالية بعد الختم عليها تكون فى عهده وتحت حيطته • يلى ذلك المامل ومهمته القيام بعمل الحسابات اللازمة ورفقها • والكتابة بالموافقة على ما يرفعه غيره من الممايلات • فضلا عن قيامه ببيان البواقى لمن عليه شىء من أموال الدولة • بسبب الانصراف عن الخدمة ويجرى مجرى المامل • موظف آخر عرف بالكاتب • عليه أن يكون على معرفة كافية بما يتأخر فى البلاد من مال وغلال مما يستعان (١) به عند تقدير إيرادات الدولة •

(٢)

والجيهن هو الموظف التاسع فى الديوان وهو موظف فاطمى الأصل •

مهمته كتابة المتحصل من الأموال وقبضه • وكتابة الوصولات • فضلا عن عمل المخازيم والحققات • وما يتبعها • بالإضافة إلى أنه مطالب بما يقبض من الأموال • وبإخراج ما يترتب عليها من خراج • أما الموظف الماشرف فهو الشاهد • وخطه تحقيق وضبط ما يشاهده من أوراق رسمية وغيرها • ثم اثبات الحساب الموافق لتعليقه • ولى ذلك عدد من موظفى ديوان الجيش منهم

(١) ابن مماتي • قوانين الداوين • ص ٣٠١ - ٣٠٣ • حسنين ربيع • النظم المالية فى مصر • ص ٨٥ •

(٢) حسنين ربيع • النظم المالية فى مصر • ص ٨٥ •

النائب وقد ذكر ابن مطاي في تعريفه أنه كاتب يستخدم نائباً عن الديوان مع المستخدم من \* . وعليه يمكن القول أنه من المحتمل أن تكون مهمته القيام بمراقبة الموظفين وأهل الديوان ، أنه يذكر المصدر نفسه بمد ذلك أن هذا الموظف لا يلزمه شيء من رفع الحسابات ولا الكتابة عليها ، ثم الأمين الذي يشبه النائب في عمله ، فضلاً عن مشابهته الشاهد في بعض الأعمال ، ثم الموظف المسمى بالخاص ، وعمله قبض الفلوات وخزنها ثم إخراجها ، وأخيراً الحاضر الذي يبدو لنا أن مهمته كانت حفظ أرث من تونس وليعبر له ورثة يرثونه ، وعليه تقع المسؤولية فيما قد يقع في ذلك من نقص بخيانة أو بغيرها .  
(١)

#### تنظيم الجيش الصلاحي :

وكان الهدف الأساسي من قيام الدولة الأيوبية - كما سبق أن رأينا - هو تخليص العالم الإسلامي من الخطر الصليبي الذي حل به في ذلك الوقت ، ولما كان ذلك الأمر يتطلب استعداداً كبيراً ، فإن صلاح الدين عبد الله تكوين جيش كبير ذي عناصر متعددة يستطيع به أن يحقق هدفه ذلك ، وعناصر هذا الجيش : المسكر السلطاني الذي كانت مهمته مقصورة على ملازمة السلطان والجهاد معه ، وجند الأمراء الذين يستدعون وقت الحرب ويسرحون بعد ذلك ، فضلاً عن المتطوعة والقوات المساعدة .

أما عن الجيش السلطاني ، فمن المعروف أن نور الدين محمود ، عندما

---

(١) ابن مطاي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ، حسين ربيع ، النظام المالية ، ص ٨٥ - ٨٦ .



أرسل أسد الدين شيركوه على رأس الحملة الثالثة الى مصر سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م ، أعطاه ما تقي ألف دينار سوى الثياب والاسلحة ، وسمح له أن يختار من المسكر من يشاء ، فأختار ألفي فارس ، وأخذ المال ، وجمع ستة آلاف فارس من التركمان . وأعطي نور الدين كل فارس من سار مع أسد الدين عشرين ديناراً .<sup>(١)</sup> كما أنضم الى هؤلاء جيش شيركوه الذي كان قد أنشأه في حصص ، باعتبارها اقطاعاً له .<sup>(٢)</sup> وهم المصروفون بالأسديّة .<sup>(٣)</sup>

ولما توفي أسد الدين شيركوه ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين فسى الوزارة ، انسحب من مصر التركمان وعد من الأمراء الترك بمن معهم من الفرسان الى الشام ، وبقي في خدمة صلاح الدين الاسديّة والكرد . ولم تكد تنتهي تلك السنة ، حتى ألف صلاح الدين عسكره المصروفين بالصلاحيّة بقيادة الأمير أبسى<sup>(٤)</sup> الهبياء السجيين .

ويبدو أن صلاح الدين قد جعل من هذه الطوائف الثلاث وهي النورية والاسديّة اللتين خرجتا مع أسد الدين شيركوه الى مصر سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م والصلاحيّة التي كونها بعد ذلك أساساً لجيش عرف فيما بعد بالجيش السلطاني ، أو الجيش النظامي ، مهمته ملازمة السلطان ، عند تسريحه لجند الأمراء بمصر .

(١) الباز المريني ، الشرق الاوسط في الصور الوسطى ، القسم الاول ، مايو ص ١٥٥ ، هامilton جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ص ٩٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ، الباز المريني ، نفس المرجع ، ص ١٥٦ ، هامilton جب ، نفس المرجع ، ص ٩٨ .

انتهاء الممارك أو حلول فصل الشتاء ، ولطيفهم تقع الحروب والغزوات والأعمال  
 (١)  
 الحربية الهامة ولا يفادرون العاصمة الا مع السلطان وللأفراض الخطيرة .

فكان صلاح الدين يعتقد على هذا الجيش في صد غارات الصليبيين ،  
 التي قد تحدث أثناء اعتمادهم أجناد الأمراء عنه ، والحد منها ، حتى يتمكن  
 من استدعائهم للمجيء اليه . من ذلك ما حدث سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م حين  
 بلغه أن الصليبيين قد أغاروا على جبلة ، فخرج اليهم مسرعا بحسبهم في الوقت  
 الذي سير فيه رسله لاستدعاء جند الأمراء من جميع الأقطار ، فلما سمع الصليبيون  
 بخروجه كفوا عن ذلك . ويبدو لنا أنهم فعلوا ذلك بسبب علمهم بوصول النجدة  
 الى صلاح الدين حيث وصل كل من عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين  
 زين صاحب اربل على رأس عسكرهما وكذلك عسكر الموصل ، الى حلب ، فاصد بين  
 خدمة صلاح الدين والجهاد معه . أما بالنسبة لاعتماد صلاح الدين على عسكره  
 النظامي ، عند تسريحه لحساكر الأمراء عند حلول الشتاء ، فيد لنا ما ذكره  
 العماد وغيره على أن اعتماده على عسكره هذا دون غيره كان اعتمادا كاملا

أثناء حصار عكا الذي استمر من سنة ٥٨٥هـ / الى سنة ٥٨٧هـ / ١١٨٩ - ١١٩١م  
 حيث كان كثيرا ما يعطى جند الأمراء انذنا بالانصراف الى أوطانهم اذا ما حل  
 (٢)  
 الشتاء على أن يعودوا اليه في الربيع .

- 
- (١) نظير حسان سمد اوى ، جيش مصر ، ص ٢٥ - ٢٦ .  
 (٢) ابن تيمى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٨ - ٣٩ .  
 (٣) أنظر ، العماد ، الفتح ، ص ٣٦٢ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ٣١١ هـ ٣١٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ابن سعيد ، الروض المبهض ،  
 ج ٢ ورقة ٣٦ ب ، وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

كما كان صلاح الدين يستغل عسكره السلطاني الذي كان يربط مـمـه  
 طول السنة في الاغارة على الصليبيين وونصب الكمان لهم ، من ذلك ما حدث  
 سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م حين أمر صلاح الدين رجال الحلقة المنصورة في جيشه  
 بأن يكمنوا في جهة عينها لهم • فخرج الصليبيون للاحتشاش فانقضوا عليهم  
 (١)  
 وكبدوهم خاسر فادحة •

ويلاحظ أن صلاح الدين كان كثيرا ما يدعم عسكره السلطاني بمناصر  
 ممتازة من أجناد الامراء ، فمتى ما رأى أن عسكره بحاجة الى تقوية طلب من  
 أمير الاقطاع أن ينتخب له من جنده نخبة طيبة ويمثلها اليه ، مثال ما ذكره  
 ابو شامة في حوادث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م من أن صلاح الدين كتب الى أخيه  
 الفادل بعصر يطلب منه أن ينتخب له من عسكر مصر الف وخسمائة يتقوى بهم  
 (٢)  
 على الصليبيين •

أما جند الامراء • فقد اقتضت ضرورة تاديب نظام الاقطاع الحرسى  
 في الدولة الايوبية ، بقاء معظم الجيش مفرقا بين أجزاء الدولة • وكان صلاح  
 الدين — كما رأينا — يقطع الاقطاعات لامرائه ، مقابل التزامهم بواجبات عدة  
 منها أن على كل أمير اعداد فرقة حربية تتكون من عدد محدد من الجنود •

---

(١) المماد ، الفتح ، ص ٥٥٩ • وجند الحلقة فئة من الجند يحتفظ  
 بالسلطان وتؤلف حرسه الخاص وكانت من خيرة قوات صلاح الدين ، أنظره  
 السيد الباز الحرنقي ، الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ص ٢٥٢ —  
 ٢٥٣ •

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ •

وتأمين كل لوازمها وفازا ما نشبت الحرب ذهب هذا الأمير بجنده الى ميدان القتال . واذا انتهت الحرب أو حل الشتاء ، عاد بهم الى اقطاعه ، على ان يعود بهم عند تجديد حالة الحرب أو انقضاء فصل الشتاء وحلول فصل الربيع . والأدلة على ذلك كثيرة فبالإضافة الى ما ذكرناه سابقا ، ذكر المماد أنه في سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وبعد انتهاء صلاح الدين من حصن كوكب ، أعطى عساكر الامراء الموافقة دستورا بالرجوع الى بلادهم . كما ذكر المماد وغيره أيضا أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م وبعد انحسار الشتاء وحلول الربيع عادت جيوش الامراء اليه وهو على عكا أثناء محنتها <sup>(٢)</sup> . وذكر ابن الأثير وغيره أنه في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م وبعد انتهاء حالة الحرب مع الصليبيين بمقد صلح الرملة معهم ، أعطى صلاح الدين لجميع الطوائف التي كانت قد توافدت للجهاد معه دستورا بالعودة الى أوطانها ، وعقد هو المزم على الحج <sup>(٣)</sup> . أما بالنسبة لمودة عساكر الامراء عند تجديد حالة الحرب فيدل لنا على ذلك ما ذكره ابن واصل في التاريخ الصالحى ، من أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م قدمت عساكر الامراء من جميع الاقطار مددا لصلاح الدين عند اشتداد القتال على عكا تلك السنة <sup>(٤)</sup> .

والى جانب المسكر السلطاني ، وجند الامراء كانت هناك فرق الفرزة المتطوعة الذين كانوا يعرفون قبل المهد الصالحى بالاحداث المتطوعة .

- (١) أنظر ما سبق ، ص  
 (٢) المماد ، الفتح ، ص ٢٢٤ ، ٣٦٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .  
 (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ ؛ ابن تشرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٨ ؛ ابن سميذ ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ١٧٥ .  
 (٤) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٦ ب .

استخذ منهم نور الدين محمود في جيشه يد لنا على ذلك ما جاء في ابن القلانسي  
من أن نور الدين ه أمر بالنداء \* في الفزاة والمجاهدين والاحداث المتطوعة  
(١)  
من فتيان البلد والغنياء ه بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الفرنج \*

والظاهر أنه كان لكل مدينة من المدن الاسلامية طامة ه والداخله في  
الامار الدولة الايوبية خاصة فرقي من الفزاة المتطوعة ه كانوا كثيرا ما يقصدون  
السلطان للجهاد معه بمحض اختيارهم \* ومن الأدلة على ذلك ما ذكره ابن  
الاثير من أن نور الدين محمود قد استعان عند استيلائه على دمشق سنة  
١١٥٤هـ / ١١٥٤م باحداثها \* الذين تذكر المراجع بأنهم هم الذين أطلق  
عليهم بعد ذلك الاحداث المتطوعة \* ثم ما ذكره الحماد \* من أن صلاح الدين  
عند ما عزم على أن يقصد الفرنج في مرج عيون سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م لكبسهم  
في مخيمهم ه وتسلح المسلمون بذلك تباشروا ه وتسابقوا الى المسير اليه ه  
(٢)  
وكان من ضمن الواقدين متطوعة دمشق وحموران \*  
(٣)

والجدير بالذكر أن مدينة دمشق التي اتخذها صلاح الدين عاصمة  
لدولته كانت تشتهر بفرقة الاحداث هذه منذ أيام نور الدين محمود وقبله \*  
يدلنا على ذلك ما ذكره ابن القلانسي من أن نور الدين محمود ه لم يكن في

- 
- (١) ابن القلانسي ه ذيل تاريخ دمشق ه ص ٣٤٠ هـ نظير حسان سمدأوى  
جيش مصر ه ص ١٥ \*  
(٢) ابن الاثير ه الباهر ه ص ١٠٧ \*  
(٣) أنظر نظير حسان سمدأوى ه جيش مصر ه ص ١٤ - ١٥ \*  
(٤) الحماد ه الفتح ه ص ٢٩١ هـ ٢٩٢ \*

استطاعته الاستيلاء على مدينة دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م إلا بفضل مراسلته لاحداثها واستمالتهم اليه . فما أن بدأ نور الدين بمحاصرة دمشق حتى شارح طائفة الاحداث ضد قائد الحامية الذي اضطر نتيجة ذلك الى التسليم .  
(١)

والظاهر أن كلمة أحداث هذه قد اخفت من المصادر التاريخية اختفاء تاما طوال العهد الصالحى وبعده ، وحقا، محلها كلمة المتطوعين . والكلمات على كل حال تدلان على أن أفراد تلك الفرقة لم يكونوا قوة نظامية ، بل كان فى استطاعتهم العودة الى أوطانهم أينما كانوا وحيثما شاءوا العودة . ويسدو لنا أن أغلب هؤلاء المتطوعة الذين أسهموا مع صلاح الدين فى جهاده ضد الصليبيين ، لم يكونوا مقصودين على طائفة الاحداث الشهيرة فى دمشق ، بل ضمت طائفة المتطوعة فى عهده أعدادا كبيرة من الفقهاء والمعلماء ورجال الدين ، يدلنا على ذلك ما ذكره ابن كثير ، أن صلاح الدين عندما عزم على فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م " قد داه العلماء والصالحون تطوعا " .

ولاشك أن هؤلاء المتطوعة كانوا يمتازون بحماس زائد وشجاعة وثقة نفسى ميدان القتال كما حدث عندما كان صلاح الدين على عكا سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م إذ ركب فى بعض اصحابه قصد النظر الى معسكر الصليبيين من مكان مرتفع ، واستكشف خططه ، فظن الخيانة من المعجم والصرب المتطوعة ، أنه على قصد المصاف والحرب

- 
- (١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٥ ، نظير حسان سحداوى ، جيش مصر ، ص ١٠٤ .
  - (٢) نظير حسان سحداوى ، جيش مصر ، ص ١٥ .
  - (٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٢ .

فأولوا في أرض العدو وهم يظنون أن السلطان قد سار أمامهم للجهاد ، فأرسل صلاح الدين عددا من أمرائه يردونهم ويحمونهم حتى يخرجوا ، إلا أنهم لم يصغوا إليهم ، واستمروا في المسير نحو الصليبيين الذين ترددوا بادي الأمر في لقاءهم . لاعتقادهم بأن خلفهم كفيلا ، إلا أنهم عادوا فحملوا عليهم بمد أن تأكد لهم أنقطاعهم عن المسلمين ، وقتلوا منهم جمعا كثيرا \* وشرق ذلك على صلاح الدين ، وكان ذلك بسبب شريدهم في أنفسهم ، وعرفت هذه الواقعة بوقعة الغزاة المتوقعة . (١) ورغم أن البعض قد نسب ذلك إلى حماسهم الزائد وسوء التدبير منهم ، إلا أنه يبدو لنا أن عملهم ذلك كان بدافع إيمانهم الشديد بفكرة الجهاد وجهيم للاستشهاد في سبيل الله خاصة أن أغلبهم كان من العلماء ورجال الدين .

والى جانب ذلك فانه يلاحظ أنه كان لوجود العلماء بين صفوف المتطوعة أثره في ابتداء هذه الطائفة بابتكار طرق جديدة في ميادين القتال ، كان لها دور كبير في انتصار الجيش الاسلامي ، من ذلك ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م في معرض حديثه عن معركة حطين من أن جيش المسلمين عندما أحاط بالصليبيين ، قام بعض المتطوعة بأشمال النار في تلك المنطقة مستغلين كثرة الحشائش اليابسة وسير الريح باتجاه الصليبيين ، فحملت حمر النار والدخان إليهم . (٢)

(١) العماد ، الفتح ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، أنظر أيضا ، نظير حسان سعادوى ، جيش مصر ، ص ١٧ .

(٢) نظير حسان سعادوى ، جيش مصر ، ص ١٧ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، أنظر ما يلي

وكثيرا ما تذكر المصادر التي بين أيدينا ، أن صلاح الدين عند عزيمته  
 على الجهاد ، كان يعمث رسله الى الاقطار والاهوار ، للاستتار والاستتار .  
 (١)  
 والظاهر أن يقصد بالمباراة الأولى استتار جند الامراء الذين كانوا يمدون  
 بمثابة الجند الاحتياطي ، أما المباراة الثانية فيبدو أن المقصود بها حث  
 الناس على الجهاد على سبيل التطوع لا الالتزام ، ومثله ما ذكره الحماد في  
 الفتح من رسالة كان قد بعثها صلاح الدين الى أخيه سيف الاسلام باليمن  
 يستحثه فيها على الجهاد قال فيها " وقد كنا استدعينا المساكين والجموع  
 للجهاد من جميع الجهات " اذ يحتمل أن يكون المقصود بالجموع هنا الغزاة  
 المتطوعة .

وهناك عنصر رابع من المحاربين أسهم مع صلاح الدين في جهاده لتصفية  
 الوجود الصليبي هم القوات المساعدة من المماليك وغيرهم الذين كان صلاح  
 الدين يستدعيهم ، لمشاركته في الغزو من ذلك ما ذكره الحماد من أن صلاح  
 الدين كتب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الى الاقطار والاهوار يستدعي المسلمين  
 للجهاد " وأهل للاستدعاء عمل الاستعداد ، واستحضر الغزو من الضرر  
 (٣)  
 والهدوء .

واشترك كثير من أبناء القبائل العربية في جيش صلاح الدين وأخلصوا  
 له مثلما حدث من بني منقذ أصحاب شذر ، والكنانية الذين ينتسبون الى قبيلة

---

(١) أنظر على سبيل المثال : المنجد ، الفتح ، ص ٣٣١ ، أبو شامة ، كتاب  
 الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .  
 (٢) الحماد ، الفتح ، ص ١٩١ .  
 (٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ .



كتانة المهاجرة من عسقلان بعد سقوطها في أيدي الصليبيين ، والتازلة فسي  
دمياط وضواحيها على عهد الوزير الفاطمي طلائع بن رزك ، وهي التي أسهمت  
مع صلاح الدين في غزوة لفرزه وعسقلان سنة ٥٦١هـ / ١١٧٥م ، والتي قامت  
بارشاده إلى الصالح والطريق ، وكذلك القبائل الشامية التي قامت بغارات  
خاطفة على القرى والمزارع الصليبية ، مثل غراتهم على صيدا وبيروت سنة  
٥٧٤هـ / ١١٧٩م . وعلى الملك ريتشارد أثناء زحفه لفلسطين سنة ٥٨٨هـ /  
(١)  
١١٩٢م .

#### الأسلحة والمؤن والتمتاد :

لما كانت الدولة الأيوبية قد قامت في ظروف مصيرية متشعبة في ذلك  
الصراع الذي كان دائرا بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية ، كان على صلاح  
الدين أن يهتم بالحرب وشؤونها والأسلحة المستخدمة فيها ولعل خير ما يوضح  
لنا مدى عنايته بالأسلحة وشؤونه في تلك الفترة أنه طلب من أحد رجاله وهو  
مريض بن علي الدارسوسى أن يؤلف له كتابا يهتم على أنواع الأسلحة وطرق  
صناعتها . (٢)

واستخدم صلاح الدين في حروبه من الأسلحة ما هو كليل بتحقيق  
غرضه الذي كان ينشده . ويمكننا أن نستنتج من نص أورده المصنفان ،

- (١) أنظر نظير حسان سمدواي ، جيش مصر ، ص ١٣ .
- (٢) قام الدارسوسى بتأليف كتابه المسمى ( تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة  
في الحروب من الأسوأ ونشر أعلام الأعلام ، والعدد والآلات الممنية على  
لقاء الأعداء ) وأهداه إلى صلاح الدين - وقد قام كلود كاهن بنشره في  
مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨م .

عند حديثه عن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، معظم تلك الأسلحة التي استخدمها صلاح الدين في جهاد ضد الصليبيين ، حيث يقول : « أنه لما عاد الى مصر ، وقد شاهد الفتح والنصر ، ترك خزانة سلاحه بالقاهرة كلها ، ولم يربح حصولها به نقلها ، وكانت أحمالا بأموال ، وأثقالا كجبال ، وذخائر وافية وعددا واقية ، ودروع سوابغ ، ونصولا دوائج ، وخوذات ودراريك وقذائف ، وعدد النقوب ، وجميع أدوات الحروب <sup>(١)</sup> . هذا بالإضافة الى ما هو مشهور منها كالمنجنقات التي كانت تعتبر أعظم آلات الحصار في المصور الوسطى وقد وصف القلقشندي المنجنيق « بأنه آلة من خشب له دفتان قائمتان ، بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجمعل فيها الحجر يجذب حتى ترتفع أسافله الأعلى اطالجه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئا إلا أهلكه » <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر الطرسوسي في كتابه ( تبصرة أرباب الالباب ) أن المنجنقات على عهد صلاح الدين كانت على ثلاثة أنواع منها الضربى الذي يمتاز بدقته صناعته وجودة استخدامه ومنها التركي الذي يعد أقل أنواع المنجنقات كلفته في صناعته وأخصرها مؤنة ، أما النوع الثالث فهو الفرنجى ، وقد وصفها وصفا دقيقا <sup>(٣)</sup> .

كما أورد الطرسوسي أيضا وصفا تفصيليا لكيفية استخدام المنجنقات في القتال حيث بين أن لذلك أمور يجب أن تراعى ، وأن عدم مراعاتها قد

- ( ١ ) أنظر الصمد ، الفتح ، ص ١٤٤ .  
 ( ٢ ) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٢٦ حاشية .  
 ( ٣ ) أنظر الطرسوسي ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٧ .

يسبب أخطارا جسيمة لمن يتولى الرى به • كما نبه على مراعاة الدقة فى وضع الحجر على الكفة • لأن ذلك له أثره فى تحديد المسافة التى يصل إليها الحجر كما بين أيضا أن الأصل فى بعد المسافة وقربها لى السهم ويسه • فمضى كان السهم فى لى لى ليس بالمفرد • كان لذلك أثره البالغ فى الوصول الى مسافة أبعد • وأشد نكابة للهدف المقصود • • ومضى كان السهم يابسا كان دون ذلك • فضلا عما ذكره من أنه يتمنى على الراى بالمنجنيق أن يعاد بين رجليه ويضبط (١)

الكفة بيد يه ويقعد مع كل جره بنفسه مع الكفة •

والواقع أن هذه المنجنيقات تعد أعظم الاسلحة التى أستخدمها صلاح الدين • وخاصة فى الممارك التى تدور رحاها فى أماكن حصينة • اذ من الضرورى • استخدام هذا النوع من السلاح لاحداث الثغرات فى الحصون والأسواركى يستطيع منها الجيش النفاذ الى الداخل • هذا فضلا عن استخدامها فى انهاء العدو داخل أسواره وذلك يقذف الحجارة التى يبدونها كانت تقذف بواسطة المنجنيقات فى الجو حتى تمتلى السور ومن ثم تسقط على العدو فى الداخل •

أما بالنسبة لحجم الحجارة التى كانت تقذف بواسطة المنجنيقات • فقد كانت كما ذكرت بعض المصادر مثل قلوب الرجال ووجوههم • كما يبدو لنا أن هذه الحجارة التى ترمى بواسطة المنجنيقات كانت تختار من نوع خاص • اذ

(١) المصدر السابق • ص ١٦ •

(٢) المعاد • الفتح • ص ٢٥٥ •

يذكر القاضي الفاضل عند وصفه للمنجنقات هذه الحجارة بأنها « كالسرووس المحلقة » (١) لذلك لا يستبعد أن تكون هذه الحجارة تختار من النوع الأملس

ولم يقتصر عمل المنجنقات على الرمي بالحجارة ، بل استخدمت فى الرمي بسلاح آخر كان للمسلمين دور كبير فى تطوير صناعته واستخداماته فى ذلك الوقت هو سلاح النفط . وقد ذكر الدوسوسى بعض المعلومات عن كيفية صنع هذه النفوط ، وأن المسلمين برعوا فى صنع أنواع عدة منها وأن هناك عناصر عدة تدخل فى تركيبها منها الزيوت ، والنورة المطفاة ، وغير المطفاة ، والنفط والصمغ ، والكبريت ، وخل الخمر الحاذق ، والقطران ، وشحوم الحيوانات ونخالة الحنطة ، وبعض النباتات وغيرها من العناصر التى كانت تخضع لعمليات كيميائية دلت على براعة المسلمين فى ذلك الوقت فى هذا الحـلـمـ (٢) لانـتـاج هذا السـلـحـ

والجدير بالذكر أن سلاح النفط هذا لم يقتصر الرمي به على المنجنقات فقد أشار الدوسوسى عند حديثه عن كيفية صناعته الى طرق عدة لاستخدامه فى القتال ، فمنه ما كان يرمى به من على ظهور الخيل ، أو بواسطة النشاب ، (٤)

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٢٩٨ .  
(٢) أنظر على سبيل المثال ما ذكره ابن شداد ، فى النوادر السلطانية ، ص ١٢٠ من أنصلاح الدين جميع الصنادع من النفاطين والزراقين وحشم على الاجتهاد فى ابتكار سلاح لاحتراق الابراج الثلاثة التى نصبها الصليبيون على عكا .

(٣) أنظر الدوسوسى ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ٢٠ - ٢٣ .  
(٤) النشاب : النبل وهو سهم مصنوع من القاب ، ( أنظر نبيل عبد الميز خزانة السلاح ، ص ٥٥ .

ومنه ما يوضح في قشر البيض بعد اخراج ما فيه ثم يرى به على الهدف ، ومنه ما يقذف بواسطة قوس عمل خصيصا لذلك والنقط المعمول في القوارير . فضلا عن تمكن المسلمين من صناعة نوح خاص منه يستطيع المشى على الماء دون أن ينطفئ .  
(١)  
مهمته احراق مواكب المدو .

والظاهر أنه كانت هناك جماعة متخصصة في جيش صلاح الدين مهمتها عمل هذا السلاح والرعى به . يدلنا على ذلك ما ذكره ابن شداد من أن الخليفة المباسى بحث في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م الى صلاح الدين حملا من النفط ومعه جماعة من الذين لهم خبرة بهذا السلاح عرفوا بالنفاطين والى جانب ذلك نجد الزراقين ، والذين يفسرهم البعض بأنهم جماعة مهمتهم رمى النفط من الزراقات التي هي عبارة عن أنابيب خاصة يرسل فيها النفط ، فتنبعث منها نار النفط بارقاد ودخان ، فتحرق السفن في الماء .<sup>(٢)</sup> ويدعو أن كلمة نفاطين كانت تطلق على الذين يعملون بالنفط في الحروب البرية ، أما الزراقين فرما قصد بها أولئك الذين اشتغلوا بهذا السلاح في البحر ، ولحل ما يؤيد ذلك<sup>(٣)</sup>  
(٤)  
اقتران كلمة الزراقين بالنفاطين عند الحديث عن سلاح النفط .

ومن الاسلحة التي استخدمتها صلاح الدين في جهاده أيضا ما عرف

- 
- (١) أنظر الطرسوسى ، تهصرة أبواب الالبات ، ص ٢١ - ٢٢ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ .  
(٣) أنظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ص ٢١١ حاشية .  
(٤) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

باسم المثلثات أو ما يمكن أن نطلق عليه الحسك وهى التى وصفها الداوسوسى  
يقوله « هذه المثلثات من ألطف الآلات ، وأبدع المصنوعات ، وأسرعها تأثيرا  
فى النكاية وهى مكيدة ترمى فى الأرض التى تعلم أن المدو يسلكها اليه ، ويسرع  
فيها للهجوم عليهم ، فإذا ساحت الخيل عليها ، ووطئت شوكتها القائمة  
فيها عقرتها أشد عقر ، وأثرت فيها أعظم تأثير فتسقط الخيول بمن عليها ،  
وتهلك بما أصابها من تلك النكاية . وسلاح الحسك هذا على نوعين منه المثلث  
الذى هو عبارة عن شوكة قائمة وشوكتين على الأرض ومنه المسدس ويتكون من  
ثلاث شوكات قائمة ، وثلاث ثابتة على الأرض (١) .

أما المستائر فهى أهم معدات الحرب عند المسلمين فى العصور  
الوسطى ، كانوا يتخذونها من الجلود واللبود والبلولة بالخل والشب والنظرون  
لوقاية الحصون والقلاع من قذائف النفط ، كما كانت تستعمل الى جانب ذلك  
لحماية الابراج والدبابات المصنوعة من الخشب ، والسفن من قذائف النفط (٢) .  
عن استخدام نوع منها فى وقاية الجنود الذين يستعان بهم فى جر المضخات  
وما شابهها (٣) .

يلى ذلك الزنبوركات والجروح ، التى قد تمتلئ نوعا من القسى السقى  
ترى عنها المسهام ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن الأثير عند حديثه عن فتح

(١) الداوسوسى ، تهصرة أبواب الالهاب ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) ابن واصل ، فوج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ حاشية .

(٣) أنظر الداوسوسى ، تهصرة أبواب الالهاب ، ص ١٨ - ١٩ .

حصن صهيون سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م اذ يقول « ودام رشق السهام من قصى  
 اليد<sup>(١)</sup> والجح<sup>(٢)</sup> والزنبورك والزيار<sup>(٣)</sup> » اذن فقد ورد أن ذكر الزنبورك والجح  
 هنا على أنها نوطان من انواع القسى • وجاء ما فى الصمد أيضا « وتوقـسـير  
 الجروح والزنبوركات<sup>(٤)</sup> » فالتوتير لا يكون الا للقوس كما جاء فى الروضتين أيضا  
 « ومراكب وحراريق وفيها رماة الجروح والزنبوركات<sup>(٥)</sup> » لهذا كان المقصود بها  
 القسى لا السهام بدليل ما جاء فى ابن شداد اذ يقول « وأطلقوا ( أى المسلمين )  
 عليهم سهام الجروح<sup>(٦)</sup> » وأحجار المنجنيق<sup>(٧)</sup> » فالجحر يطلق من المنجنيق • وكذلك  
 السهم يطلق من القوس •

أما الدبابات • فقد ورد فى شرحها أنها « آلة سائرة تتخذ من  
 الخشب الثمين وتغلف باللبود والجلود المنقمة فى الخل لدفع النار • وتركب  
 على عجل مستدير • وتحرك فتبخر • وربما جعلت برجاً من الخشب • ودبر فيها  
 هذا التدبير • وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر<sup>(٨)</sup> » • أما الدارسوسسى  
 فقد اكتفى بمجرد الإشارة اليها عند حديثه عن المنجنوقات بقوله « وما يضاف  
 الى ذلك ( أى المنجنوقات ) وأن كانت هى ليست منها • وإنما هى آلة تقرب

- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ١١ •
- (٢) الصمد • الفتح • ص ٣٤٥ •
- (٣) ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ ص ١١٩ • راجع ما ذكر عن الزنبورك  
 فى ابن شداد • ص ١٤٨ - ١٤٩ حاشية للكتوب الشيال وابن الفرات  
 م ج ١ ص ٢٣٩ حاشية ٤ • الدواداوى • المطلوب • (حاشية) •
- (٤) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١١٨ •
- (٥) الحسن بن عبدالله • أثار الاول • ص ١٩٢ • ابن الفرات • تاريخ ابن  
 الفرات • م ج ٢ ص ٧ • حاشية •

(٢)

من هيولاتها ، ويستعان بها في نقب الاسوار وما شابهها وعلى الدبابات \*  
 داخليا  
 ويبدو ان استخدامها يكون بادخال الرجال ، ومن ثم فح حتى تقترب من  
 الاسوار والحصون ليقوم من بداخلها بمهمة النقب في حين تقيمهم على ما يرون به  
 (٣)  
 من فوقهم .

والى جانب ذلك فقد استخدم الدين أنواعا أخرى من الأسلحة  
 الخفيفة التي يكون القتال بها وجها لوجه مثل • السيوف التي ذكر الطرسوسى  
 ان معادنها وأنواعها تختلف باختلاف البلدان التي توجد فيها • وأن منها  
 ما كان يصنع ببلاد المغرب والأندلس • وبلاد الروم والهند والصين وديار مصر  
 كما ذكر أن أرداة أنواع السيوف ما كان بالمغرب والأندلس • أما أجودها فهو  
 ما كان يصنع بمصر • (٤) والسيوف سلاح ذو حد يضرب به باليد وهو أنبل الأسلحة  
 البيضاء التي قد رخصها المسلمون ومن قبلهم العرب في جاهليتهم • ومنها  
 أيضا الرماح التي تعد من أهم الأسلحة التي تستخدم من فوق ظهور الجناد • (٥)  
 وقد ذكر الطرسوسى ان هذه الرماح على أنواع منها الأصم القصير وهو أحسنها  
 طمنا • ومنها نوع آخر يشق نصفين ويجوف جميعه تجويفا تمشي فيه النشاب  
 (١) يبدو أن الطرسوسى قصد بهذا التعبير أن الدبابات كانت تقارب نفس  
 تصميمها وشكلها المنجنقات •  
 (٢) الطرسوسى • تبصرة أبواب الالباب • ص ١٨ •  
 (٣) عبد الرحمن زكى • السلاح في الاسلام • ص ٢٤ • ابن شداد •  
 النوادر السلطانية • ص ٤٢ • حاشية الشيال •  
 (٤) أنوار الطرسوسى • تبصرة • أبواب الالباب • ص ٤ •  
 (٥) عبد الرحمن زكى • السلاح في الاسلام • ص ٣٣ •  
 (٦) المرجع السابق • ص ٢٨ •



(١)

وهذا النوع يستخدم كالقوس لرمى السهام •

أما الدرع فهي عبارة عن أثواب منسوجة من زرو الحديد تلبس فسى  
الحرب وشكلها ضيق تلبس على الجسم لها أكمام قصيرة تصل الى منتصف الذراع  
وجرت العادة بأن يلبس المحارب ثوبا من النسيج المبطن يكون أشبه بوسادة تحت  
حلقات المعدن أو صفائح الرقيقة • ويتكون الدرع الكامل من الجوشن وهو الجزء  
الذى يلقى الصدر ، والبيضة أو الخوذة والمفرغى الأجزاء التى تقى الرأس  
(٢)  
ثم أجزاء أخرى تقى الساقين والساغدين والكفين •

ويشبه الدرع التراس وهو من أهم معدات الحرب فى عصر صلاح الدين  
وكانت تصنع من الحديد ومن الخشب الجيد ، ومن الجلود المكسوة بالدهون  
والاصباح يلقى بها المحارب الضرب والرمى وقد أشار الطرسوسى عند حديثه  
عنها الى أنها على أنواع عدة منها المدور وهو التراس ومنها الطوارق ، وهى  
التي وصفها بقوله بأنها « آلة مستطالة ، الى أن تستر الفارس والراجل وتبدأ  
مدورة ثم تجتمع أولا الى أن ينتهى آخرها الى نقطة محدودة كزروس المماول  
(٣)  
أما النوع الثالث من هذا التراس فهي الجنديات والتي وضعها الطرسوسى أيضا  
بقوله « وهى كالدوايق إلا أنها غير محدودة الأخر ، بل مقطوعة لتقف على  
الأرض وهى التى ترحف بها الرجالة للقتال ، وتكون للصف كالحصن المانع من

(١) أنظر تفصيل ذلك فى الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٠ - ١١ •

(٢) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٢٦ - ٢٧ •

(٣) الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٢ •

## النبال (١)

والى جانب ما ذكرناه من الاسلحة التى استخدمها صلاح الدين فى جهاده لتصفية الوجود الصليبي استخدم أسلحة أخرى خاصة بنقب الاسوار وطم الخنادق ، وعلى التى عرفت بحدود النقوب ومنها القطاعة التى هى عبارة عن مطرقة تستعمل لقطع الصخر أو هدم البناء <sup>(٢)</sup> غذا فضلا عن ما هو مشهور من هذه المدد التى تستعمل أيضا لنقب الاسوار وطم الخنادق كالساحى <sup>(٣)</sup> شايها .

ومن الاسلحة التى استخدمها جيش صلاح الدين الدبوس وهو عبارة عن آلة حربية من حد يد عرفها البعض بأنها هراوة فى طرفها كتلة صغيرة . وكثيرا ما يحملها الفرسان فى السروج تحت أرجلهم لكى تستخدم فى تهشيم الخوذ الحديدية . <sup>(٤)</sup> ومنها أيضا اللتوت جمع لت وهى كلمة فارسية الأصل ، يقصد بها القذوم أو الفأس الكبير ، <sup>(٥)</sup> النتيجة وعلى ذلك السلاح الذى ضرب به صلاح الدين رقبة أرناط بعد معركة حطيم سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وهى عبارة عن خنجر مقوس ، يشبه السيف القصير . <sup>(٦)</sup>

- 
- (١) الطرسوسى ، تصرة أرباب الالباب ، ص ١٢ .
  - (٢) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٤٥ .
  - (٣) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٨ .
  - (٤) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٢٦ .
  - (٥) أنظار المطاد ، بالفتح ، ص ٤١٠ حاشية .
  - (٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ حاشية .

أما عن المؤن والمتاد فمن المعروف أن صلاح الدين كان يعتمد قبل خروج جيشه إلى ميادين القتال ، إلى توزيع الأسلحة والملابس على جنده من الدارخانات ، كما كان يعطى كل واحد منهم مبلغا معيناً من المال لشراء ما يلزمه من ضروريات المعركة ويحمل كل رجل معه ما تقرر له من كميات المؤن والملوفا ، وقد يشترها على حسابها الخاص ، إذ يجرى شراء كميات إضافية من التجار الذين يتخذون لهم مكاناً في قاعدة المملوكات الحربية ليبعوا للجند ما يحتاجون إليه .<sup>(١)</sup>

وكان صلاح الدين يحسب للمشارك حساباً كبيراً في هذا الشأن ، فكثيراً ما كان يصدر أوامره للمسكر بعد سيرهم بالاستزادة من المؤن والمتاد تحسباً لطول المعركة ، كما حدث حين خرج صلاح الدين سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م لغزو غزة وعسقلان حين أصدر أوامره إلى عسكره بأن يحصلوا من المؤن والزاد ما يكفى لشهرة أيام أخرى .<sup>(٢)</sup>

أما فيما يتعلق بإدخال المدد إلى المدن التي تتعرض لحصار طويل من جانب العدو ، فإن صلاح الدين كان إذا توقع من عدوه مثل ذلك ، أنفذ إلى البلد المتوقع حصاره من الرجال والميرة والآلات والسلاح ، ما كان كفيلاً بالدفاع عنها ، فضلاً عن حرصه على رفع الروح المعنوية للمقيمين بالداخل . من ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م من أن صلاح الدين لما علم باعتزام الصليبيين حصار دمياط في تلك السنة ، أنفذ إلى البلد

---

(١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٧ ، الباز المربني ، الشرق الأوسط في الحصور الوسطى ، ص ١٦٧ ، نظير حسان سعادوى ، جيش

مصر ، ص ٧٩ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص .

من الرجال الابطال والفرسان ، والآلات ما أمن معه عليه . هذا بالاضافة الى امداده للمقيمين فيه بامدادهم بالمساكر والآلات ، وقيامه هو من الخارج بازطاج العدو .<sup>(١)</sup>

أما في حالة تعرض البلد لحصار مفاجئ من جانب العدو فقد عمد صلاح الدين الى أساليب عدة لادخال المؤن والعتاد الى ذلك البلد - الذي قد أحكم حصاره منها استخدام القوة في أحداث ثغرة في صفوف العدو يتمكن من خلالها من ادخال العدد الى البلد المحاصر ، مثلما حدث سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م عندما بلغت حصار الصليبيين لمكا ، حيث جمع أصحابه وشاورهم في الأمر ، واتفقوا على مضايقة العدو بالقوة . فاستدعى صلاح الدين عساكره من كافة الجهات ، واستعد لذلك استعدادا كبيرا ، وضرب ضربته فتتمكن من فتح طريق سلكه المسلمون الى البلد ، وادخلوا لمكا ما أرادوا من الرجال والأموال والذخائر والسلاح والميرة وغير ذلك . ومن هذه الأساليب أيضا قيام صلاح الدين بمهاجمة العدو لاشغاله ومناوشته لجذبه الى إحدى الجهات ومن ثم انتهاز الفرصة من الجهة الأخرى لادخال العدد الى البلد المحاصر . من ذلك ما حدث سنة سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م أثناء حصار الصليبيين لمكا ، حيث قام صلاح الدين بهجوم قوى على الجيش الصليبي الذي كان يحاصر عكا ، لكي يشغله عن الاسطول الاسلامي القادم من مصر ، ومعه مراكب

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٨

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن تشرى بودى ،

النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

فيها المؤي والدخائر ، حتى استطاع ذلك الاسطول أداء مهمته رغم تعرضه  
 لاشتباك مع الاسطول الصليبي في عرض البحر .<sup>(٢)</sup> هذا فضلا عما كان يقوم به  
 الاسطول الاسلامي من الحيل لادخال المدد الى البلدان الساحلية التي قد  
 تتعرض لحصار من جانب الاعداء . من ذلك ما حدث أيضا في عكا سنة ٥٨٦هـ /  
 ١١٩٠م حيث أعد صلاح الدين بيبرس سفينة كبيرة أودعها أربعمئة غرارة  
 من القمح ووضعه فيها كذلك الجبن والخبز والبصل والفنم واحمالا من التوابل والحرير  
 وغير ذلك . وركب في تلك السفينة جماعة من المسلمين تزوا بزى الفرنج ،  
 فحلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح السفينة ، بحيث ترى من بعد  
 وعلقوا الصلبان ، وشدوا الزنابير ، وأبحروا بها في البحر وسط مراكب الصليبيين  
 ولما حاذوا عكا صوبوها نحوها ، وتمكنوا من أداء مهمتهم بإدخال ما حملته تلك  
 السفينة من مؤن وعقاد الى داخل البلد ، ففرح المسلمون بذلك فرحا عظيما .<sup>(٢)</sup>  
 هذا فضلا عما كان يقوم به الموامون المسلمون من دور كبير في ذلك ، ولعلنا  
 نجد في قصة الموام عيسى خير دليل على ذلك . حيث كان ذلك الرجل يدخل  
 الى عكا بالكتب والنفقات على وسطه ليلا ، على غرة من المدو . وكان ينسوي  
 ويخرج من جانب من مراكب المدو . وحدث في احدى الليالي أن أبحر وقد  
 شد على وسطه ثلاث أكياس ، فيها ألف دينار ، وكتب للمسكر وعام بها  
 في البحر . وكان من عادته اذا نجح في أداء مهمته أن يظير طيرا لكي يصرف

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن كثير ، البداية  
 والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٦ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٥ ؛ ابوشامة ، كتاب  
 الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦١ .



ويدعى الميسرة ، ثم فرقة أخرى من وراء المسكر كله أطلق عليها الساقة ، ويقف السلطان وأصحابه فى الوسط بين هذه الفرق الأربع . وهذه هى الأصول الستى أجمع عليها فى ترتيب جيوش المسلمين ، وتلك الأصول فى نظرهم كالفروض الواجبة ، أما الفروع كالطلايع ، والكنا ، فهى كالتوافل غير الواجبة لاختلافهم فيها .<sup>(١)</sup>

والتمهيد على هذه الصورة ، معناه أن يقف كل عسكر فى موضعه ، ويعرف كل أمير منزلته استعدادا للزحف على العدو ، بحيث يقف المينة فى مقابلة ميسرة العدو ، والميسرة فى مقابلة مينة . وتنقسم كذلك كل من المينة والميسرة الى جناحين أيمن وأيسر ، وبالمثل القلب ، فيقال الذراع الايمن للقلب ، والذراع الأيسر للقلب . وتتكون المؤخرة من المطيخ والخزينة ، والفانى من الخيول والاسرى والجرحى . وتنطبق هذه الصورة على ما ذكرته الروايات المعاصرة عن التمهيد الصلاحية فى المعركة المصروفة بالصف الاعظم أو الموقعة الكبرى التى حدثت فى شعبان من سنة ٥٨٥ هـ / اكتوبر ١١٨٩ م عندما خرج الصليبيون بتمهيد القتال نحو المسكر الاسلافى بتل المياضية . ذلك أنه لما كان يوم الاربعاء الموافق الحادى والعشرين من شعبان سنة ٥٨٥ هـ تحركت عساكر الصليبيين فارسهم وراجلهم ، واصطفوا خارج خيامهم : قلبا ومينة وميسرة وفى القلب الملك بين يديه الانجيل . وامتدت المينة فى مقابلة ميسرة عسكر المسلمين ، وامتدت ميسرة العدو فى مقابلة مينة المسلمين ، وكان الحرف

---

(١) أنظر الداروسوسى ، نهضة ارباب الالباب ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ نظير حسا سمداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٢٥ ؛ سمداوى ، جيش مصر ، ص ٤٠

ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر • ولما رأى صلاح الدين ذلك نادى  
فى جيشه " يا للإسلام " فركب الناس • وامتدت الميمنة الى البحر • والميسرة  
الى النهر كذلك • وكان صلاح الدين قد رتب الناس فى الخيام ميمنة وميسرة  
وقلبا • حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى تجديد ترتيب وكان هو فى القلب •  
(١)

وكان صلاح الدين يقوم بتميين قائد مستقل لكل فرقة من هذه الفسرق •  
أطلق عليه المقدم فيقال مقدم المقدمة • ومقدم الميمنة • ومقدم الميسرة • ومقدم  
الساقة • أما القلب فقد جرت المادة بأن تكون امرته لصلاح الدين نفسه • ويحاط  
بالاطباء والفلكيين والعلماء والاختصاص ورماة المزاريق الصهرة ويقف جاهدوا المسلم •  
(٢)  
وأصحاب الكوسات •

والى جانب ذلك كان صلاح الدين يدور بنفسه يوم المعركة على صفوف  
الجيش ويخاطبهم ويحثهم على الجهاد • ويمدحهم بالثواب من الله فى الآخرة •  
(٣)  
ويعنيهم بالخلق السنية والمطايا والهبات •

وجرت المادة أن يسبق مماركة صلاح الدين حركة استكشاف يقوم بها  
طائفة من جيشه عرفت باسم اليزك يمرن أفرادها على تقصى أخبار العدو ومعرفة

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٠٩ - ١١٠ • أبوشامة الروضتين •  
ج ٢ • ص ١٤٤ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٩٥ - ٢٩٦ •  
نظير حسان سحداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ٢٢٦ • سحداوى  
جيش مصر • ص ٤١ •

(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٢٥ • نظير حسان سحداوى • جيش  
مصر • ص ٤١ • والكوسات عرفها القلقشنندى فى صبح الأعشى • ج ٤ • ص  
بانبا عبارة عن صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير • يدق باحد ها على  
الآخر بما يقع مخصوس • أنظر أيضا تاريخ ابن الفرات • ج ٤ • ص ٥٢ • ص ٥٥  
حاشية •

(٣) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٩٦ • ابن تشرى بردى • النجوم  
الزاهرة • ج ٦ • ص ١٠ •



خططة الحربية ، وقد يشهد اليه بمهمة المناوشة المدو بالنشاب ، واستد راجسه  
(١)  
الى مصمكر المسلمين .

أما اذا أراد صلاح الدين الخروج في القطار ، فانه كان يأمر بدق الكوسات  
ايذانا بيد القتال يدلنا على ذلك قول العماد الاصفهاني « كانت الملامسة  
بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو ، دق الكوس ، حتى اذا سمعناه  
جددنا في الزحف الى العدو بالنفائس والنفوس » .  
(٢)

كما كان صلاح الدين اذا أراد اصدار أوامر جديدة لجيشه أثناء سير  
المعركة أوكل شخص في جيشه عرف باسم الداوashi مهمته نقل هذه الأوامر  
الى جميع وحدات المعسكر يشاركه في هذا العمل موظف آخر عرف باسم الجاويش  
(٣)  
فضلا عن قيامه بالصياح والتمتداه في الجيش لحثهم على الجهاد .

كما أهتم صلاح الدين بوجه خاص بالناحية القضائية في عسكره ، وكان  
ذلك على ما يبدووا تحسبا للفصل فيما قد يحدث بين المعسكر من اختلافات  
ومشاكل تشغلهم عن الجهاد ، وقد تولى وظيفة قضاء المعسكر هذه على عهد  
(٤)  
صلاح الدين ، المؤرخ بهاء الدين بن شداد الذي لازمه في حله وتراحله .

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ؛ العماد ، الفتح ،  
ص ٢٩٣ ؛ أنظر أيضا نظير سحداوى ، جيش مصر ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- (٢) العماد ، الفتح ، ص ٤٨٨ .
- (٣) أنظر نظير حسان سحداوى ، جيش مصر ، ص ٤٥ ، والجاويش : كان معناه  
في مصطلح العصر الايوبي جندي مهمته النداء واستنفاذ الجند . ( أنظر  
ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٢ حاشية ؛ ابن واصل ، فتح الكروب ،  
ج ٢ ، ص ٢٩٥ حاشية .
- (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧ حاشية ؛ نظير حسان سحداوى ،  
جيش مصر ، ص ٤٤ .

أما وضع الخطط العسكرية ، فقد وضع صلاح الدين لأقاربها والأشراف عليها مجلس مشورة يتمتع كلما دعت الضرورة لانعقاد . واستشار صلاح الدين ذلك المجلس فيسي عملياته الحربية وعمل بمشورته . ويتكون هذا المجلس من كل من صلاح الدين رئيسا ، عضوية أخيه الحادل أبي بكر وأولاده وأولاد أعمامه ، والرفاق القدامى والأتباع الجدد ، ووزيره القاضي الفاضل ، وسكرتيره الخاص العماد الاصفهاني ، وقاضي الجيش بنهاء الدين بن شداد (١) .

وأعطى صلاح الدين أعضاء هذا المجلس حرية ابداء الرأي في صراحة تامة ، وان كان من المقطوع به أن وجود صلاح الدين كرئيس لهذا المجلس كان يملك السيادة عليه . ولم يحدث مطلقا أن علا صوت أحد الأعضاء الآخرين وانفسرد بالمناقشة دونهم ، بغية التأثير على صلاح الدين . ومع ذلك فانه يبدو لنا أن المشورة لم تقتصر على أولئك الانصار بل كانت له مشورة خاصة تقتصر على نفر من أصحابه ، وعامة تشمل الجيش بكامله . فمن المعروف أن صلاح الدين اعتم كثيرا بمشورة أخيه الحادل وسماح رأيه بالذات (٢) حتى أن البعض يرجع نقله من هبللى حلب

الى أن صلاح الدين رغب في أن يكون أخوه الحادل على مقربة منه يأخذ رأيه فيسي أمور السياسة والحرب للاستشارة بمشورته . وبلغ به الأمر أن حرص على الكتابة اليه دائما وهو بصصر ، وكان يؤخر الأمور حتى يرد عليه . وكذلك الحال مع غيره ممن (٤)

(١) أنار نظير حسان سمدوى ، التاريخ الحبري المصري ، ص ١٧٧ . جيش مصر ، ص ٣٢ .

(٢) Lane-Poole, Saladin, P. 260.

نظير حسان سمدوى ، جيش مصر ، ص ٣٢ .

(٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٤) نظير حسان سمدوى ، التاريخ الحبري ، ص ١٥١ .

يمرغ سداد رأيه في ذلك أمثال القاضي الفاضل ، والفقيه الهكاري ، والقاضي  
بهاء الدين بن شداد وغيرهم ممن كان صلاح الدين ينفرد بهم ويخصهم بمشورته .  
(١)

كما كان صلاح الدين يستشير أكثر من واحد من أصحابه في أمر واحد ،  
يدلنا على ذلك ما ذكره ابن شداد ، من أن صلاح الدين شاوره في أمر خراب  
عسقلان بعد أن كان قد أخذ مشورة ابنه الملك الأفضل عليها في ذلك .  
(٢)

أما بالنسبة للمشورة العامة ، فدل لنا على ذلك ما ذكره ابن شاهنشاه  
الأيوبي في كتابه ضمائر الحقائق من أن صلاح الدين بحث كتابا إلى نائبه  
في مصر يصف الاستعداد للجهاد قال فيه « وقد عزمنا - مع خروج شابط -  
على السير إلى حلب ، لأن هناك الصاكرك يقرب اجتماعها ، والثنائم يتحقق  
اتساعها ، والمشاورات الصائبة يتدانى استماعها . . . »  
(٣)

وعلى كل فإن الذي يهمننا هو أن صانع قد سار في وضع الخطط العسكرية  
لجيسته على أساس نظام المشورة الذي كان يقوم على تبادل الآراء واختيار  
أفضلها ، سواء أكان ذلك في الفترة التي قضاها في توحيد الجبهة الإسلامية  
أو بعد أن بدأ مشروع الجهاد الإسلامي لتصفية الوجود الصليبي . بل إن  
طريق مبدأ المشورة هذا حتى وهو لا يزال تابعا لسيد نور الدين محمود ،

(١) أنظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ، وابن كثير ، البداية  
والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٩ ، السبكي ، طبقات النافسية ، ج ٧ ،  
ص ١٦٧ .

(٢) ابن تقي بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٦ .

(٣) ابن شاهنشاه الأيوبي ، ضمائر الحقائق ، ص ١٦٤ .

يد لنا على ذلك ما فعله في المحرم من سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، حين جـمـع  
 الأمراء وشاورهم في رغبة الخليفة المباسي ونور الدين محمود ، في القبض على آخر  
 الخلفاء الفاطميين والنساء الخطابة له وإقامتها للخليفة المباسي المستنصر<sup>(١)</sup> ، وفي  
 السنة نفسها دعا صلاح الدين المجلس إلى الانعقاد ، بعد أن بلغه عزم  
 نور الدين محمود على قصده في مصر وإخراجه منها بسبب تأزم الموقف بينهما  
 حيث جمع لذلك أهله وأقاربه ، واستشارهم في ذلك ، فقال بعضهم بمقاتلة  
 نور الدين أن أقدم على ذلك وعزموا على إعلان ذلك لولا تدخل نجم الدين  
 أيوب والد صلاح الدين الذي حسم الموقف بحكمة وروية ، كما سبق أن ذكرنا<sup>(٢)</sup> .

وحيثما استحصت مدينة صور التي اعتصم بها الصليبيون على صلاح الدين ،  
 عقد مجلس مشورة في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م - ناقش المجتمعون فيه مسألة  
 حصار مدينة صور وفي ذلك يذكر المصادر أن صلاح الدين وأصحابه قررو فيه أن  
 صور " بلد حصين في البحر ثلاثة أرباعه ، ومن أحكام المزم تكميل الآلات وتركيب  
 الابراج والدبابات واستحضار كل ما يراى للحصار " أما ابن الأثير في كتابه<sup>(٣)</sup>  
 الكامل ، وأبو شامة في كتابيه الروضتين ، فقد ذكرا أن المجتمعين في ذلك  
 المجلس انقسموا قسمين ، قسم يرى رفع الحصار لكثرة القتلى وقلة الأموال وحلول  
 الشتاء ، على أمل العودة إليها في الربيع ، وقسم رأى الاستمرار في حصارها<sup>(٤)</sup>  
 ومضايقتها حتى تسقط . وانتهى الأمر بتغلب الفريق الأول على ما سئرى في الفصل

(١) أنظر ما سبق ، ص

(٢) أنظر ما سبق ، ص

(٣) المصادر ، الفتح ، ص ١٥٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٦ . أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،

ص ١١٩ - ١٢٠ .

## الخامس .

وفى حصار الصليبيين لمكا ان عقد مجلس الشورى أكثر من مرة لوضع  
الخطط الحربية ، منها ذلك الاجتماع الذى عقد فى شبمان من سنة ٥٨٥ هـ /  
سبتمبر ١١٨٩ م ، والذى افتتحه صلاح الدين بقوله « اعلما أن هذا عدو الله  
وعدونا ، قد أجلب بخيله ورجله ، واناخ بكناككله ، وقد برز بالكفر كله الذى  
الاسلام كله ، وجمع حشده ، وحشد جمعه ، واستنفذ وسعه ، وأن لم يمالج  
الآن فريقه أغضل دأؤه وتمذر غدا لقاءه » (١) .

والمواقع أن صلاح الدين شاور أصحابه فى هذه المواطن كلها ، ومواطن  
أخرى كثيرة يحاول حصرها هنا . وقبل رأيهم عن رها حينا ، وعن كره حينا آخره  
اينارا لرئائهم ، وحرصا منه على احترام رأى الأغلبية . (٢)  
اذا عقد مشورة أو اتخذ قرارا سياسيا أو اصلاحيا أن يكلف القاضى بهاء الدين  
ابن شداد بتعليقه الى الجهات المعنية لتقوم بدورها بتنفيذه ، وفى هذا  
المعنى يقول ابن شداد « فكتبت الرقاع ، وسيرت الى الامراء » (٣)

والى جانب نظام المشورة اتبع صلاح الدين أساليب أخرى ، كان لها  
الأثر الكبير فى احكام خطاه العسكرية ، منها استغلال المعلومات التى كانت

(١) أنظار المعاد ، الفتح ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ٣٩ .

(٣) ابن شداد ، النادر السلطانية ، ص ٢١٢ ، نظير حسان سعداوى  
جيش مصر ، ص ٣٨ .

تصله من معسكرات المد واما بواسطة الطلائع أو اليك - كما سبق أن ذكرنا -  
 وأما بواسطة الجواسيس أو الميون ، التي كان صلاح الدين حريصا على بشها فسي  
 معسكرات الأعداء لكشف خططهم ، ومعرفة مواطن الضعف في صفوفهم . يدلنا  
 على ذلك ، ما ذكره المصادر الأصفهاني على لسان الأمير علم الدين سليمان  
 ابن جندب من أنه أنهض جماعة من أصحابه ، ليقتلوا آثار ملك الألمان ، ويكشفوا  
 أخباره ، فساروا إلى معسكره ، وخالطوا جيشه ، واستطلعوا أخباره وخططه ،  
 ثم عادوا بعد أن أسر كل منهم ثلاثة أو أربعة أشخاص من جيشه بأعوانهم فسي  
 الاسواق (١) . هذا فضلا عما كان يعلمه من معلومات عن معسكرات الصليبيين عن  
 طريق أولئك المستأمنين الواصلين إليه من صفوف الفرنج . (٢)

كما قام صلاح الدين ببعض الأحيان باستطلاع أخبار عدوه بنفسه - من  
 ذلك ما ذكر من أن صلاح الدين خرج في سنة ٥٧٢هـ / ١١٨٦م إلى مرج  
 فاقوس من أعمال مصر الشرقية لارتباب العدو ، ومظاهرها بالصيد والقنص ، وهو  
 في حقيقة الأمر يريد تطالع أخبار الصليبيين بنفسه ، لمعرفة خططهم وانتهاز  
 الفرص للانتفاض عليهم . (٣)

كما يبدو أن صلاح الدين كان قد سار على طريقة سيده ، نور الدين  
 محمود في استخدام الحمام الهواوي وذلك كوسيلة للاتصال بجيوشه التي تتعرض  
 للحصار والتضييق عليها من جانب الأعداء لمعرفة أحوالهم ، ومن ثم تنسيق

(١) المصادر ، الفتح ، ص ٣٩٦ .

(٢) أنظر ابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

(٣) الميني ، عقد الجبايع ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٨ أ .

الخطط العسكرية معهم ، من ذلك أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م تمكن بهذا  
(١)  
من استطلاع أخبار أهل عكا وما هم عليه من أمر الحصار .

أما عن التنظيم في القتال فقد اتبع صلاح الدين في معاركه أساليب كثيرة  
ومتنوعة ، ففي الممارك المكشوفة التي كان يشتبك فيها مع عدوه وجها لوجه فقد  
كان يقسم جيشه - كما سبق أن رأينا - إلى تبة قتالية تتكون من المقدمة  
والقلب ، والميسرة والساقة ، ويجعل ميمنته مقابل ميسرة العدو وميسرته مقابل  
ميسره ، وعند بدء المعركة يكتف بمناولة العدو بأحد الجناحين ، على حين  
يظل الجناح الآخر على أهبة الاستعداد يتقدم للقتال متى أصاب الأول الوهن  
أو أعياه الضعف ، أما القلب فوظيفته أن يد جناحيه بالاطلاب ، إذا ما أصابها  
(٢)  
الضعف أيضا .

ولا يقتصر موقف السلطان في المعركة على القلب ، بل كان يطواف على  
الاطلاب جميعا يحثهم على الجهاد ، ويحييهم في الاستشهاد ، وإذا ما  
اشتد القتال ، طاف بين الصفوف من المينة إلى الميسرة ، يدعو الاطلاب إلى  
التقدم والمركز في مواقع يعينها لهم وعليه كذلك أن يطواف حول العدو مرة ومرتين  
إذا كان قريبا منه لاستكشاف أخباره ، ومعرفة نقاط الضعف في صفوفه ، حتى أن

---

(١) الحماد ، الفتح ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ، والحماد الهواشي هو الحماد  
الزاجل ، أو حماد الرسائل ، وأطلق هذا الاسم على الحماد لحمله صفات  
الرسائل ، وقيل أن اسم ورقاء بالمرية أطلق في الأصل على هذا النوع  
من الحماد لحمله ورق الرسائل ، وهو مشهور بسرعة الطيران ، أنظر نظير  
حسن سعاد ، وى ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، ص ١٣٤ ، ١٤٦  
- ١٤٢ .

(٢) ابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، نظير حسن  
سعداوى ، جيش مصر ، ص ٤٢ .

ابن شداد يذكر أن صلاح الدين كان لكثرة تجوله بين صفوف الجيش ، يضع  
على رأسه منديلًا بغيتا تقاء حرارة الشمس ، وكان لا يحب أن تنصب له خيمة  
(١)  
حتى لا يرى العدو منه ضعفًا .

ومن أساليب القتال التي اتبناها صلاح الدين كذلك الحرب الخاطفة  
ومباغتة العدو ، وتبدو هذه الخطة واضحة بمد معركة حطين حين اتجه صلاح  
الدين مباشرة إلى المدن الساحلية ، فهاجم معظما مثل عكا وصفورية وقيسارية  
وغزة ونابلس وغيرها ، حتى إذا استحصت عليه صور فضل تركها والمودة  
إلى الاستيلاء على بيت المقدس . وما أن استولى عليه حتى عاد مرة أخرى  
إلى الساحل فاستولى على حصن كوكب والكرك ، والشويك واللدقية وغيرها -  
(٢)

ولم تقتصر أساليب صلاح الدين القتالية على ذلك ، بل استخدم  
أساليب أخرى متعددة منها أسلوب الكر والفر ، ففي سنة ٥٧٤هـ / ١١٨٧م أغار  
على حصن بيت الأحزان ، ثم انتقل إلى بانياس ، وغريم بتل القاضي ، وبلنث  
خيامة حدود العدو ، وأخذ يجرّد المساكر وقبائل العرب إلى صيدا وبيروت  
حتى يحصدوا غلات الصليبيين ، ومن ثم يمودوا إليه بالاجمال حتى خفف رزع  
(٣)  
العدو .

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩ ، نظير حسان سمداني ،

جيش مصر ، ص ٤٢ .

(٢) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ .

(٣) ابن واصل ، فرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤ .



كما كان للتصويه والخذاع ، دور كبير في تحقيق الانتصار في معارك  
 صلاح الدين ، من ذلك ما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢ م  
 من أن صلاح الدين سار من بيروت في تلك السنة قاصداً مدن اقليم الجزيرة ،  
 بعد أن وصلته رسل مظفر الدين ، تحذره على المجيء ، فجاء في السبيير  
 مظفراً أنه يريد حصار حلب ، وهو في حقيقة الأمر يقصد اقليم الجزيرة . (١)  
 ما ذكره العماد في كيفية فتح صفد سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م ، حيث ذكر أن  
 صلاح الدين قد اصطنع لذلك حيلة كثيرة . (٢)

كما عمل صلاح الدين على تهديد سراياهم للاطارة على ممسكات الصليبيين  
 وممتلكاتهم واضعافها بالنهب والسلب والتخريب . من ذلك ما حدث سنة  
 ٥٧٩هـ / ١١٨٣ م عند ما علم المسلمون بنزول الصليبيين في عين جالوت  
 حيث بثوا سراياهم في تلك المنطقة للاطارة على العدو ونهب ممسكته . وما  
 حدث سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤ م حينما أغار صلاح الدين على جينين ، حيث بث  
 وهو في طريق عودته منها السرايا يميناً وشمالاً للاطارة على ممتلكات الصليبيين  
 وتخريبها . (٤)

ويبدو أن نشاطات جواسيس صلاح الدين وعيونه في استطلاع أخبار  
 الصليبيين وتحركاتهم ساعدته على قيامه بنصب الكائن لهم وتكبد هم الخسائر

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٨٣ .

(٢) العماد ، الفتح ، ص ٢٦٨ .

(٣) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠٧ .

من ذلك ما ذكر من أن صلاح الدين بلغه خروج جميع من الصليبيين ، للاحتشاش والاحتطاب ، فأمكن لهم جماعة من العرب ، واختص العرب لختهم على خليلهم ، وأمنه عليهم ، فهجموا عليهم وكبدوهم خسائر جسيمة في الأرواح ، وأسروا جمعا كثيرا وذلك في شعبان سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م . ومن ذلك ما حدث في تلك الممركة التي عرفت في المصادر بممركة الكمين سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>

وكان لحرب العصابات دور كبير في انزال العرب في معسكرات الصليبيين وانهاك قواهم ففي سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م كبس جماعة من المسلمين أثناء حصار عكا سوق الخمارات ، وسوا منه عددا من النساء الفواجر . كما كان رجال المسلمين يتسللون الى معسكرات الصليبيين لختف الرجال ، فمنهم من كان يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بسكين أو يخنقها ، فيأخذه أسيرا بالتهير ،<sup>(٣)</sup> وان أبي قتله .

كما نلاحظ أن صلاح الدين قد استعمل أسلوب التهريب في كثير من مماركه ، من ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م من أن صلاح الدين عندما حاصر حلب في هذه السنة « أنفذ رسل التهريب اليهم » الامر الذي جعل عماد الدين زنكي الثاني ينزل على الصلح .

كما استعان صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين بأولئك المستأمنين

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٨ .
  - (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، المصادر ، الفتح ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .
  - (٣) المصادر ، الفتح ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
  - (٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

الوافدين على معسكره من صفوف عدوه ، ففي سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م اتفق مع جماعة منهم على ركوب البحر ونهب مراكب الصليبيين ، على أن يكون المكسب مناصفة بينه وبينهم ، فظفروا بعدد منها ، وأسروا بحارتها ، وأخذوا منهم بسين يدية فأعطاهم جميع ما غنموا ثم أسلم شوارهم نتيجة لهذه المكرمة منه .  
(١)

ويمكن القول بأن صلاح الدين ، قد اتبع نظاما خاصا في جهاده ضد الصليبيين ، دل على خبرته ودرايته بفنون القتال ، ويقوم هذا النظام على اختيار الوقت والمكان المناسب للاشتباك مع عدوه . فقد كان صلاح الدين يراعى عند عزمه على الجهاد درجة حرارة الجو ، فضلا عن المكان الذي ستدور فيه المعركة ، واستدراج العدو الى المكان المناسب الذي يريد هو ، ومن ثم توفير المواد اللازمة لجيشه وخيله كالماء والمشب بالإضافة الى مراعاة اتجاه اشمس الشمس ، حيث كان يحصى على أن لا تكون اشمتها في وجه جيشه تميقة عن الهجوم . ولعل خير دليل على ذلك ما حدث في كل من معركة صفور ——— و حطين ، وفتح بيت المقدس .  
(٢)

أما فيما يتعلق بحصار المدن والقلاع فإن صلاح الدين قد استخدم لذلك أسلحته الثقيلة كالمنجنيقات والدبابات وغيرها ، فإذا ما وقف على الحصن المراد حصاره ، تقدم بادي الأمر الى أصحابه يطلب تسليمه له بالطرق السلمية ، فإن أبوز لك شرع في حصاره بتكتيك بارع ، يبدأ باختيار ذلك السور أو الحصن لتقديرا استعداداته ، ومصرفه نقاط الضعف فيه ، كما حدث عند حصاره لـ حصن

---

(١) الحماد ، الفتح ، ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، وابن واصل ، مفج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ — ٣٤٨ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .

(٢) أنظر ما يلي : ص

(١) بيت الأحزان سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م وحصن طبرية سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وكذلك  
(٢)  
(٣) ما فعله عند شروعه في فتح بيت المقدس في السنة نفسها •

وإذا فرغ صلاح الدين من تحديد ذلك ، بدأ في نصب آلات الحصار ، ثم أصدر أوامره إلى المنجنيقات بالشروع في الرمي ، في حين يقوم مشاة الجيش بالتقدم على شكل زحوف مستمرة لقتال الحامية وفي نفس الوقت كان المارثو بدواضع الثقب في الاسوار ، يقومون بنقب المواقع الحساسة التي تؤدي إلى تعليق السور ثم انهيدامه ، وأما إلى عمل ثقب على شكل سلاليم يصعد عليها الجيش ، وأما على شكل ثقب داخل الاسوار تشعل فيها النيران بحد حشوها • (٥)  
(٦) فإذا تمكنوا بإحدى هذه الطرق من فتح ثغرة في السور تدافع الجيش إلى الداخل •

كما اتبع صلاح الدين في حصار المدن والقلاع أسلوب الاشتباك مع حامية الحصن مباشرة ، اذ تبدأ المنجنيقات بهضرب الاسوار ضرباً شديداً ومتابعا وما أن تحدث بعض الفتحات حتى يقوم عدد من جنده بهجوم سريع على تلك الثغرات والاشتباك مع حامية العدو ، فإذا قضوا على المدافعين ، فتحتوا الطريق أمام الجيش لاقتحام الحصن والاستيلاء عليه ، من ذلك ما حدث عند

- 
- (١) ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ •
  - (٢) المعاد ، الفتح ، ص ٧٦ •
  - (٣) أنار ما يلي : ص
  - (٤) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ •
  - (٥) المعاد ، الفتح ، ص ٢٥٦ •
  - (٦) المعاد ، الفتح ، ص ٥٩١ ، الهندارى ، سنا البرق الشامى ، ج ١ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ •

(١)(١)

حصار صلاح الدين لحصن د ريلسا لصفحة ٥٨٤/١٨٨٨ م.

والملاحظ أيضا أن صلاح الدين قد طبق في حصاره للمدن والقلاع نظاما عسكريا متقدما ، ففي الوقت الذي كان مشاته من النجابين وغيرهم يتقدمون في اتجاه الاسوار ومن ثم نقيها ، كان الرماة يلقون على المدوسهاهم ، حتى لا يستطيع الظهور من أعلى السور وتمريضهم للأذى ، من ذلك ما حدث أثناء حصار المسلمين حصن كوكب سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م.

وكان صلاح الدين يؤكد في حصار المدن والقلاع على منع وصول المؤن اليها ، فيفرض حصارا اقتصاديا/فضلا عن الحصار العسكري ، كما حدث لقلعة حصن سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤ م وحصن الكرك والشوبك سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م حيث تذكر المصادر أن صلاح الدين جعل على الكرك والشوبك عسكريا لحصاره بقيادة أخيه الملك العادل . واستمر ذلك الحصار مدة طويلة حتى فنيت أزواد الصليبيين وذخائرهم ، وأكلوا دوابهم . ولما ضاق بهم الحال راسلوا الملك العادل في التسليم وطلبوا منه الأمان فأجابهم الى ذلك .

كما استخدم صلاح الدين الى جانب ذلك أسلوبا آخر جديدا ، يقوم على التناوب عند طول مدة الحصار فكان يقسم عسكره الى أقسام ويجعل لكل

- 
- (١) ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
  - (٢) ابوع واصل ، الفصد ونفسه ، ص ٢٧٤ .
  - (٣) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
  - (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢١ - ٢٢ ، وابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، ابن تفرى ، بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٩ .

قسم وقتا معلوما من النهار يقاتل فيه ، حتى يتصل القتال على عدوه ، دون أن يستريح على حين كان جيشه يتمتع براحة كافية ، من ذلك ما حدث عند حصاره لصور سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، حيث قسم القتال على المسكر وجعل لكل جمع منهم وقتا معلوما يقاتلون فيه بحيث يظل القتال مستمرا على أهل البلد .<sup>(١)</sup> وهما حاصر صلاح الدين حصن برزبه سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م قسم المسكر ثلاثة أقسام ، بحيث يزحف كل قسم على حده فإذا تعيب من به من المسكر عاد وا  
لنزحف القسم الثاني ، وكذلك الحال بالنسبة للقسم الثالث .<sup>(٢)</sup>

وفي الوقت الذي كان صلاح الدين يعمل جاعدا لتوحيد الجبهة الاسلامية ، ليستطيع الشروع في الجهاد الاسلامي لتصفية المدون الصليبي ، لم يغب عن باله القيام بتحصين بعض المناطق الهامة التي كان يخشى تعرضها لهجوم صليبي مفاجئ . فلم ينس صلاح الدين مطلقا مطامع الصليبيين في مصر بل ظل متخوفا طوال الفترة التي قضها في توحيد الجبهة الاسلامية من أن يقوم الصليبيون بحملة كبرى لفرض مصر ، من طراز حملات عموري الأول ملك بيت المقدس .<sup>(٣)</sup>

والواقع أن تفكير صلاح الدين في تحصين مصر يرجع الى أيام وزارته أي

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٣ ، المواد ، الفتح ، ص ١٧٣ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥ ، ابو شامة ، كتاب الرضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٠ .  
 (٣) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٤٨ .

قبل سقوط الخلافة الفاطمية يد لنا على ذلك ، ما ذكر من أنه توجه في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م الى الاسكندرية لتفقد أحوالها ترتيب قواعد ها ، ومن ثم أصدر أوامره بمحاربة أسوارها وأبراجها .<sup>(١)</sup> كما قام أيضا في نفس السنة بالشروع في عمارة سور القاهرة الذي كان قد تهدم حتى أصبح لا يرد داخلا ولا خارجا على حد قول ابن أبي طي .<sup>(٢)</sup>

وأهم تلك التحصينات التي قام بها صلاح الدين في مصر تشييده للسور الايوي بالقاهرة وتأسيس قلعة الجبل التي وصفت بأنها أخم القلاع التي شيدت في المصور الوسطى على طرف جبل المقطم . وذكر أن السبب في تشييدها أن صلاح الدين عند ما تلك مصر رأى أن القسطنطينية والقاهرة لكل منهما سور خاص لا ينتميا ، فرأى أنه أن أفرد لكل واحدة سورا خاصا احتاجت الى جند خاص يحميها ، لذلك عزم على أن يقيم عليها سورا واحدا كما أمر ببناء قلعة في الوسط على طرف جبل المقطم عرفت بقلعة الجبل .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

على أن جهود صلاح الدين في تحصين مصر ، لم تقف عند حد الاسكندرية والقسطنطينية والقاهرة بل امتدت الى ثغور وموانئ مصرية أخرى من ذلك ما حدث

(١) ابوشامه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٩٥ ، القزويني ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

(٢) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ .  
(٣) أنظر عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار ، ص ٣١-٣٣ .  
(٤) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٨٧ .

سنة ٥٧٧هـ / ١١٨٢م عند ما انتدب صلاح الدين من قبله من قام بعمارة قلعة تنيس<sup>(١)</sup> التي كثيرا ما تعرضت لاعتداءات صليبية ، حيث قدر لاعادة عمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار ، فضلا عن تجديد آلات الدفاع بها<sup>(٢)</sup> . كما قام في السنة نفسها أيضا بتبريم سور مدينة مياط ، وسد ثلثة حدوت فيه ، ومن ثم اتقان السلسلة التي كانت قد أقيمت فيها بين البرجين ، حتى ذكر أن ما أنفق على ذلك بلغ ألف ألف دينار بالإضافة الى ما قام به بعد ذلك من تحصينات لهذه المدينة في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م حيث قام بحفر خندق لها ، وعمل جسر عند سلسلة البرج<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن صلاح الدين أدرك وهو في طريقه الى عمان الكرك والشوبك عن طريق ايلة أن الضرورة الحربية تقضى عليه تطهير شبه جزيرة سيناء كلها من الصربان الضارين في الوديان ومعايير الطرق بين مصر والشام ، فأرى أن يشيد قلعة في قلب شبه الجزيرة عرفت باسم قلعة الجندی ، بالإضافة الى قيامه بمسدد<sup>(٤)</sup> ذلك ببناء برج بالسويس يتسع لمشرين فارسا ، رتب فيه الفرسان<sup>(٥)</sup> .

وعليه يمكن القول بأن صلاح الدين قد عنى عناية فائقة بتحصين مصر ، حتى يأمن عليها من اعتداءات الصليبيين ، حتى بلغ به الأمر ، أثناء وجوده السلطان الكامل الايوبي سنة ٦٢٤هـ أنظار ياقوت ، مهجم البلدان .

- (١) تنيس : مدينة في وسط بحيرة تعرف ببخيرة تنيس ، كانت عامرة الى أن ضربها السلطان الكامل الايوبي سنة ٦٢٤هـ أنظار ياقوت ، مهجم البلدان .
- (٢) المقریزی ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨١ .
- (٣) المقریزی ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- (٤) اختار صلاح الدين لهذه القلعة اكمة مرتفعة مخروطية الشكل ، تقع على نحو ميل الى الشمال الشرقي من عين سدر الجزيرة الى الجنوب الشرقي من السويس الحالية ( أنظر نظير حسان سحداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٣٤ .
- (٥) المقریزی ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ .



ببلاد الشام في الفترة التي قضاها في توحيد الجبهة الإسلامية أن تردد عليها  
أكثر من مرة للاطمئنان على تحصيناتها بنفسه من ذلك ما حدث سنة ٥٧٢هـ /  
١١٧٦م ثم سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م (١) (٢)

وإذا كان صلاح الدين قد اهتم ذلك الاهتمام العظيم ببناء القلاع  
والأبراج وتحصين المدن والثغور في مصر ، فمن الواضح أن يكون اهتمامه بذلك  
في بلاد الشام عاليا أيضا ، فقد أكثر من بناء الحصون في المواقع الحربية  
الهامة ، وحوس على تحصين القلاع لتكون مراكز لممارسته ضد الصليبيين (٣) ويمكننا  
أن ندلل على ذلك بما قام به صلاح الدين عند استيلائه على مدينة عكا سنة  
٥٨٣هـ / ١١٨٧م حيث أمر بتجديد أسوارها وتعلية أبراجها وعمارة قصورها  
ودورها (٤) واستدعى بهاء الدين قراقوش من مصر ليقوم بتنفيذ تلك المهمة . وكذلك  
ما قام به في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م من تحصينات لبيت المقدس ، حيث قسم  
العمل في أسوارها بين أولاده وأمرائه ، فضلا عما قام به الفقهاء والفقراء ففى  
تلك السنة من جهود ، اقتداء به ، حيث قام بالعمل فيه بنفسه ، في وقت  
كان يتركه يقوم بجهود جبارة لمنع الصليبيين من الوصول اليهم (٥)

- 
- (١) أنظر ابن تيمزي بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٧ ، المعنى ،  
عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
ج ٧ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،  
ج ٤ ، ص ٢٤١ ، الهافى ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ .
  - (٢) أنظر ابن واصل ، مفتاح الكروب ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، المعنى ، عقد الحمائم  
ج ١٢ ، ورقة ١٢٢٢ أ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٨ .
  - (٣) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٥٢ .
  - (٤) ابن أبيك الدوادري ، الدر المنثور ، ص ٩٨ - ٩٩ ، أبو شامة ،  
الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
  - (٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٤٧ ، وعن الزك أنظر ما سبق  
ص

### دور الأسطول في جهاد صلاح الدين :

اعتنى الخلفاء الفاطميون عناية كبيرة بالأسطول ، وخاصة منذ عهد الخليفة الممزر لدين الله الذي أنشأ المراكب البحرية ، وسار على نهجه من جاء بعده من الخلفاء ، الذين واصلوا إنشاء المراكب في كل من القسطنطينية والإسكندرية ودماياط ، ومن ثم تسييرها إلى الموانئ الشامية مثل صور وعكا وعسقلان وغيرها ، فضلا عن اهتمامهم بالمالين على الأسطول ، حيث حرصوا على صرف رواتب مجزية لهم إضافة إلى ما نالوه من الاقطاعات . كما جرت المادة في عهدهم على أن ما غنمه الأسطول يكون لفزاته لا يشاركهم فيه أحد ، باستثناء الأسرى والسلاح فانها تكون من نصيب الخلافة . لذلك فلا غرابة إذا قيل أن مصر الفاطمية والدولة البيزنطية اشتهرتا قبل الحروب الصليبية بأنهما أقوى دولتين في البحر المتوسط .<sup>(١)</sup>

ولم تلبث الخلافة الفاطمية أن دب الضعف في جسمها بسبب ضعف سياستها الداخلية ، وامتد ذلك الضعف إلى قواتها البحرية ، ومن ثم عجز أسطولها عن حماية المدن الساحلية الشامية من الاعتداءات الصليبية . ولم

(١) القرشي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٢) البازميريني ، الشرق الأدنى في المصور الواسطي ، ص ١٧٠ .  
Ehrenkreutz, The Place of Saladin in the Naval  
History of the Mediterranean Sea,  
Journal of the American Oriental Society, (1955),  
P. 101.

يكذبتته القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى الا وقد فقد الأسطول  
الفاطمى أهميته (١)

ولما قامت الدولة الايوبية على أنقاض الدولة الفاطمية كانت البحرية  
الاسلامية قد ضعفت تماما بعد أن استولى الصليبيون على عسقلان وعكا وصور  
وغيرها من القواعد البحرية فى الشام ، وهذا هو الذى جرأهم على الاغارة  
على المدن الساحلية المصرية كالاسكندرية ودماط وتنبس ورشيد وغيرها ، فضلا  
عما ذكره القزوينى من أن شاورا عندما نزل عمورى الأول على مصر أمر بإحراق  
مدينة القسطنطينية وشمل ذلك الحريق مراكب الأسطول التى دمرت عن آخرها .  
(٢)

لذلك كان على صلاح الدين - الذى أدرك من خلال مشاركته فى حملات  
عنه أسد الدين شيركوه على مصر أهمية الدفاع البحرى وما تقوم به الأساطيل  
من دور فى الأعمال الحربية فى المناطق الساحلية - أن يهتم منذ بداية  
حكمه بإعادة بناء تلك الأساطيل وتطويرها للوقوف فى وجه المدوان الصليبي .  
(٣)  
وفرع صلاح الدين منذ توليه مقاليد الامور فى مصر فى النظر فى شئون البحرية

---

Ehrenkreutz. The Place of Saladin P. 101. (١)

- أرشيبالد لويس ، القوى التجارية والبحرية فى حوض البحر المتوسط ،  
ص ٣٨٢ ، مختار المبادئ ، عهد المئزر سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى  
(٢) قبل الميلاد ، المجلد ١٢٢ ، البحرية الاسلامية فى عهد الخلفاء ، ص ٢٢٠ .  
(٣) القزوينى ، انظر ص ٢٠٤ ، ص ١٩٤ .  
(٤) القزوينى ، انظر ص ٢٠٤ ، ص ١٩٤ ، ص ١٢٢ .  
(٥) الباز المرفى ، الشرق الأدنى فى المصور الوسطى ، ص ١٢٢

والأسطول • والذي يجدر ذكره هنا أنه كان للخليفة المباسى دور كبير فى  
تشجيع صلاح الدين على الاهتمام بالأسطول فى مصر • فقد تضمن التقليد الذى  
بعثه الخليفة المباسى الى صلاح الدين بصر • بعد قطع خطبة الفاطميين  
واقامتها للمباسيين • الحث على الاهتمام بالأسطول فقد قال فى التقليد •  
وقد علمت أن العدو هو جارك الأدنى • والذي يملكك وتهلنه عيناً وأذنناً •  
ولا عذر لك فى ترك جهاد • بنفسك ومالك • اذا قامت لفيرك الاعذار • فلا بد  
له من أسطول يكثر عدده ويقوى مدده • فانه العدو الذى تستعين بها على كشف  
الظلماء • والاستكثار من سبائى العبيد والاماء • وجيشه أخو الجيوش  
(١)  
السليمانى • فذاك يسرى على متن الريح • وهذا يجرى على متن الماء • •  
هذا بالاضافة الى أن صلاح الدين ربما كان يخشى مجىء حملة غربية من ناحية  
الصليبيين وأحلافهم البيزنطيين والعقليين بحجة إعادة البدولة الفاطمية •  
(٢)

ويمكن تقسيم ما حدث من تطور فى البحرية زمن صلاح الدين الى مراحل

ثلاث • الأولى تبدأ بمجىء صلاح الدين الى السلطة فى مصر سنة ٥٦٥ هـ /  
الى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٧٣ • وقد تميزت البحرية المصرية فى هذه  
الفترة بالضعف الشديد نتيجة التدهور الذى حل بالدولة الفاطمية فى أواخر  
أيامها • ذلك التدهور الذى أدى الى سيطرة الصليبيين على السواحل الشامية  
واعتمادهم المتكررة على السواحل المصرية • والمرحلة الثانية وتمتد من سنة

(١) السبوطى • حسن المحاضرة • ج ٢ • ص ١٤ •

(٢) نظير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ٢٤ •

٥٧٥ هـ إلى ٥٨٣ هـ / ١١٧٩ م - ١١٨٧ م ، وقد بلغت فيها البحرية الأيوبية أوج عظمتها ومجدها ، واستطاع الأسطول المصري خلال هذه المرحلة ، تحقيق انتصارات عظيمة ضد السفن الصليبية . أما المرحلة الثالثة ، فتشمل السنوات الواقعة بين سنة ٥٨٣ هـ وسنة ٥٨٧ هـ / ١١٨٧ - ١١٩١ م . ويلاحظ أن هذه هي الفترة التي استطاع فيها الصليبيون ببلاد الشام استئثار الفرسب الذي أمدهم بالحملة الصليبية الثالثة ، والتي تجلّى أثرها في إضعاف البحرية الإسلامية مرة أخرى .<sup>(١)</sup>

وعلى وجه الإجمال فإنه من المعروف أن صلاح الدين عندما تولى حكم مصر ، لم يكن بها القوة بحرية صغيرة . إذ لم يقتصر الصليبيون على الاستيلاء على السواحل الشامية ، بل استولوا أيضاً على القواعد الإسلامية في قبرص وكرست التي كانت تلعب دوراً كبيراً في حماية السواحل الإسلامية ، وكذلك بالنسبة لجزيرة صقلية التي أصبحت نتيجة لذلك الضعف الذي حل بالدولة الفاطمية ، فريسة للغزاة النورمان . أما بالنسبة للبحر الأحمر ، فقد ضعفت السيطرة الإسلامية عليه عندما أنشأ الصليبيون ميناءً إيلّة على ساحله حيث أصبح الصليبيون ينافسون مصر السيطرة على الطرق التجارية فيه .<sup>(٢)</sup>

وإزاء هذا الوضع ، اهتم صلاح الدين بأمر الأسطول وتبين له أن دواعي الحرب ضد الصليبيين تتطلب قوات بحرية ، فأنشأ دوراً لصناعة الأسطول

(١)

انظر أيضاً : الباز المريني ، الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ص ١٧٠ .

(٢)

الباز المريني ، الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(١) في كل من الفسطاط والاسكندرية ود مياط . وقد استعان صلاح الدين في بناء اسطوله بالخشب المحلى في مصر الذي هو من نوع السنط وكان من احتكار الدولة ، بالإضافة الى أخشاب الصنوبر والأرز التي تنبت في جبال لبنان فضلا عن معدن الحديد الذي كان يستخرج من جبل بالقرب من بـيروت .  
(٢) كما قام صلاح الدين الى جانب ذلك بمقدّمات تجارية لهذا الغرض مع الجمهوريات الإيطالية ، حصل بحقتضاها على حاجته من الخشب والحديد والشمع وكان يوجد بالاسكندرية ديوان اسمه المتجر السلطاني ، مهمته شراء مختلف البضائع المستوردة من الخارج اللازمة للجيش والاسطول ، كالأخشاب والحديد والأقمشة الصوفية ، وكان هذا المتجر السلطاني يقوم بشراء هذه المواد بأموال الخمس المفروضة على التجار .  
(٣)  
(٤)

ورأى صلاح الدين أن يحث الناس على الخدمة في مجال البحرية والاسطول فقام برفع أجور رجال الاسطول ، وقرر أن يكون دينار الاسطول  $\frac{3}{4}$  الدينار العام بمعد أن كان  $\frac{5}{8}$  ذلك الدينار ، أي بزيادة عشرين في المائة تقريباً .  
(٥)

- 
- (١) ابن ماتي قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ .
  - (٢) أنظر ابن شداد ، العلاقات الخطيرة ، ص ١٠١ ؛ مختار المبادئ ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٣ .
  - (٣) السيد الباز الصيرفي ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ١٧٥ .
  - (٤) أنظر ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٢٧ ؛ حسنين ربيع ، النظام المالية في مصر ، ص ٥١ ؛ مختار المبادئ ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٣ .
  - (٥) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥ ؛ حسنين ربيع ، النظام المالية في مصر ، ص ٧٢ ؛ مختار المبادئ ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٦ ؛ أنظر أيضا نظير حسان سعداوي ، التاريخ الحربي المصري ، ص ٢٦ - ٢٧ .

كما يبدو وأنه كان قد استعان بأساطيل مشربية في تطوير قواته البحرية  
يد لنا على ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م من خطاب  
بمحبته صلاح الدين إلى أمير المغرب يطلب منه العدد قال فيه " فان كانت  
الأساطيل بالجانب الغربي ميسرة ، والعدة فيها متوفرة ، والرجال في اللقاء  
(١)  
فراحة وللمسير غير كارهة ، فالبدار البدار " .

والى جانب ذلك اعتم صلاح الدين ، بتقوية أجهزة الدفاع والحراسة  
الساحلية كالنقاط والمخارج ، والناويز والمناظر الممتدة على طول سواحل  
مصر والشام ، وحشد فيها الاجناد للمراقبة فيها وحراستها . كما كان صلاح  
الدين أيضا يصد الى وضع المراقيل في السواحل ليوقع على العدو مسلكه اذا  
قدم وقد كرر ان صلاح الدين استعمل في ميناء دمياط سلسلة جديدة لاعاقبة  
(٢)  
الداخل اليها في حالة الطوارئ .  
(٣)  
(٤)

وكما اعتم صلاح الدين بتحصين المدن - كما سبق ان ذكرنا - حرص  
على التردد على مصر لتفقد ثغورها وموانئها ، والاشراف على تعمير الاسطول  
بنفسه . فقد حدث سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ان قام صلاح الدين ، ومعه ولده  
الافضل على والمميز عثمان بزيارة لمصر ، وجعل طريقه على دمياط ، فتفقـد

- 
- (١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .  
(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٧ ، ص ٢٠٤ ، مختار المبادئ وعميد  
المميز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٤ .  
(٣) أنوار المقرئ ، الخطط ، ص ج ١ ، ص ١٥٩ .

المعمل فى أسوارها ، ثم اتجه الى الاسكندرية ، وأمر باتمام تحصيناتها وتمعيم  
 الاسطول فيها .<sup>(١)</sup> ويضيف المؤرخ ابن أبى طى أن صلاح الدين رأى أن لا يخلى  
 نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد الى بلاد الكفار والجهاد فى المشركين ، فرأى  
 الاسطول وقد أخذت سفنه ، وتشيرت آلاته ، فأمر بتعميره ، بعد أن جمع  
 له الصناعات والاختصاص . ولما تم عمل المراكب أمر بحمل الآلات ، فنقل من السلاح  
 والعدد ما يحتاج الاسطول اليه وشحنه بالرجال وولى فيه أحد أصحابه ، وأفرد  
 له اقطاعا مخصصا ود يوانا مفردا عوف بد يوان الاسطول ، وكتب الى سائر البلاد  
 المصرية بقبول قبول صاحب الاسطول ، وألا يمنع من أخذ الرجال ، وما يحتاج  
 اليه وأمر صاحب الاسطول بأن لا يارح البحر ، وأن يغزو جزائره .<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين كان قد قسم المعمل فى أسطوله الى قسمين  
 قسم أوكل اليه مهمة الدفاع عن السواحل المصرية ، كانت سفنه تتألف من خمسين  
 سفينة أما القسم الثانى وعدد سفنه ثلاثون سفينة ، فقد كانت مهمته مهاجمة  
 الصليبيين ، وساندة جيوشه المجاهدة وتطلب الأمر أن تقوم دور الصناعة  
 بأعداد سفن خاصة بالبحر المتوسط وأعداد سفن خاصة بالبحر الأحمر لأن المهام

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، الميمنى ، عقد  
 الجماعى ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب .

(٢) الميمنى ، عقد الجماعى ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب ، المقرئى ، السلوك ،  
 ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ ،  
 Ehrenkreutz, The Place of Saladin, P. 106.

(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، الباز الميمنى ، الشرق  
 الادنى فى المصور الوسطى ، ص ١٧٧ .



التي أوكلت الى الاسطول الايوبي تتطلب منه العمل في البحرين المتوسط والاحمر ، الذين اختلفا في الاروف الطبيعية ، فطبيعة البحر الاحمر تختلف عن طبيعة البحر المتوسط بما يحتويه البحر الاحمر من صخور وشعب مرجانية ، وما به من نباتات بحرية ، وما يهب عليه من رياح وأعاصير . ويمكن الاستدلال على ذلك بما شاهدته الرحالة ابن جبير من صمودة الابحار في البحر الأحمر لما يطرأ على السفن أثناء سيرها من خلل (!)

وكما اختص ديوان الجيش بالصرف على شئون القوات الحربية والبرية وما يتبعها من الحصون والقلاع والبدن العسكرية ، فقد أفرد صلاح الدين للبحرية ديوانا خاصا عرف باسم ديوان الاسطول ، مهمته الاتفاق على شئون القوات البحرية من سفن حربية ومخار و أسلحة ومؤن ، بالإضافة الى دور الصناعة التي قامت بانشاء الاساطيل ، ومن ثم القيام بأعمال الصيانة اللازمة لذلك . ويبدو أن شئون الاسطول كان يقوم بالاشراف عليها في العهد الفاطمي ديوان اسمه " ديوان جيش المصريين " ولما قامت الدولة الايوبية ، غير صلاح الدين اسمه الى ديوان الاسطول وذلك في سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وولى عليه قائدا من قبله عرف بصاحب الاسطول ، وكتب الى سائر البلاد يؤكد طاعته ، وتلبية طلباته ، حيث قال " القول قول صاحب الاسطول ..... وأن لا يمنع من أخذ رجاله (٢) وما يحتاج اليه " .

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٩ .

(٢) ابوشامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٠ ؛ حسنين ربيع النظم المالية في مصر ، ص ٧١ .

وفى سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م سلم صلاح الدين أمر الاسطول بحصر لأخيه  
الملك المادل الذى عين بدوره صفى الدين بن شكر نائبا له فى ديوان الاسطول<sup>(١)</sup>.  
كما خصص صلاح الدين لذلك الديوان أموالا ضخمة : هى - متحصلات اقليم  
القيوم ، والحمى الجيوشى ، وخراج السنط ، وحصيلة النطرون ، التى بلغت  
وقتها ثمانية آلاف دينار ، الى جانب متحصل ديوان الزكاة ، وقدره أكثر من  
خمس مائة ألف دينار ، وأجرة المراكب اليونانية ، وحصيلة قرى اشنين وطنبسده<sup>(٢)</sup>  
من كورة البهسنا فى محافظة المنيا الحالية .

وهكذا استطاع صلاح الدين توحيد الجبهة الاسلامية ، تمهيدا  
لبدء مروع الجهاد الاسلامى لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام . وقد  
تمكن صلاح الدين أيضا من تكوين جيش برى وأسطول بحرى مزود بكل متطلبات  
القتال من سلاح وعظام ومؤن ، بفضل تلك السياسة الحكيمة التى اتبناها  
لتنظيم جيشه ، والتى قامت على بث روح الجهاد الاسلامى فى نفوسهم ، وتطبيق  
نظام الاقطاع الحربى فى دولته ذلك النظام الذى تمكن بواسطته من ضمان الحصول  
على جيش منظم مزود بكل مستلزمات القتال . ولم يمد أمام صلاح الدين  
أية مشكلات عميقة عن التفرغ للجهاد الصليبيين واسترداد بيت المقدس .

- 
- (١) القريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ . حسنين ربيع ، النظام  
المالية ، ص ٧١ .  
(٢) القريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣ . حسنين ربيع ، النظام المالية ،  
ص ٧١ .

## الفصل الثالث

معركة حطين مقدمة للاستوداد بيت المقدس

- مقدمات معركة حطين .
- استعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين .
- وقعة صفورية .
- معركة حطين ونتائجها .

### الفصل الثالث

معركة حطين مقدمة لاسترداد بيت المقدس

— مقدمات معركة حطين : —

تمكن صلاح الدين من تكوين جبهة اسلامية موحدة اتسمت باتساع رقعتها ، لكن سيطرة الصليبيين على بعض مدن الساحل الشامي ، فضلاً عن حصن الكرك والشوك ، كان يمثل عقبة كاداء في امكانية الاتصال بين محوري دولته التي ضمت مصر ومعظم بلاد الشام ، وجزءاً من أرض العراق . يضاف الى ذلك ، أن عذو المدن والموانئ الساحلية تمتعت بمكانة استراتيجية هامة لأن سيطرة الصليبيين عليها جعلتهم على اتصال دائم بوطنهم الأم الغرب الأوربي .

لذلك اهتم صلاح الدين منذ بداية حكمه ، بالاغارة على هذه المناطق ، بل أن اهتمامه بذلك يرجع أيضاً الى أيام وزارته في الدولة الفاطمية ، بدليل أنه قام في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م على غزوة عسقلان والرملة ، ثم مضى الى ايلسها وحاصرها برا وبحرا حتى فتحها ، وشحنها بالرجال والمدد لحماية الحجاج (١) الذين كانوا يتعرضون لاعتداءات الصليبية بها . هذا بالإضافة الى أنه كان يهدف

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٥ ، البنداري ، سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ ، ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، القريزي ، الخط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٥٦ ، وأيله مدينة على ساحل البحر الأحمر ما يلي الشام ( أنظر يا قوت معجم البلدان ) .

من غزو هذه المدن الساحلية الى فتح الطريق الساحلى بين مصر وفلسطين  
للتأمين مدخل مصر الشمالى فضلا عن اجتذاب جزء من قوات الصليبيين نحو  
تلك الجبهة ، لتخفيف الضغط عن الحاميات الاسلامية المرابطة بشمال الشام (١)

ونذكر رابن شداد وغيره أنه حدث فى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م أن عاد  
صلاح الدين من الشام الى مصر ، لتفقد أحوالها ، وتمكين قواعد لها بعد  
أن استخلف بد مشق أخاه شمس الدولة تورانشاه الذى كان قد وصل اليه من  
اليمن . واستغل صلاح الدين وجوده بمصر ، وأخذ يتأهب لغزو بعض مدن  
الساحل الشامى ، فخرج من مصر فى سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م وغزا عسقلان فسيى  
وغنم ، ثم اتجه لغزو الرملة . وعلى مقربة من الرملة لقيه الصليبيون يتقدمهم  
البرنس أرناط ، ذل لنا الأمير الصليبي اللص الذى عرف بخداه ونقضه للعهود  
والذى كان قد وقع فى أسر المسلمين زمن نور الدين محمود ، ثم أطلق سراحه  
بيما يحلب . ودارت الدائرة على جيش صلاح الدين ، وعاد صلاح الدين الى  
القاهرة . وحلف ألا تضرب له نوبة حتى يكسر الصليبيين ، كما قام بقطع أخبار  
(٢) (اقتطاعات) جماعة من الاكراد ، أرجع اليهم سبب الهزيمة .

ومن المحتمل أن يكون صلاح الدين قد وصلته أخبار بحدوث ضعف

فى صفوف الصليبيين فى تلك المنطقة ، ورأى الفرصة سانحة لضربهم . يد لنا

(١) نعيم حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٢ - ٥٣ ، المقريزى ، السلوك

ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٤٢

ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ابوشامه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٦٩٩ -

٧٠٣ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ص ٥٩ ، ابن خلدون ، الغبر

ج ٥ ص ٢٩٢ .

على ذلك ما ذكرته بعض المصادر من أن صلاح الدين عندما أغر على عسقلان في تلك السنة لم يحدث من الفرنج رد فعل بل ظلوا على حد تعبير أبي شامة وابن واصل خاضعين الأمر الذي شجع جيشه على الانبساط ومهاجمة معسكرات الصليبيين ، ومن ثم اقدامه على مهاجمة الرملة .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن الاكراذ لم يكونوا وحدهم سبب الهزيمة ، بل أن هناك أسبابا أخرى كان لها الأثر في ذلك ، منها اضطراب صفوف المعسكر الصالحى ، وذلك نتيجة لمحاولة تغيير مراكزه ، حيث يذكر ابن شداد ، أن البعض رأى « أن تعبيرا الديمة الى جهة الميسرة والميمنة الى جهة القلب ، ليكونوا في حالة اللقواء وراء ظهورهم تل معروف بأرض الرملة » . واستغل الصليبيون اشتغال المسلمين بتغيير مواقعهم ، فهاجمهم بهجوم شديد .<sup>(٢)</sup> كما لا يستبعد أن يكون جهل عسكر صلاح الدين ببابيعة أرض المعركة من أسباب ما حدث والدليل على ذلك ما ذكره المقريزى من أن اعتراض نهر الصافية ، وازدحام المسلمين عليه كان سببا من أسباب تلك الهزيمة .<sup>(٣)</sup> وأضاف ابن شداد ، أن جيش صلاح الدين قد ضل الطريق عقب الهزيمة ، وتبدد في الصحراء ووقع جماعة من المعسكر في أسر الصليبيين .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٩ هـ ٧٠٠ ، وابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
- (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .
- (٣) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ .
- (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .

وبالغ بعض الباحثين الاوربيين الحاقدين فى أهمية تلك الوقعة واعتبروا ما حدث انتصارا باهرا أنقذ مملكة بيت المقدس فى ذلك الوقت • وأنه لو تهيأ للملك الصليبي أن يطارد صلاح الدين داخل مصر ، أو أن يتقدم بهجوم خاطف على دمشق لاستطاع — حسب زعمهم — أن يحطم قوة صلاح الدين • ولكن جيش الصليبيين فى ذلك الوقت كان يحاين من نقى شديدا فى الرجال ، وكان ذلك سببا حال بينهم وبين مطاردة صلاح الدين الى داخل مصر<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن صلاح الدين تعلم من تلك المعركة ألا يكون متهورا للحوادث ، كما تعلم أن جهاد الصليبيين واتمام مشروع الوحدة الاسلامية فى وقت واحد ليس بالأمر الهين ، وأن مهاجمة الصليبيين قبل أن تكتمل سيادته على بلاد نور الدين محمود فيها خطر كبير<sup>(٢)</sup> .

وفى الوقت الذى كان صلاح الدين يحمل فيه جامعا لتكوين جبهة اسلامية متحدة ، لم يقب عنه ما يقوم به الصليبيون من استعداد لمجابته أخطار صلاح الدين ، إذ يبدو أنهم أصبحوا متيقنين من أن صلاح الدين بمجرد انتهائه من تحقيق مشروع الوحدة الاسلامية ، سوف ينقلب عليهم فى الجانب الآخر ، يد لنا على ذلك ما أقاموه من انشاءات وتحصينات حربية استعدادا لمواجهة اخطاره • ففى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م استغل الصليبيون انشغال صلاح الدين بحصار بعلبك التى أراد أخذها من ابن المقدم وتسليمها

(١) ستيفن نونسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ — ٦٧٤ .

(٢) نذير حسان سعداوى ، التاريخ العربى المصرى ، ص ١١٣ .

لأخيه الملك تورانشاه ، وشيدوا حصنا فنيما بالقرب من بانياس ، عند مخاضة بيت يعقوب عليه السلام ، بمكان عرف بمخاضة الأحزان . وتمتع هذا الحصن بأهمية كبرى نظرا لوقوعه على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ، ودمشق من ناحية أخرى . وتخوف أمراء صلاح الدين من بناءه لما يؤدى إليه من تحكم فى شغور الاسلام ، وقطع طرق قوافلهم . ولكن صلاح الدين لم يستجب بآدئ الأمر الى طلبهم بمنع الصليبيين من اتمام بناء ذلك الحصن ، بل رد عليهم قائلا " اذا أتموه نزلنا عليه وهدمناه الى الاساس " .

ويبدو أن صلاح الدين قد أرجأ الاقدام على هدمه قبل اكتمال بناءه ، بسبب انشغاله فى ذلك الوقت بحصار بعلبك ، واكتفى فى بادئ الأمر بمعرض المال على الصليبيين مقابل هدمه حيث تذكر المصادر أن صلاح الدين عرض على الصليبيين مقابل هدمه ستين ألف دينار ، ثم رفع ذلك المبلغ الى مائة ألف دينار ، الا أنهم ألحوا على طلب كامل النفقات التى بذلوها فى تشييده .

(١) ابو شامه ، الروضتين ، ج ٤٢ ص ٦ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ص ٧٢ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ص ٦٦ ، سميد عاشور ، عاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ ، ومخاضة الاحزان موضع عند بيت يعقوب عرف بهذا الاسم أو باسم بيت الاحزان ، لاعتقاد الناس أن يعقوب ، اعتاد الانفراد فيه والبقاء على ابنه يوسف عليهما السلام . (أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ ، نظير سعادوى ، التاريخ الحبري ، ص ١١٥) .

(٢) ابو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ص ٦ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ .

(٤) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٨ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ص ٦٩ ، ابن كثير ، ابدية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٠٠ ، ابن شامشاه الايوبي ، مضار الحقائق ، ص ٢٤ - ٢٥ .



وقد كان لتمكن الصليبيين من تشييد حصن بيت الاحزان ، ومن ثم اتخاذه مرصدا لحرب المسلمين ، وقطع طريقهم آثار سيئة ، يضاف الى ذلك تنظيم الاغارات على البلاد الاسلامية ، حيث يذكر ابوشامه فى حوادث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م أنه اقتضى رأى الصليبيين أن يرجعوا المسلمين فى كل ناحية ، خوفا من اجتماعهم على جبهة واحدة ، فقد رابنرس انطاكية بوهيمند الثالث وأظار على شيزر ، كما غدر أيضا القهي ريموند بطرابلس بجماعة من التركمان بمعد بعد تأمينهم ، الأمر الذى جعل صلاح الدين يعتمد الى ترتيب ابن أخيه تقي الدين عن فى شفر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم ، وسيف الدين على بن المشطوب ، كما رتب ابن عمه ناصر الدين فى شفر حمص فى مقابلة ريموند الثالث الصنجيلي<sup>(١)</sup> . كما حدث أيضا فى أواخر السنة نفسها ( ٥٧٤هـ ) أن أجمع الصليبيون ، يتقدم بهم لهم بلدوين الرابع على السير الى دمشق ، فأغاروا على أعمالها ، ونهبوا وأسروا وقتلوا وسبوا فلما علم صلاح الدين بمسيرهم ذلك بعث ابن أخيه عزالدين فرخشاه فى جمع من المكر للقائهم . والتحت قواته بقوات الصليبيين ، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار المسلمين . كل ذلك كان له أثره البالغ على نفس صلاح الدين الأمر الذى جعله يدرك أنه لا بد من وضع حد لذلك النشاط الصليبي الموجه ضده .

فلم يلبث صلاح الدين عقب ذلك النصر أن شرع فى حصار حصن بيت الاحزان ، ولكنه اكتفى بمهاجمة حامية الحصن ، ثم انصرف عنه بعد قليل .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٣ ، ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١)

ويبدو أن هدفه من تلك الاغارة هو اختبار الحصن ، وكشف مواطن الضعف فيه .

ذلك أن صلاح الدين عاد بعد اجتماع المسكر له يه قاصدا مهاجمة الحصن ،

وعسكر عند تل القاضي غربي بانياس . وهناك أخذ يعد عدته للهجوم على

(٢)

الصليبيين ، فبعث الى أخيه المادل في مصر يطلب منه المدد ، في حين

(٣)

كانت سراياه تقوم بفارات متقطعة على معسكرات العدو .

وبينا كان صلاح الدين معسكرا بتل القاضي علمت سراياه ، التي

كانت تواصل نشاطها للاغارة على معسكرات الصليبيين - والتي يبدو أن صلاح

الدين كان يقصد من ارسالها استثارة العدو والاشتباك معه في معركة فاصلة -

أن بلدوين الرابع ، قد جمع قواته وخرج لمنازلة صلاح الدين . فبعث زعماء

تلك السرايا الى صلاح الدين يخبرونه بذلك التحرك الصليبي ، فصار صلاح

الدين على رأس جيشه قاصدا ملاقاته الصليبيين . ودارت بين المسلمين بقيادة

صلاح الدين ، والصليبيين بقيادة بلدوين الرابع ، معركة بالقرب من تل القاضي

في سهل مرج الميون ، انتهت بانتصار المسلمين وانكسار الصليبيين ، وأسر

(٤)

عدد كبير من أعيانهم . كما أن الملك بلدوين نفسه لم ينج من ذلك الا بصعوبة .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٥ ، القرطبي ، السلوك ، ج ١ ص ٦٦

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ٢ ص ١٠ .

(٤) ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٠ ، الاصفهاني ، البستان الجامع ،

ورقة ١٢١ ، ذوق الاسلام ، ورقة ١٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص

٤٥٥ - ٤٥٦ ، ابن واصل ، فتح القروب ، ج ٢ ص ٢٥ - ٢٧ ، ابو

شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ١٠ ، ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، ص

٩١ ، سميح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٦١ .

والواقع أن انتصار المسلمين في هذه المعركة يعد انتصارا حاسما وذلك لما حققوه فيها من مكاسب مادية ومعنوية ، متثلة في أضعاف قوة الصليبيين ومعنوياتهم ، بأسر ذلك العدد الكبير من قادتهم أمثال باليان دي ابلين (Bali de Iblin) صاحب الرملة ونابلس ، ومقدم الاسبترية والداويه (١) وأوك ( Hugh ) صاحب حبل وغيرهم . حتى انه يمكن القول بأن صلاح الدين كان في وسعه أن يتبع انتصاره في معركة مرج الميون بمهاجمة طبرية وبيت المقدس ، كما فعل فيما بعد عقب انتصاره في حطين ، لولا نجاة ملك بيت المقدس من الأسر في هذه المعركة ، إذ أن بقاءه طليقا في المملوكية الصليبية أدى الى اجتماع عناصر المقاومة الصليبية حوله . يضاف الى ذلك وصول مجموعة قوية من الفرسان الفرنسيين وعلى رأسهم هنري الثاني دي شامبني الى المشرق الاسلامي ، الامر الذي بحث في الصليبيين عزيمة جديدة وث فيهم (٢) روح المقاومة .

ولم يغيب عن بال صلاح الدين عقب انتصاره في معركة مرج الميون حصن

(١) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ، أبو شامه ، الروشتين ، ج ٢ ، ص ٨ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ . والاسبترية من فرق الفرسان الرحمان والكلمة تحريف لاهم للفظ الانجليزى ( Hospitallers ) وأسعى هذه الطائفة جيرارد ( Gerard ) في سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وتشبه هذه الطائفة طائفة فرسان الممهد ( Templars ) التي عرفها العرب باسم ( الداويه ) والتي تأسست سنة ١١٣٩ م لحماية طريق الحاج المسيحى بين يافا والقدس ، ثم تحولت هذه الجماعة أيضا الى هيئة حربية دينية . وقد لعب فرسان تامنيز الطائفتين دورا خطيرا في الحروب الصليبية ( أنظر ابن شداد ، النواوير السلطانية ، ص ٧٧ ، حاشية رقم ٥ ) .

(٢) سميد طشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٦١ - ٧٦٢ .

مخاضة الاحزان الذى كان يمثل خطرا جسيما على المسلمين . لهذا عاد الى  
 بانياس ، وأخذ يتجهز للمسير الى ذلك الحصن وتخريبه . فصار اليه فى ربيع  
 الأول من سنة ٥٧٥هـ / أغسطس ١١٧٩م ، وأحاط به من كل الجوانب ،  
 ونصب عليه المنجنيقات ، ثم بدأ الهجوم على الحصن بطريقتين فى آن واحد ،  
 وهما القتال زحفاً وكان ذلك بمشورة الامير جاولى الاسدى مقدم الاسديّة ،  
 ونقب الاسوار . وهى طريقة جيدة لاقتحام الاسوار والحصون استعملها الجيش  
 الصالحى فى جهادهم ضد الصليبيين للمرة الأولى — على ما يبدو — عند  
 حصاره لهذا الحصن . وزع صلاح الدين جوائز البرج على الامراء ، وشجع  
 النقبابون فى نقبه ، ثم أشعلوا فيها النيران فسقط الحصن . وأسر المسلمون كل من  
 كان بداخله ، ثم خربوا الحصن حتى سوا به الارض ، بعد أن غصوا كل ما بداخله  
 من الاسلحة والمؤن ، وأطلقوا من كان به من أسرى المسلمين .  
 (٣)

شجع انتصار صلاح الدين عند مرج الصيون ، وتدبيره حصن بيبست  
 الأحزان على قيامه بسلسلة من الهجمات على مدن الساحل الشامى ، وانزال  
 الخسائر الجسيمة بالصليبيين ، حيث سارع عقب تدبيره حصن بيت الاحزان الى  
 أعمال تطهيره وصور وبيروت فأغار عليها وأرجف قلوب الصليبيين بها ثم عاد الى  
 دمشق .  
 (٤)

- (١) ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ٨٠ — ٨١ .
- (٢) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١١٩ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٥٦ — ٤٥٧ ، ابو شامة ، كتاب  
 الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ،  
 ق ١ ، ص ٣٥٤ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ٨٠ — ٨١ ،  
 المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٩ .
- (٤) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ٨٣ .

(١)  
 وخرج الاسطول الصالحى فى السنة نفسها من الدوانى المصرية ليهاجم عكا ذاتها .  
 وفى السنوات التالية قام صلاح الدين بسلسلة من الاغارات على مدن وموانئ  
 الساحل الشامى ، وفى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م على سبيل المثال قام عقب توقيمه  
 الصلح مع قليج ارسلان ملك الروم بغزو بيروت ، فوصل الى المستيلاء عليها ، فصل  
 امارتى طرابلس وناطكية الصليبيين عن مملكة بيت المقدس (٢) كما قام فى السنة  
 نفسها بالاشارة على طبرية وبيسان وعكا . وفى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م اغار على  
 بيسان وصورية وعين جالوت وغيرها . (٣)  
 كما قام فى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م بالاغارة  
 على نابلس فانزل بها خسائر فادحة . (٤)  
 (٥)

والواقع ان صلاح الدين قد الحق بالصليبيين خسائر جسيمة فى الأرواح  
 والمئاد ، من جراء تلك الاغارات التى نظمها على مدن الساحل الشامى . الأمر  
 الذى دفع الصليبيين - على ما يبدو - الى التفكير فى تخفيف الضغط على  
 تلك المناطق بتحويل نظر صلاح الدين عنها . وذلك بالاغارة على منطقة الساحل  
 البحر الأحمر ، هذا فضلا عن استئصال وجوده فى تلك المنطقة وتهديد  
 المقدسات الاسلامية لطعن الاسلام فى أقدس بقاعه .

- 
- (١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ، ص ٢٩ ، ابن واصل ، مفتاح الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، الميمنى ،  
 عقد الجوامع ، ج ١٢ ، ورقة ٢٢٣ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر  
 الاسلامية ، ص ١١٤ .  
 (٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٩ ، الميمنى ، عقد  
 الحماية ، ج ١٢ ، ورقة ٢٢٣ ، التويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦١ ، ابن واصل ، مفتاح الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ١٤٨ - ١٥١ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٢ - ٧٣ ، سبط  
 ابن الجوزى ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٧ ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨١ .  
 (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص  
 ٥٠٦ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

وكان صلاح الدين خريصا على تأمين الاتصال بين شطري دولته في مصر والشام ، الا أن تحقيق ذلك كان ممضيا بسبب سيطرة الصليبيين على مسدان وموتى الساحل الشامى ، ومنطقة وادى عربة بها فيها من حصون أشهرها حصنى الكرك والمويك .

ويبدو أن صلاح الدين كان يدرك صعوبة فتح الطريق بين مصر والشام عن طريق المنطقة الساحلية ، بسبب تمكن الصليبيين من السيطرة عليها . يضاف الى ذلك ضعف الاسطول الاسلامى عقب حريق الفسطاط — كما سبق أن رأينا — لذلك فانه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين قد رأى أن من الأحسن فتح الطريق بين شطري دولته عبر وادى عربة لاطمئنانه الى جيوشه البرية ، فضلا عما كان يشكله الصليبيون لمسيارهم على حصنى الكرك والمويك من مخاطر على المسلمين بقطع طرق قوافلهم التجارية واعتراض سبيل المؤدين لفريضة الحج ، الى حد أن القاضى الفاضل ، قد اعتبر وجودهم فى حصن الكرك كان يعد « عذرا لتارك فريضة الحج » (١) لذلك لا يبدو غريبا أن يقوم كل من نورالدين محمود وصلاح الدين ، منذ بداية دخول صلاح الدين مصره بمحاولات عدة للاستيلاء على حصنى الكرك والمويك ، للقيام على تلك المخاطر (٢) وفتح الطريق بين مصر والشام .

وما زاد الطين بله فى هذه المنطقة أن البرنس ارتاط ، الذى انتهز

---

(١) أنظر ابن نباته ، مختارات من كلام القاضى الفاضل ، ورقة ٥ - ٦ ، وعرف ياقوت بأنه موضع فى أرض فلسطين ( أنظر ياقوت معجم البلدان ) .

( عقب إطلاق سراحه من الأسر بعد وفاة نور الدين محمود ) فرصة وفاة صاحب

(١)

حصن الكرك فبعد على زوجته وتزوجها ، وملك الحصن بعده ، وذلك لما اشتهر

به هذا الأمير الصليبي من الشجور والغياة ، وعدم احترام اليهود والمواثيق ،

ولم يكن من نوع الفرسان الذين يحرصون على شرفهم ، ويتمسكون بمبادئ

الفروسية ، وإنما كان لا يصلح إلا للسلب والنهب ، وشن الاغارات على الأبرياء

(٢)

والسالمين ، وما يؤيد ذلك ما وصفه به المؤرخ أبو شامة حيث وصف ارتباط هذا

بأنه « أظفر الفرنجة ، وأخبثها وأنفسها من الردى والدماء وأخبثها وأنقضها

(٣)

للمواثيق المحكمة والإيمان المبرمة ، وأثكثها وأثكثها » .

ويمكن القول بأن تلك تلك حصن الكرك ، الذي كان يتمتع باستراتيجية هامة ،

أخذ يتعرف أعمالا جائرة ، ضد المسلمين ، قصد بها طعن الاسلام والمسلمين ،

وعرقلة الوحدة الاسلامية ، ويبدو أن الأمير الذي تبرهن له ارتباط الصليبي

زمن السلطان نور الدين محمد ، ثم يبعه في حلب كان من أسباب حقد ، على

الاسلام والمسلمين . ففي سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م انتهك ارتباط تلك الهدنة التي

كانت مفقودة بين المسلمين والصليبيين ، وحاول مهاجمة مكة والمدنية ، ، حيث

(٤)

جمع جيشه وعزم على المسير الى تيماء ، ثم حدثته نفسه بالمسير الى مدينة الرسول

(١) ابن شداد ، الاغلاق الخطيرة ، ص ٧٠ .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٥ .

(٣) أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية

ج ٢ ، ص ٧٨٥ .

(٤) تيماء ، بلدة في أطراف الشام بين الشام وداري القرى ( أنظر ياقوت معجم

البلدان ) .

صلى الله عليه وسلم ، ليستولى على تلك النواحي الشريفة ، ولكن عز الدين  
قرخشا الذي كان صلاح الدين ، قد استنابه بدمشق ، عند انتقاله الى مصر  
لتفقد أحوالها ، كما سبق أن رأينا - ما ان بلغه ذلك حتى جهز المراكب  
دمشق ، وصار على رأسها ، وأغار على حصن الكرك وكبد خسائر جسيمة .  
الذي اضطر ارتباطه معه الى الامتناع عن مقصده ذلك ، والمودة للدفاع  
عن ممتلكاته فوجد عز الدين تراجع الى اطراف بلاد الاسلام وسكر هناك لمواجهة .  
فلما طال مقام كل منهما في مقابل الآخر ، أدرك البرنس ارتباط ، اصرار المسلمين  
على المقاتلة حتى يتفرق عسكره ، ففرقهم فلما رأى عز الدين ذلك عاد بمسكره الى  
(١)  
دمشق .

والواقع أن نوايا ارتباط واحفاده على الاسلام والمسلمين لم تكن السبب  
الوحيد الذي دفع الصليبيين الى الاطارة على ساحل الحجاز وتهديد مقدسات  
الاسلام . بل كانت للصليبيين أهداف أخرى مرحها القاضي الفاضل في احدى  
رسائله ، ذكر فيها أن الصليبيين أرادوا من حملتهم على البحر الاحمر تحقيق  
هدفين خطيرين أحدهما الاستيلاء على قلعة أيلة التي هي على فوهة بحر  
الحجاز ودخله ، والثاني الخوض في هذا البحر الاحمر الذي تحيط بلادهم  
بسواحلها ، صدين بذلك منع طريق الحاج وقطع طريق تجار اليمن وأكاد عدن

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٠ ، ابن واصل ج ٢ ، ص ١٠١ -  
١٠٢ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ابن الشحنة ، روضة  
المناظر ، ورقة ٧٢ ب ، السبكي ، طبقات الافقية ، ج ٧ ، ص  
٣٦٨ ، ابن شاهنشاه الايبكي ، مضار الحقائق ، ص ٦٣ .



فضلاً عن أن سيايرتهم على تلك السواحل تكمنهم والعيان باله من استباحة المحارم  
 (١)  
 بالانتقام من المسلمين بالاستيلاء على مقدساتهم الدينية • فشرح ارتباط في سنة  
 ٥٧٨هـ / ١١٨٣م فشرح في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٣م في بناء عدد من السفن •  
 ثم نقلها مفككة على ظهور الجمال الى ساحل البحر الأحمر • حيث جرى هناك  
 تركيبها وشحنها بالرجال • ومعدات الحرب • ثم سارت هذه القوات • بعد أن  
 قسمها ارتباط الى فرقتين • فرقة ابقاها على جزيرة القلعة ( أيلة ) وفرقة سارت  
 في البحر باتجاه عذاب على الساحل المسمى للبحر الأحمر وقسطمت أثناء سيرها  
 طرق القوافل التجارية • وباغتت الناس في بلادهم على حين غلة • حيث شرع  
 رجالها في ارتكاب أبشع جرائم القتل والنهب والاسر • الامر الذي أثار الرعب في  
 قلوب الناس هناك • حيث لم يبعدوا قبل ذلك الوقت سفناً صليبية تجارية كانت  
 أو حربية تسير في ذلك البحر • ثم توجه الصليبيون بعد ذلك الى أرض الحجاز •  
 وساروا في اتجاه المدينة المنورة • وأشرف أهلها فنهضهم على خطر عظيم • اذ يذكر  
 المقرئى أنه لم يبق بينهم وبينها سوى مسيرة يوم واحد • والواقع أن الصليبيين  
 (٣)  
 استهدفوا بمسلمهم ذلك • قطع طريق الحاج • وضرب العالم الاسلامي في قلبه  
 وطعن المسلمين في قبلتهم • ثم الاستيلاء على عدن في جنوب البحر الأحمر لأخذ

- 
- (١) ابو شامة • كتاب الاروشتين • ج ٥٢ ص ٣٧ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
 ج ٥٢ ص ١٣٠ • حسنين ربيع • البحر الاحمر في العصر الايوبي في كتاب  
 البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية • ص ١٠٦ - ١١٠ •  
 (٢) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٤٩٠ • النويري • ج ٢٦ • ورقة ١٢١ في  
 ابن خلدون • المبر • ج ٥٥ ص ٢٩٩ •  
 (٣) المقرئى • الجبلون • ج ٤ • ص ٢٩ •

تجارة اليمن — كما سبق أن رأينا — وبذلك يتمكنون بفضل السيطرة على أيلة نسي  
الضمال وعدن في الجنوب ، من أغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم . واحتكار  
(١)  
تجارة الشرق والمحيط الهندي .

ولكن المسلمين لم يسكتوا عن عهد يد ارناط لمقدساتهم ، بل أسرع  
الحاكم المائل الذي كان واليا على مصر ، الى اعداد اسطول قوى في البحر  
الأحمر بأمر صلاح الدين ، أسند أمرته الى الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، الذي  
رأى أن يبدأ أولا بقطع اتصال الجيش الصليبي بقاعدة توينه في أيلة ، فحاصرها  
ودمر ما بها من المراكب الصليبية ، وأسر من فيها . ثم أسرع بعد ذلك بتعقب  
السفن الصليبية عند عيذاب ونكد بها ، ثم عبر البحر الى شاطئ الحجارة  
(٢)  
" فبلغ رايخ وساحل الحوراء " . فأدرك الصليبيين بساحل الحوراء ، وأوقع بهم  
هناك ، فلما رأوا المطب وشاء عدوا الهلاك ، تفرقوا في البر ، واعتصموا ببعض  
الشعاب ، فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم . وهنا يبدو أنه أدرك حاجة جيشه الى  
خيل لمطاردة الصليبيين في الجبال ، فاستعان بخيول القبائل العربية القاطنة  
(٣)  
هناك . وطارد الصليبيين بين الجبال ، حتى حصرهم في شعب لا ماء فيه ،

- 
- (١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ . نظير حسان سعداوي  
التاريخ الحربي ، ص ١٤٤ ، حسنين ربيع ، البحر الأحمر في المصير  
الإيوبي ، ص ١٠٩ - ١١٠ .  
(٢) زلنج : واد على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الابواء والجحفة وساحل  
الحوراء ، موضع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ( أنظر ياقوت معجم  
البلدان ) .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩١ . أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢  
ص ٣٧ .

وهنا تذكر بعض المصادر أن لؤلؤ قتل معظمهم وأخذ الباقين أسرى .<sup>(١)</sup>

وكان موسم الحج قد قرب ، فأرسل حسام الدين لؤلؤ أسيرين — من الصليبيين إلى منى ، حيث نحرهما هناك كما تنحر البدن التي تنساق إلى الكعبة ،<sup>(٢)</sup>

في حين عاد هو ومعه بقية الأسرى إلى مصر . وشاهد الرحالة ابن جبير أعدادا كبيرة من هؤلاء الأسرى بمصر . وقد أموصالح الدين بقتلهم جميعا جزاء لهم وردوا لمن تسول له نفسه الاعتداء على الحرمين الشريفين . وقد تم قتلهم فملا بعد استمراضهم في شوارع القاهرة والاسكندرية .<sup>(٣)</sup>

وهكذا بدأت محاولة الصليبيين في البحر الأحمر للاعتداء على الحرمين الشريفين واحتكار تجارة المحيط الهندي بالفشل الذريع . وإذا كانت هناك نتيجة لتلك المحاولة ، فإنها كانت لفت نظرا صلاح الدين إلى الخطر الذي كان يهدد دولته من ناحية الكرك ووالى عربة ، وهى المنطقة التى تقع بين شقى دولته .<sup>(٤)</sup> في الشام ومصر ، فضلا عن الحجاز .

أما أربابنا أنفسهم ، فقد استطاع — على ما يبدو — الإفلات من الأسر ، وعاد إلى حصن الكرك الذى كان وجوده به يمثل خطرا جسيما على دولة صلاح

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩١ والنويرى ، نهاية الأرب ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ .

(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ج ٢ ص ٣٥ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ج ٢ ص ١٢٨ ، المقرئى ، السلوك ج ١ ص ٧٩ ، حسنين ربيع ، البحر الأحمر في المصير الأيوبي ص ١١٠ — ١١١ .

(٣) ابن جبير ، الرحلة ص ٣٤ — ٣٥ .

(٤) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٩ .

الدين ، بتمتده قطع طريق القوافل الذاهبة والآية بين مصر والشام ، والتي ذكر ابن شداد ، أن صلاح الدين كان يخرج بنفسه لحمايتها حتى تجتاز تلك المنطقة <sup>(١)</sup> . الأمر الذي أدى إلى استمرار اهتمام صلاح الدين بحصن الكرك .

ففى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م خرج صلاح الدين من دمشق قاصدا حصار حصن الكرك ، بعد أن أرسل رسله إلى أخيه الملك المادل بصر ، يدالب منحه الاجتياح به على الكرك لمساعدته فى أحكام حصاره . وسار حتى أتى الكرك ، ووافاه الملك المادل عليه ، ففرض صلاح الدين عليه حصارا شديدا ، وضرب أسواره بالمنجنيقات . فلما سمع الصليبيون بذلك أصابهم هلع شديد ، فساروا راجلهم وفارسهم نحو الكرك يتقدمهم ملك بيت المقدس عبورى الرابع للدفاع عن الكرك . الأمر الذى دعا صلاح الدين إلى التفكير فى العودة إلى دمشق بمعد أن كبد الصليبيين خسائر كبيرة . ورأى أن حصار حصن الكرك سيكلفه وقتا طويلا <sup>(٢)</sup> . وجهدا كبيرا .

وعهد صلاح الدين بعد ذلك إلى تنظيم إغارات متقطعة على ذلك الحصن لاضحافه ، فخرج من دمشق فى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م لمحاصرة حصن الكرك ، وأرسل إلى ملوك الاطراف يدالب المصاكر ، فجاء من صرايين أخيه

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٣ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٧ ؛ ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٢٠ ؛ ابن العديم ، زبدة الجلب ، ج ٣ ، ص ٧٤ ؛ ابن الشحنة ، روضة المناظر ، ورقة ٧٢ ؛ ابن شا مشاه الايوبى ، ضمائر الحقائق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ ابن تنرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

الملك الحظرفي الدين عمر ، الذي حل محل الملك المادل بها ، وبصحبته  
 القاضي الفاضل ، على رأس جيش مصر للمشاركة في ذلك الحصار ، كما جاء  
 من المشرق أخوه الملك المادل بمعاكرك حلب ، ونور الدين بن قرا أرسلان  
 صاحب حصن كيفا وآمد . فلما تكاملت استعدادات صلاح الدين سار حتى أتى  
 حصن الكرك ، وفرض عليه حصارا شديدا ، ونصب عليه " تسعة منجنيقات صفا حتى  
 تمكن بواسطتها من هدم السور المقابل لها ، حتى لم يعد يمنعه من الوصول  
 إلى الحصن إلا الخندق الذي أخذ يعمل على طمه لتحقيق غرضه . فلما رأى  
 الصليبيون هناك ما دهمهم ، خافوا أن يملكه صلاح الدين ويمشوا بالهـوـن  
 النجدة من ملوكهم وفارسانهم ، بعد أن أدركوا عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن .  
 فلما سمع صلاح الدين بجي الصليبيين <sup>(١)</sup> وأولئك لا يتمكن منهم في ذلك الوقت  
 " ولا يبلغ غرضه " فتمزم على المودة إلى دمشق . وفي طريق عودته ، استغل  
<sup>(٢)</sup>  
 تجمع الصليبيين على الكرك وأغار على نابلس وجنين وسبسطية .  
<sup>(٣)</sup>

وعلى وجه الاجمال فان هذه الهجمات المتتالية التي شنها صلاح الدين  
 على حصن الكرك ، لم تلبث أن آتت ثمارها عندما أدرك ارتباط نفسه أنه لم يعد  
 قادرا على تحمل تلك الضربات التي كان يطلقها من صلاح الدين ، حيث بادر

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، المقريزي ، السلوك ،

ج ١ ، ص ٨٤ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٦ - ٦٧ ، سبط ابن الجوزي

مراة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ٣٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص

٧٨ - ٧٩ .

الى طلب الصلح فهادنه صلاح الدين ، وأخذت القوافل الاسلامية تسترد  
(١)  
بين مصر والشام في امان تام .

والواقع أن هذه الهدنة التي كانت مفعودة بين المسلمين والصليبيين ،  
والتي اضطر ارتباط الى الدخول فيها مجددا قد حققت فائدة كبيرة لارتباط نفسه  
وذلك بما كان يفرضه على تلك القوافل التي تمر بتلك المنطقة من ضرائب ومكوس .  
الا أن هذا الامير الصليبي الذي عرف بخدرة وخيائنه لم يلبث أن نقض تلك  
الهدنة مرة أخرى ، وأنقض فجأة على قافلة اسلامية متجهة من مصر الى الشام في  
سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ففد ربها . وذكر له من بها من المسلمين الهدنة التي  
بين العسامين والصليبيين ، فلم يصدق ذلك انتباه بل تبادى في غيه وقال لهم  
(٢)  
" قولوا لأمحمد كم يخلصكم " وأسر من بها من المسلمين ، وأستولى على أموالهم  
(٣)  
ودوابهم وسلاحهم ، وأودعهم سجون الكرك .

أما صلاح الدين فانه لما فعله ارتباط ، أراد أن يعالج الوضع  
برؤية وحكمه ، فبحث الى ارتباط يوضحه على ما فعل ، ويقول له " أين المهود  
والمواثيق " . ويبدو أنه قصد بذلك التصرف الحكيم ، التوصل الى اطلاق سراح

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، وابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، وابن خلدون ، المبر ، ج ٥ ، ص ٣٠٥  
(٢) سميد طاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٩٧ .  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٣ - ٣٤ .  
Lane-Poole, op. cit., p. 99

- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٨ ، و ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،  
ص ٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٨٩ ،  
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

تلك القافلة الاسلامية التي غدر بها ارناط ، والتي وصفها ابن الاثير بانها  
(١)  
" قافلة عظيمة غزيرة الاموال وكثيرة الرجال ، ومعها جماعة سالحة من الاجناد " .

الا ان ارناط لم يصغ لذلك وتمادى في غيه ، وأبى أن يطلق سراح الاسرى والأموال  
وأصر على خرق الهدنة ، وشن الفارات على المسلمين . الامر الذي أكثر من غيرة  
صلاح الدين فنذر دمه ، وأعلى الله عهدا أن ظفر به أن يستجيب دمه . وهنا  
يذكر أن ارناط تدم على رفضه ذلك ، عندما سمح أن صلاح الدين ، أقسم على  
(٢)  
(٣)  
انه سوف يقتل من نقض الهدنة بيده .

استعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين :

وهذا التصرف الشائن من ارناط الصليبي ، انقضت تلك الهدنة  
المعقودة بين صلاح الدين وملك مملكة بيت المقدس ، وكان هذا الأمر يمثل  
خطرا جسيما على مملكة بيت المقدس ، التي كانت تمر بظروف سيئة . ولمل  
محاولة جاي لوزجنان ( Guy de Lusignan ) الذي ولى مملكة  
بيت المقدس في سنة (١١٨٦م) الزمام ارناط - الذي لم يستجب لرجائه - بالكف

(١) ابن الاثيره الكامل ج ١١ ص ٥٢٨ ، ويبدو من هذا النص الذي  
أورده ابن الاثير والذي ذكر فيه أنه كان مع القافلة " جماعة سالحة من  
الاجناد " أن صلاح الدين لم يكن يشق فيما تم بينه وبين ارناط من مهادنة  
بل كان يبحث مع كل قافلة تصير منطقة الكرك جماعة مختارة من الاجناد  
تحميا لذلك ( أنظر سعيد طاشور ) ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٩٨ .  
(٢) ابن الاثيره الكامل ج ١١ ص ٥٢٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين  
ص ٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ١ ، ص ٣٨٩ ،  
ابن واصل ، مفرج الكرب ج ٢ ص ١٨٥ ، ابن ابيك الدواداري ،  
الدر المطلوب ، ص ٥١ ، أبو الفدا ، المختصر ، ص ٢١ .

Lane, poole, on. cit., p. 199.

(٣)

(١)  
عن انتباهك الهدنة واصلاح ما أفسده خير دليل على ذلك .

أما صلاح الدين ، فقد أدرك نتيجة اصرار ارناط على ممارسة سياسة  
الغدر والخيانة ، وعجز ملك مملكة بيت المقدس عن إيقافه عند حده ، وحمية اعلان  
الجهاد الاسلامى ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام بأكملها فأرسل الى سائر  
الاطراف يطلب المساكين ويستنفر الناس للجهاد ، فكتب الى الموصل وديار  
الجزيرة وأربل وغيرها من بلاد المشرق ، وإلى مصر وسلطان بلاد الشام يدعوهم  
الى الجهاد ويحثهم عليه . وخرج هو بنفسه من دمشق على رأس عسكره الخاص ،  
فسار حتى نزل رأس الماء بمرج عكا ، وهناك لحقت به المراكب الشامية ، ثم  
أمر ولده الأفضل عليا بالبقاء هناك ومعه بعض العسكر لتجتمع عنده الامدادات  
والعز من النجدات . وسار هو الى بصرى ، حيث أقام يرتقب وصول الحاج خوسرو  
عليهم من غدر البرنس ارناط . فلما أطمأن على وصول الحاج سليما ، سار الى  
الكرك ، وهاجمها وقطع ما حولها من الشجر وأفسد زرعها وكرومها ، ثم سار  
الى الشوبك وفصل به مثل ذلك .  
(٢)

ويدور أن صلاح الدين قصد بهذه الفارة السريعة على حصن الكرك

والشوبك اشغال الصليبيين هناك عن اعادة راضي طريق الجيش المصرى الذى كان

- (١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، الباز المرمي ، الشرق  
الأدنى ، في المصور الوسطى ، القسم الأول ، الايوبىون ص ٨٠ ، ارنط  
باركر ، الحروب الصليبية ، ص ١٨٠ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠ ، سبط الجوزى ، سمرات  
الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص  
١٨٦ ، التويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ - ١٢٢ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ١٨٦ .



فى ذلك الوقت يأخذ طريقه الى بلاد الشام ، والذي استطاع بالفعل اجتياز تلك المنطقة ليقف جنبا الى جنب مع الجيوش الاسلامية التى قدمت من المشرق الاسلامى ، ومختلف بلاد الشام تلبية لدعوة الجهاد الاسلامى التى وجهها صلاح الدين فى ذلك الوقت . هذا فضلا عن أن هجوم صلاح الدين على حصنى الكرك والشوبك يؤدى الى تأمين وصول الامدادات والمؤن اللازمة من مصر لقتال الصليبيين ، خاصة اذا علمنا أن مدن وموانئ الساحل الشامى كانت لا تزال حتى ذلك الوقت تخضع بكاملها للسيطرة الصليبية . الأمر الذى يحد من نشاط الاسطول الاسلامى ، ولا يدع له مجالاً للقيام بنقل تلك الممدات والمؤن من الموانئ المصرية عبر البحر المتوسط الى بلاد الشام .

وفى الوقت الذى كان فيه صلاح الدين يعمل جاهدا لتكوين قوة عسكرية مزودة بالمؤن والعتاد ، استعددا لدخول معركة فاصلة ضد الصليبيين ، كان يتجنب الاشتباك مع الصليبيين فى أكثر من جهة واحدة ، ولا يمكن عدوه من تعبئة قواه وتوحيد صفوفه ردا على تعبئة القوات الاسلامية . فأرسل فى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الى أهل حلب يأمرهم بمصالحة بوهيند الثالث أمير انطاكية ليتفرغ لجهاد الصليبيين من جانب واحد .<sup>(٢)</sup>

كما عهد صلاح الدين الذى عرف بمهارته العسكرية أيضا الى استفال

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٠ ، الحماد ، الفتح ، ص ٦٠ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ، ابو شاهه ، كتاب الترويضين ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، سعيد طاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠١ .

تلك الظروف المصيبة التي كانت تمر بها مملكة بيت المقدس عقب تنويع جايي  
لوزجنان الذي تنازلت له زوجته عن الحكم وأصبح ملكا لبيت المقدس ، بعد أن  
خلعت الطاج عن رأسها ووضعت على رأسه قائلة « زوجي أقدر وهو أحق بالملك  
وأجدر » .<sup>(١)</sup> وفشل القوي ريموند الضجيلي أمير طرابلس في الفوز بذلك المنصب ،  
عندما رفض فرسان الداوية استقاله بالحكم ، وطالبوه بالعمل بالوصية التي كانت  
تقضي له بحق الوصاية فقط . الأمر الذي جعله يلقي بنفسه بين أحضان صلاح  
الدين طالبا منه مساعدته ضد ملك بيت المقدس والداوية . وأجاب صلاح الدين  
نداءه وأمدّه بالمعونة اللازمة وبذلك استطاع أن يضم إليه حليفا جديدا من  
الصليبيين ، مكونا بذلك ثفرة كبيرة في صفوف الصليبيين .<sup>(٢)</sup>

وبالفعل فقد أوشك الصدام المسلح أن يحدث بين الملك جاي وبين  
ريموند ، حيث عسكر ريموند في طبرية ، وأقام هناك في زى المتناول المتفاخر  
بعد أن ضم حوله عددا كبيرا من الصليبيين « وحث المزم السلطاني على  
قصدهم ليرد اليه الملك » . كما قام ملك بيت المقدس أيضا بحشد جيش عظيم  
لمهاجمة طبرية ، ولولا تدخل بعض الأمراء لتهدئة الموقف ، ومطالبة الطرفين  
بالاتحاد لمواجهة ذلك الاستعداد الهائل الذي أمدّه صلاح الدين لهم .  
الأمر الذي اضطر الملك لوزجنان إلى السير بنفسه إلى القويون ووليد الضجيلي

(١) الصمد ، الفتح ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢) الصمد ، الفتح ، ص ٦٧ - ٦٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص  
٥٢٦ - ٥٢٧ ؛ أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ ؛  
ابن واصل ، فروع الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

لاسترضائه ومصالحته \* (١) وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن القول بأن صلاح الدين قد جنى من جراء تدخله في شئون الصليبيين بمساعدة أحد هما على الآخر ، ثمارة كثيرة أهمها ذلك الاختلاف الكبير في وجهات النظر بين ريموند الصنجيلي وبعض الأمراء الصليبيين وفي مقدمتهم أرناط صاحب حصن الكرك \* ولعل هذا الأمر هو السبب الذي جعل المؤرخ ابن الأثير يصف هذا التحالف بين صلاح وريموند الصنجيلي رغم قصر مدته بأنه « من أعظم الأسباب الموجبة لفتح بلادهم » (٢) واستنقاذ البيت المقدس منهم »

كما يمكن القول بأنه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين ، باتباعه سياسة اللين والحكمة قبل ذلك مع أرناط صاحب حصن الكرك ، ومطالبته إياه بإطلاق سراح الأسرى ، ورد أموالهم دون اللجوء إلى استخدام القوة — كان له الأثر الأكبر في إدخال الخلاف وعدم الثقة بين ملك بيت المقدس وأرناط الذي لم يستجب لرجائه باحترام الهدنة المفقودة مع صلاح الدين \* (٣) ولابد أن يكون الملك الصليبي قد أصبح يتشكك في نوايا أرناط وطمعه في الانفراد بحكم تلك المنطقة ، وإن كلا منهما بات حذرا من الآخر .

وفي ربيع الأول سنة ٥٨١هـ / يونيو ١١٨٥م أرسل الإمبراطور البيزنطي

(١) العماد ، الفتح ، ص ٦٨ ، أبو حامد ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٦ ؛  
أنظر أيضا : Lane-Poole, op. Cit., p. 200

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٧ .

(٣) أنظر ما سبق ١٨٧ - ١٨٨ .

أندرونيكوس ( Andronicus ) سفارة الى صلاح الدين يستعيد ما كان بينهما من صداقة قديمة ، ويقترح عقد تحالف معه . واقترح على صلاح الدين أن يتم فتح فلسطين ، وأن تقسم بينهما على أن ينال البيزنطيون بيت المقدس ، والمدن الساحلية ما عدا عسقلان ، وإذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى والقضاء على دولة سلاجقة الروم ، فلابد أن تعود الى الدولة البيزنطية حتى انطاكية وأرمينية . وفي مقابل ذلك ، وعد الامبراطور البيزنطي صلاح الدين المساعدة في نزاعه ضد الصليبيين في الشام . ورد صلاح الدين على هذه السفارة غير معروف ، ومن المحتمل أن هذه الاقتراحات حازت القبول الى حد ما . وقبل وصول رد صلاح الدين الى القسطنطينية ، عزل أندرونيكوس في ١٢ سبتمبر ١١٨٥ نفسه في سياسته الخارجية ، فضلا عن مشكلات أخرى واجهت الدولة البيزنطية . واستقبل الامبراطور البيزنطي الجديد اسحق الثاني رد صلاح الدين وذلك النرد يحتمل أنه احتوى على رفض صلاح الدين لدعوى بيزنطة في السيادة (١) . ويحتمل أيضا أن صلاح الدين وضع اقتراحات أخرى .

ولا شك أن التحالف مع صلاح الدين كان هو ركن الزاوية في سياسة بيزنطة الخارجية فيما بين سنتي ١١٨٥م - ١١٩٢م غير أن الآثار السيئة لمشروع تحالف الدولة البيزنطية مع المسلمين ، أساء الى سمع بيزنطة ، فقد أنزعج الصليبيون في بلاد الشام من هذا التحالف ، وأخذ امبراطور ألمانيا فردريك (٢) يبرر سياسته بالبابا على الدعوة الى حملة صليبية ضد البيزنطيين . ويحتمل

1) Brand: The Byzantines. And Saladin., speculum, Vol., 37(1962), p.p. 168-269.

2) Brand. op. cit, p.p. 178-180.

أن أشاعة ذلك التحالف بين المسلمين والبيزنطيين كان هو السبب الذي دفع الصليبيين في بلاد الشام إلى اعتقال الكسيوس انجيلوس أخى الامبراطور البيزنطى اسحق انجيلوس الذى مربحنا في طريقه إلى القسطنطينية عائداً من بلاط صلاح الدين ، حيث قبض عليه كونت طرابلس وسجنه ، الأمر الذى أثار غضب الامبراطور البيزنطى ، وجملة يمتك إلى صلاح الدين يحرضه على مهاجمة الصليبيين \* وكان تفضيل ريتشارد قلب الاسد ، وفيليب أغسطس ، والحملات الصليبية التالية اتخاذ البحر إلى بلاد الشام ، يرجع بالدرجة الأولى إلى صلات الامبراطور البيزنطى بالمسلمين ، وهى صداقة بين صلاح الدين والبيزنطيين لم يهتم بها صلاح الدين الاهتمام الكافى .

وقعة صفورية :

وفى الوقت الذى كان صلاح الدين فيه معسكراً بالقرب من حصن الكرك والشوبك لحماية الحاج من اعتداءات الصليبيين ، عبد إلى ارسال قوة استطالعية انتخب أفرادها انتقاباً ، وأسند قيادتها إلى مظفر الدين كوكبورى صاحب حران ، ومدار الدين ولد ربن ياروق أمير عسكر حلب ، وصارم الدين قايمار النجوى أمير عسكر دمشق ، لتقوم بالانارة على ممتلكات المدعو ، لانضمام معسكراته وكشف مخدطاته ، فسارت هذه السرية المدججة بالسلاح

1) Ehrenkreutz, Saladin, P.P. 198-200.

2) Brand, op. Cit. P.P. 180 .

والمطد ، باتجاه صفوريه • وقد حرص قوادها على أن يكون سيرها على قدر كبير من السرية والخفاء ، فكان سيرهم اليها في الجزء الأخير من الليل ، على أن يكون هجومهم عليها في الصباح الباكر • وبالفعل فقد نفذت تلك الخطة بدقة تامة " وصبحوا صفورية وساء صباح المنذرين " .  
(١)

أما الصليبيون الذين كانوا ينعمون بنوم هادئ في ذلك الوقت ، فانهم قد استيقظوا على أصوات السيوف والرماح ، وأسرعوا الى لم شعشعهم وتجميع قواهم لحوا جهة ذلك الهجوم الاسلامي المفاجئ • والتقى الجمعان ، ودارت بينهما معركة رهيبية ، انتهت بانتصار اسلامي مطلق ، وسقط معظم الصليبيين بين قتلى وأسرى ، وكان من جملة القتلى ، مقدم الاسبانية ، وعدد كبير من من أبرز فرسانهم ونجا مقدم الداوية بصمصوية بالفة • وما زاد الدارين بلة أنه  
(٢)  
عند ما تجرأت قوة صليبية أخرى على الاسراع الى صفوريه لنجدة أخوانهم كانت المعركة قد انتهت ، فأسر المسلمون تلك النجدة عن آخرها • وعاد المسلمون من هذه المعركة سالمين غانمين • وكان انتصارهم في هذه المعركة « باكورة البركات ومقدمة ما يبعدها من ميادين الحركات » .  
(٣)  
(٤)

(١) الحصاد ، الفتح ، ص ٦٢ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٢) الحصاد ، الفتح ، ص ٦١ - ٦٢ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ ، ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٣ أ - ب ، ابن الرائب تاريخ ابن الراهب ، ص ١١ .

(٣) ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ، حسنين ربيع ، جهاد صلاح الدين الايوبي ضد الصليبيين ، رسالة المجد ، المجلد الرابع ( ربيع الأول ١٤٠١ هـ / يناير ١٩٨١ م ) ، ص ١٨٧ .

وهكذا كبد المسلمون الصليبيين خسائر فادحة في الأرواح والمقتاد •  
وألقت هذه المعركة الرعب في قلوب الصليبيين • وجعلتهم يدركون خطورة  
ذلك التجمع الاسلامي الرهيب الذي أعده صلاح الدين لجهادهم •

ونستنتج من هذا الانتصار الذي حققته هذه السرية الاسلامية على تلك  
القوات الصليبية في صفوريه • أن المسلمين عندما آمنوا بالجهاد وأحيوا  
سيرة الاسلام الأولى • وآمنوا بضرورة القضاء على الصليبيين • لم تهملهم قوة  
صليبية كبيرة • لأن الايمان بالله وحب الاستشهاد في سبيله الذي ملأ قلوب  
الرجال المسلمين هو الذي دفعهم الى تحقيق هذا النصر •

#### معركة حطين ونتائجها :

استبشر صلاح الدين الذي كان آنذاك يعسكر بالقرب من حصن الكرك  
ببوتق وصول الحاج — بذلك النصر الذي حققته تلك السرية الاسلامية في معركة  
صفوريه • فترك الكرك والشوبك • وسار مسرعا على رأس جيشه في اتجاه المدو •  
وعسكر في عشترا • واجتمعت حوله المساكرا الاسلامية بأعداد هائلة حتى  
(٢)  
« ففى بها القضاء » على بعد قول ابن واصل • وفى عشترا قام بمعرض عسكريه •  
(٣)  
فكان فى اثنى عشر ألف مقاتل • ثم رتب جيشه طبقا لنظام المعركة المتعاد •

- 
- (١) عشترا : — موضع بحوران من أعمال دمشق ( أنبار • ياقوت معجم البلدان ) •  
(٢) ابن واصل • فوج الكروب • ج ٢ • ص ١٨٧ •  
(٣) ابوشامه • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٨٦ • ابن واصل • فوج الكروب •  
ج ٢ • ص ١٨٧ •

فجعل ابن أخيه تقى الدين عمر فى الميمنة ، ومظفر الدين كوكبورى فى الميسرة  
 وكان هو فى القلب ، وبقيّة الجيش فرقة على الجناحين ، استمدادا للحرب .  
 (١) -

وردا على ذلك التجمع الاسلامى العظيم ، فان الصليبيين لما سمعوا  
 باجتماع كلمة الاسلام عليهم ومسير ذلك الجيش الاسلامى اليهم ، علموا أنه قد  
 جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وان كيانهم زائل لا محالة ، فاجتمعوا واصطلحوا ،  
 وحشدوا وجمعوا ، وانتحوا " فصالح القوص الملك جاي ، بعد أن دخل عليه  
 ورضى بنفسه عليه . ومن ثم أصدر الملك جاي الأمر بالتمبئة العامة ، وممستى  
 ذلك أنه لابد أن يتقدم لحمل السلاح كل الرجال القادرين ، ولا يلدأ الملك  
 الى ذلك الا عند الضرورة القصوى . وحشد الصليبيون حشودا كبيرة ، ورفعوا  
 (٢)

صليب الصليبيات ، لتجتمع الناس حوله ، وقد اكتملت عدة ذلك الجيش بعد أن  
 تم توزيع الأموال التى بمشها ملك انجلترا هنرى الى الملك جاي ، والتى أمر  
 بانفاقها على الرجال . أما بالنسبة لتقدير عدد الجيش الصليبي الذى ظمحل  
 ممسكرا فى صفوفه بعد هزيمته من تلك السرية الاسلامية ، فان المؤرخين  
 المعاصرين ذكروا أن عدده بلغ " زهاء خمسين ألفا أو يزيدون " . ولكن يبدو  
 أن فى ذلك مبالغة كبيرة ، ويرجح ما ذهب اليه أحد الباحثين من أنه ليس من

---

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، وابن خلكان ، وفیات  
 الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٤ .

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) الهاز المرينى ، الشرق الأدنى فى المصور الوسطى ، ص ٨٤ .

(٤) الصمد ، الفتوح ، ص ٧٤ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ،  
 أنظر أيضا ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٠ .



( ١ )

السهل فقد يردد الجيش اللاتيني ، وأن من المرجح أنه يبلغ عشرين ألفا .

ومهما يكن من أمر فإن صلاح الدين لما علم باجتماع الصليبيين في صفورية عقب هزيمتهم من السرية الاسلامية في هذا المكان ، استمار قواده فيما يفعل ، فأشار أكثرهم بترك اللقاء ، واتباع الطريقة السابقة من غارات متكررة ، وتكبيد المدد وخسائر حتى تضعف مقاومته ، ومن ثم انزال الضربة القاضية بالصليبيين . وأشار الفريق الآخر بالتوغل في بلاد الصليبيين ، والاشتباك معهم في معركة فاصلة .<sup>(٢)</sup> وهنا تبدو لنا منة صلاح الدين العسكرية ، إذ اختار الخطة الثانية القائمة على الاشتباك مع المدد في معركة فاصلة ، إذ يظهر أن صلاح الدين أدرك أن معظم القوات التي تجمعت عنده في ذلك الوقت جاءت من أماكن بعيدة من مصر ودמשق وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر وغيرها ، وأن هذه المسارك

القائمة على نظام الاقطاع الحربي كما سبق أن رأينا — لها التزامات في اقطاعاتها ، الأمر الذي قد يدفعها بعض الاحيان الى طلب الاستئذان منه والمودة لقضاء حوائجها .<sup>(٣)</sup> هذا بالإضافة الى أن صلاح الدين ربما قصد باتباع تلك الخطة ، استغلال ذلك الانشقاق الذي حدث في صفوف الصليبيين ، نتيجة وفاة الملك بلدوين الخامس ، وتوزيع الملك جاي لوزجنان ، والذي عده أحد الباحثين سببا حرمته من أجله ملكة بيت المقدس من منصفون أقوى امارتين صليبيتين بالشام

( ١ ) انبار الصربني ، الشرق الادنى في المصور الوسطى ، ص ٨٤ .

( ٢ ) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٣٢ — ٥٣٣ ، ابن خلدون ، المبر ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ .

( ٣ ) أنظر ما يلي الفصل الخامس ص

(١)

هنا إمارة طرابلس و إمارة انطاكية .

وهكذا أصبح الموقف بين صلاح الدين والصليبيين على أشده ، وسادت  
الطرفان كل منهما ينتظر هجوما سابقا من الآخر . وهنا يبدو أن صلاح الدين  
الذى كان يتوقى الى الاشتباك مع الصليبيين فى معركة فاصلة ، كان يدرك أن  
تمركزهم فى صفورية ، يعطيهم مكانة عظيمة فى القتال ، وذلك أن صفورية تمتص  
من أحسن المواقع الملائمة لإقامة المعسكرات ، وذلك لما يتوافر بها من المرافق  
والمياه ، وغيرهما من الموارد الطبيعية اللازمة لذلك . لهذا عد الى استدراج  
(٢)

الصليبيين الى المكان المناسب الذى يستطيع فيه انزال الهزيمة بهم . هذا  
بالإضافة الى أنه على الرغم من ذلك كان يريد أن يجبرهم على السير اليه  
حتى يصلوا متعبين ، ويكون غوما خرا جهده وجهد رجاله . لذلك أخذ  
صلاح الدين يعد عدته للقيام بعمل يستطيع اجتذاب الصليبيين من معسكرهم  
فى صفورية والتزول الى المكان الذى يختاره . فأخذ كل يوم يرسل جماعة من  
رجالهم ، لبهاغة الصليبيين والنكاية بهم ، محاولا بذلك استدراجهم اليه ، غير  
أن تلك الخارات المتكررة ، لم تؤثر على الصليبيين ، فلم يتركوا عن مركزهم  
فى صفورية فرأى صلاح الدين الهجوم على طبرية ذاتها ، لأن الصليبيين متى

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) Lane-Poole, op. Cit. p. 206 ؛ ستيفن ونسيان ، تاريخ  
الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٣٦ .

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٤ .

(١)

وأما هجومه ذلك باد روا بالوصول اليه ، وبذلك يكون قد تحقق له ما قصده .

وهنا يمكننا أن نسأل لماذا خص صلاح الدين طبرية دون غيرها

بهذا الهجوم ؟ ويبدو أن صلاح الدين أدرك أن وجود زوجة ريموند وأولاد

(٢)

في منطقة طبرية كفيل بأثارة ريموند أمير طرابلس المشهور بشدة الشجيرة .

هذا بالإضافة إلى أن صلاح الدين ، كان يعلم أن نزوله في ذلك الموضع

يستطيع أن يوصل الطريق المؤدى إلى طبرية ، وسيسيطر في الوقت ذاته على

(٣)

الدروب التي تحتل الحافة الشرقية إلى طبرية وتنتهي إلى الماء . في حين يبقى

الصليبيون عند خروجهم من صفورية ، وتقدمهم إليه في منطقة وعرة لا تتوفر فيها

(٤)

المياه .

وفي يوم الخميس ٢٣ ربيع الآخرة سنة ٥٨٣هـ / ٢ يولييه ١١٨٧ م ، أصدر

صلاح الدين أوامره إلى الجانب الرئيسي من جيشه بالتقدم إلى طبرية ومهاجمتها

فنزل عليها ونقب بعض أسوارها وأخذها عنوة ، ولجأ من بها من الصليبيين

(٥)

إلى القلعة وامتنعوا بها . وما كادت أخبار ذلك الهجوم تصل إلى أسطى

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٢) الباز المريني ، الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ص ٨٧ ؛ باركر ،

الحروب الصليبية ، ص ١٨٢ .

(٣) الباز المريني ، الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، ص ٨٧ .

(٤)

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٣ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ،

ص ٧٦ ؛ أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ؛ المصداق ، الفتح ،

ص ١٩٣ ؛ سبطاب الجوزي ، مرآة ١٠١١ ، ج ٨ ، ص ١٠١ ؛ ق ١ ، ص ٣٩٣ ؛ ابن

الصديم ، زبدة الطلب ، ج ٣ ، ص ٩٣ ؛ ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ،

ج ٦ ، ص ٣١ - ٣٢ .

الصليبيين ، حتى جن جنونهم ، ودها الملك جأى الى مجلس حرب ، فأشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم من التوغل فى طبرية ، فى حسين أشار ريموند صاحب طرابلس على الملك بالبقاء فى موضعه بصفورية ، قائلا له :  
 " ان طبرية لى ولزوجتى ، وقد فعل صلاح الدين بالدينة ما فعل ، ويقضى القلعة ، وفيها زوجتى ، وقد رضيت بأن يأخذ القلعة وزوجتى ، ومالنا بها فيعود ، فوالله لقد رأيت عسكرا لاسلام قد يما وحديثا ، ما رأيت مثل ذلك المسكر الذى مع صلاح الدين كثرة وقوة ، واذا أخذ طبرية ، لا يمكنه المقام بها ، نعمتى فارقتها ، وعاد عنها أخذناها . وان أقام بها لا يقدم على المقام بها الا بجميع عساكره ، ولا يقدر على الصبر طول الزمان . عن إوطانهم وأهلهم (١)  
 فيضطر الى تركها وتفتك من أسرمنا " . وهنا يبدو أن سياسة صلاح الدين فى إيقاع الخلاف فى صفوف الصليبيين قد آتت أكلها ، حيث لقى رأى ريموند هذا معارضة شديدة من كل من ارناط صاحب الكرك ، وجيرار مقدم الداوية ، الذين اتهماه بالخيانة والانحياز الى المسلمين . حيث رد عليه ارناط قائلاً

- (١) ابن الاثير، الكامل ج ١١ ، ص ٥٣٣ . ويلاحظ أن الحماد وابن واصل ، قد ذكرا رأيا مخالفا لذلك ، حيث ذكرا أن ريموند عندما علم باستيلاء صلاح الدين على طبرية جن جنونه ، وطالب الصليبيين بالمسير الى طبرية ، وانقاذها من المسلمين ، وأنه يسقطها تسقط البلاد كلها (أنظر الحماد ، الفتح ، ص ٧٦ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، أنظر أيضا سعيد طاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٥ ، حاشية (٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٥٣٣ .

(١)

" قد أظلت في التخويف من المسلمين ، ولا شك أنك تريد هم وتميل اليهم " .  
 واستطاع أرناط وجيرار التأثير على الملك جاي الذي أصدر أوامرا إلى الجند  
 بالمسير إلى طبرية . وبدأ الجيش الصليبي زحفه من صفوره يتقدمه ريموند في  
 ظروف سيئة للغاية ، فروح الصليبيين الممنوعة منحنية ، وجزء كبير منهم لم يكن  
 من أنصار التقدم نحو طبرية ، فساروا مكرهين . <sup>(٢)</sup> هذا بالإضافة إلى ما تعرض له  
 ذلك الجيش الصليبي في طريقه من متاعب وخسائر بسبب الكائنات التي نصبها  
 صلاح الدين لهم أثناء سيرهم ، فضلا عن حرارة الجو ، ووعورة الطريق وانعدام  
 الماء . وأزاء هذه الظروف القاسية حل بالجيش الصليبي أثناء سيره من صفورية  
 إلى طبرية ، انفصال كبير ، حيث لم تستطع مؤخرته مجاراة سير بقية الجيش  
 والاتصال بالملك في الوسط . الأمر الذي اضطر الملك جاي إلى إقامة معسكره  
 قبل الوصول إلى طبرية . على الرغم من تلك المطولة التي قام بها ريموند أسير  
 طرابلس الذي كان في المقدمة ، لحث الصليبيين على التقدم للوصول إلى المياه .  
 مما أدى إلى تدمير ريموند من ذلك التصرف ، وادراكه بأن الهزيمة حاصلة لا محالة .  
 (٣)

وفي الوقت الذي بلغ فيه الجيش الصليبي حالة كبيرة من الانهك والتعب  
 والانهيار ، كان جيش صلاح الدين يمكث بالقرب من طبرية مملوءا بالثقة .  
 وأخذ صلاح الدين الذي غمرته الفرحة بسبب نجاحه في استدراج الصليبيين  
 إليه من معسكرهم الآمن في صفوره يقول " جاءنا ما نريد ، ونحن أولوا بأس "

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٣ .

(٢) سميح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٦ .

(٣)

(١) شديد \* فرتب رجاله في تلك الليلة ، ووفر لهم الأسلحة ، وترك على طبرية فرقة من جيشه ، وسار هو على رأس جيشه لملاقاة الصليبيين على سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين ، وهي منطقة على هيئة هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من ثلاثمائة متر ، ولها قفطان مطبوع يحمل العرب بالقون عليه اسم قرون حطين . ويوصل الصليبيين إلى تلك الهضبة كانوا قد بلغوا حالة سيئة من الانهالك والتعب ، واشتد بهم العطش بعد أن حال جيش صلاح الدين بينهم وبين الوصول إلى الماء .

(٢)

التقى الجمعان على سهل جبل طبرية الخرس منها ، وحال الليل

دون تصاد مهما ذلك اليوم . وفي صباح الجمعة ٢٤ ربيع الآخرة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م تحرك الجيوشان وتصاد ما بأرض تسمى اللوبيا ، واستمر القتال إلى أن حجز الغلام بينهما . وبات كل فريق في سلاحه . والواقع أن جيش صلاح الدين قضى تلك الليلتين ينعم بكافة الوسائل التي تمكنه على القتال ، فقد كان يمسك في منطقة سهلة غنية بالمراعي والمياه . أما الجيش الصليبي ، فقد ازداد بلا شك خلال تلك المدة شقاء وانهاكا ، بسبب إقامة معسكره على منطقة وعرة جدا

- 
- (١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .  
 (٢) الصمد ، الفتح ، ص ٧٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٤ ؛ أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٦ - ٨٠٧ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٦ ؛ أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .  
 (٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .  
 ج ٢ ، ص ١٨٩ ، واللوبيا : أرض بالقرب من طبرية ، ( أنظر الصمد ، الفتح ، ص ٨٨ حاشية ) .

عديمة المياه وفي جوشد يد الحرارة • ويدو أن صلاح الدين • قد استغل  
توقف القتال تلك الليلة • ليكمل استعداداته لمهاجمة المدو الذي لجأ  
الى سفح جبل حطين • ليمصمهم من المهلاك • ومن ثم الهبت في جو معتدل  
يخفف عنهم شدة الحرارة والمطش • وعلى الرغم من أوامر الملك جاي التي كانت  
تنهى بأن يندفعوا الى أسفل التل ليؤدوا واجبه نحو الصليب والمعرض • الا  
أنهم اعتدوا بشدة المطش • وانهم لا يستطيعون الحرب • فاستغل صلاح الدين  
ذلك • ورتب جيشه ورسم له الخطط • وأحاط بهم • أحاطة الدائرة بقطرها •  
(١)  
كما يقول ابن الاثير •  
(٢)

وفي الصباح الباكر من يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ / يوليه ١١٨٧م  
تقدم الجيش الاسلحي الذي أكمل استعداداته للمعركة الفاصلة • وفي المقابل  
تحرك الجيش الصليبي واضعاً في ذمته الوصول الى طبرية لعله يرد الماء • الا  
أن صلاح الدين ببراعته الحربية أدرك مقصدهم • ووقف بمسكره في وجوههم •  
وأخذ صلاح الدين يداوف بين الصفوف يحرض الرجال على الجهاد • ويأمرهم  
بما ينفعهم ويؤذيهم • وهم له طائعون • وبدأ الهجوم الاسلامي  
على الصليبيين • فاستعانت المسلمون في القتال وشدوا هجماتهم على الاعداء  
مذكرين • أن من وراءهم الأردن • ومن بين أيديهم بلاد القوم • وانهم لا ينجيهم  
(٣)  
الا الله تعالى •  
(٤)

(١) Lane-Poole, op. Cit. p. 211.

(٢) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٣٥ •

(٣) المصدر السابق • نفس الجزء والصفحة •

(٤) ابن شداد • النوادر الملائية • ص ٧٦ •

وأما ذلك الهجوم الاسلامي الرهيب ، أدرك الصليبيون أن نهايتهم قد حانت ، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار أو الاستسلام . ولم يستأج النجاة سوى ريموند أمير طرابلس الذي ، رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الاسلامي ، فاتفق مع جماعة من أصحابه وحملوا على من يليهم من المسلمين ، ففتح المسلمون لهم طريقا يخرجون منه ، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى (١) . ويبدو أن خروج ريموند تم بموافقة صلاح الدين ، الذي أصدر أوامره إلى ابن أخيه تقي الدين عمر ، مقدم تلك الناحية التي حمل عليها ريموند ، وقصد صلاح الدين بذلك إخال الضعف واليأس في نفوس الصليبيين عند ما يعلمون بهروب ريموند وجموعه . كما لا يستبعد أن يكون ذلك الأمر قد تم باتفاق بين ريموند وصلاح الدين ، بدليل أن بعض الصليبيين عند ما تعرضوا لذلك الهجوم الشامل من المسلمين ، القوا أسلحتهم ، وجاءوا إلى

(٢)

ممسك المسلمين مستسلمين .

وما زاد الطين بلة ، أنه في الوقت الذي تخلى فيه ريموند عن ابنائه ملته ، كان بعض المتطوعة المسلمين قد اشعلوا النيران في الاعشاب والاشواك اليابسة التي تكتس تلك المنطقة ، وكانت الريح تهب باتجاه الصليبيين « فاجتمع عليهم المطش وحرا الزمان ، وحرا النار ، والدخان ، وحرا القتال » . الأمر الذي اضطر معه الصليبيون إلى التراجع إلى أعلى الجبل ، وأرادوا أن ينصبوا

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، الحصاد ، الفتح ، ص ٢٩ .

(٢) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، وابن شداد ، النوادر

السلطانية ، ص ٧٧ ، أبو شامة ، كتاب الرضتين ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

وابن واصل ، مغر الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .



خيائهم ، ويحسبون نفوسهم به ، فاشتد عليهم القتل من سائر الجهات ،  
(١)  
ومضوا عما أرادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك .

ويبدو أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة ، يعتمد على البقعة  
على الصليبيين وأدخال الودع في نفوسهم بكل الوسائل ، ولم يكن همه مقصورا  
على القتل المباشر فقط بل كان يعتمد على أشياء يكون تأثيرها على المدد أكبر .  
والدليل على ذلك أنه بعد أن حصر الصليبيين في أعلى جبل حامين ، ركز  
اهتمامه على الاستيلاء على صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصليوت ، والذي  
(٢)

يذكرون . أن فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم .  
لأنه كان يعلم أن الاستيلاء عليه يعد أعظم سلاح لتحييمهم نفسيا ومعنويا .  
وبالفعل لما أن تمكن من أخذه حتى حل بالصليبيين البوار وأيقنوا بالهلاك  
وتقدم المسلمون نحو قمة الجبل ، والصليبيون يتراجعون أمامهم ، ويتساقطون  
أسرى وقتلى ، حتى لم يبق مع الملك الصليبي الذي وصل إلى أعلى التل سوى  
(٣)  
فئة قليلة لا يتجاوز عدد ما مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين الشجعان .

وذكر ابن الأثير على لسان الملك الأفضل ابن صلاح الدين أن الصليبيين  
لما تراجعوا على رأس ملكهم إلى أعلى التل حملوا حملة قوية على من يارائهم من

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، أنظر أيضا أبو شامة ، كتاب الروضتين

ج ٢ ، ص ٧٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ٢ ، ص ٧٨ ، وابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

المسلمين ، وكادوا يزيلونهم عن أماكنهم ، إلا أن المسلمين عادوا فردوا على تلك الحملة ، واستطاعوا إعادة الصليبيين مرة أخرى إلى أعلى الجبل . مما جعل الملك الأفضل يعبر عن فرحته بذلك النصر بقوله « هزمناهم » . وعاد الصليبيون مرة أخرى وحاولوا دحر المسلمين الذين ردوا عليهم بحملة أقسى أرجعتهم مرة ثالثة إلى أعلى التل ، فعاد الملك الأفضل وعبر عن فرحته بذلك النصر مرة أخرى بقوله « هزمناهم » . وهنا تبدو لنا مهارة صلاح الدين الحربية وخبرته في ميادين القتال ، إذ كان يرى أن الهزيمة لن تتم على الصليبيين إلا بسقوط قيادتهم قتلا وأسرا ، فأجاب ابنه قائلا : « اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة » يقصد خيمة الملك . ثم أخذ في تشديد هجماته ، وما هي إلا لحظات حتى سقطت تلك الخيمة ~~فغزل الملك~~ ~~النويس~~ ~~فشل~~ ~~شكر~~ ~~الله~~ (١) تعالى وبكى من فرحه .

والواقع أن ما فقد الصليبيون في هذه المعركة من قتلى وأسرى يعتبر من أندح الكوارث التي حلت بهم . وما ورد من إشارات إلى عدد القتلى يشوبه الغلط والاضطراب . والواقع أنه لم ينح إلا عدد قليل من المحاربين ، بالإضافة إلى من نجا من جند المؤخرة بقيادة باليان ابلين ، وريجنالد صاحب صيدا ، أو جند المقدمة بقيادة ريموند صاحب طرابلس . أما معظم أفراد الجيش الرئيسي (٢)

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ .

(٢) أنظر Lane-Poole . on Bit.P214 ، الباز العريني ، الشرق

الادنى في المصور الوسطى ، ص ٩٨ .

بقيادة الملك جاي لوزجان فقد تساقطوا في أيدي المسلمين قتلوا ، وأسرى ،  
 وكان على رأس الأسرى الملك جاي ، واراناط صاحب الترك وأوك صاحب جيبيل ،  
 وهنرى بن الهنرى صاحب تينين ، وابن صاحبة طبرية ، وجيرار مقدم الداوية ،  
 ومعظم من نجا من الأسبتيارية ، وغيرهم من أكابر الصليبيين .  
 (١)

ثم أمر صلاح الدين فحسرت له خيمة ، نزل فيها وصلى لله تعالى شكرًا  
 على هذه النعمة التي دبرج الملوك من قبله على تغنى مثلها ، وماتوا بحسرتها .  
 (٢)  
 ثم أحضر ملوك الصليبيين ، ومقدميهم واستقبلهم استقبالًا حسنًا ، وأجلس الملك  
 جاي إلى جانبه ، وأجلس البرنس ارناط صاحب الترك إلى جانب الملك . وبدأ  
 صلاح الدين بتقديم أناء به ماء مثالج للملك جاي ، فشرب منه ، وأعطى ما تبقى  
 لاراناط فشرب . وعندئذ غضب صلاح الدين من ذلك ، وخاطب الملك مؤكدًا  
 له بأن ارناط لم يشرب الماء بأذنه فينال أمانه . ثم التفت إليه وذكره بجرائمه  
 وخيائنه وقال له : « كم تخلف وتكث ؟ » فقال الترجمان عنه أنه يقول : « قد جرت  
 عادة الملوك بذلك » فأوقفه السلطان صلاح الدين وقال له : « هانذا استنصر  
 لمحمد » ثم عرض عليه الاسلام فأبى ، فاستل صلاح الدين سلاحه وضربه فحمل  
 كتفه ، وتم عليه من حضر .  
 (٣)  
 (٤)

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٧ ، الحماد ، الفتح ، ص  
 ١٩٦ - ١٩٧ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، وابن واصل ،  
 مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .  
 (٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .  
 (٣) ابن واصل ، المعبر ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، أنظر سبط ابن الجوزي ،  
 مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٨ - ٧٩ ، وابن واصل ، مفرج  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

( ١ )

احدهما لما أراد السير الى مكة والمدينة والثانية لما أخذ القفل غدا .

ولما رأى ملك بيت المقدس تجاى لوزجنان ذلك المنظر ، خاف ، وظن أن صلاح الدين سوف يثنى به ، ولكن السلطان استحضره ، وطيب قلبه ، وقال له ( ٢ )

« لم تجر عادة الماوك أن يقتلوا الملوك ، أما هذا فإنه تجاوز حده فجرى ما جرى » .

ثم أحضر صلاح الدين الداوية والاسبتارية ، وعرض عليهم الاسلام فمن أسلم استبقاه ومن أبى أمر بقتله . والجدير بالذكر أنه ليس من المعروف تماما لماذا ( ٣ )

أفرد صلاح الدين فرسان الداوية والاسبتارية بالقتل دون غيرهم من الأسرى .

وربما كان سبب ذلك ما ذكره أبو شامة من أن صلاح الدين ، قال « أنا أظهر الأرض من هذين الجنسين النجسين ، فما جرت عادتهما بالفاداة ، ولا يقلما ( ٤ )

عن الفاداة ، ولا يخدمان في الأسر ، وهما أخبث أهل الكفر » ومن المعروف أن فرسان هاتين الهيئتين ، قد تنكروا للبهادى التى كرسوا حياتهم لخدمتها ، فخلعوا زيهما الدينى الاسود ، واتشحوا بالوشاح المسكرى الابيض والشارة الصليبية الحمراء ، وأصبحوا في زمة المحاربين ، وأمتلك كل منهم ثلاثة من الخيل ، وفلاما يتهمه ، وصار منهم قادة عظام يحملون الألقاب والرتب

- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ ؛
- ( ٢ ) ابن شداد ، النور السلطانية ، ص ٧٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ؛ أنظر أيضا أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .
- ( ٣ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .
- ( ٤ ) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ ؛ ويذكر ابن الاثير في كتابه الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٨ أن ذلك لانهم « أشد شوكة من جميع الفرنج » .

المسكينة ، ويجيدون حرك سياسة الخدر بالمسلمين ، ونقض المهود والمواثيق .  
 وكان هدف فرسان هاتين الطائفتين الأول والأسنى طعن الاسلام ، وانتهساك  
 حرطه بشتى الوسائل مهما كلفهم ذلك من ثمن .  
 (١)

أما بقية الاسرى ، فقد أمر صلاح الدين ، بأن يساقوا الى دمشق  
 حيث احتيط على الامراء ، ويمنح عامة الفرسان والجنود الصليبيين فى الاسواق بأثمان  
 زهيدة .  
 (٢) ودخل القاضى ابن عسرون دمشق وصدىب الصليبيون منكسرين يد يده ،  
 وعاد السلطان الى طبرية .  
 (٣)

أما ريموند الثالث أمير طرابلس ، فانه لما نجا من المعركة - كما سبق  
 أن ذكرنا - وصل الى صور ، ثم قصد طرابلس ، ولم يلبث الا أياما قليلة ، حيث  
 مات بها غيضا وحققا مما جرى على الصليبيين خاصة وعلى دين النصرانية عامة .  
 (٤)

والواقع أن هذا الانتصار الحاسم الذى حققه صلاح الدين فى حطين ،

راجع الى ما بذله من جهود فى الاعداد لها . حيث خاض تلك المعركة فى  
 جيش قوى ، ومهارة حربية منقطعة النظير ، فضلا عن اختياره لكان المعركة  
 وزمن وقوعها ، حيث عسكر بجيشه على طبرية حائلا بين المدد وبين الماء ،

(١) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٨٦ ، جيش  
 مصر ، ص ٦٢ .

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ٨٢ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ١٩٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ، والقاضى عسرون  
 هو القاضى ابو سعد عبد الله بن ابي السرى محمد بن هبة الله بن على بن  
 ابي عسرون النقيش الشامى الملقب شرف الدين ، تولى القضاء بسنجار  
 ونصيبين وطرق وغيرها من ديار بكر ثم وفد الى دمشق فى سنة ٥٧٠ هـ . فتولى  
 القضاء بها ، وتوفى سنة ٥٨٥ هـ ( أنظر ابن خلكان وفيات الاعيان ، ج ٣ ص  
 ٥٣ - ٥٥ ) .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

كما أعلن جهاده في شهر يولييه الذي يعد أشد شهور السنة حرارة ، وأقلها ماء في الصحاريج والندران ، حتى أصبح العطش من أقوى الأسلحة بين يديه .  
(١)

وهكذا غدت ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام غداة موقعة حطين تحت رحمة صلاح الدين ، فصرع يفتح البلاد والمدن الواحدة تلو الأخرى . ولكي يصفى الوجود الصليبي من طبرية عاد إليها من حطين مباشرة ، وراسل زوجة ريموند الثالث ، فأجبت إلى التسليم فأمنها هي ومن معها ، وندب إليها من تسلم منها الحصن بما فيه ، وخرجت بمالها ورجالها ونساءها إلى طرابلس بلد زوجها .  
(٢)

وولى صلاح الدين على طبرية قايماز النجفي .

ويبدو أن الصليبيين عقب تلك المعركة ظنوا أن صلاح الدين سيتجه إلى مطالعة الاستيلاء على بيت المقدس ، فلجأ من المعركة إلى هناك . إلا أن صلاح الدين خيب ظنهم فبدلاً من أن يتجه إلى بيت المقدس ليستول عليه استيلاء آمنًا سهلاً إذ به يتجه صوب عكا أولاً . وهذا التصرف وبلا شك يعد مظهرًا من مظاهر عمق رؤية صلاح الدين الحربية ويعد نظره ، إذ اختار أن يبدأ أولاً بالاستيلاء على المدن الصليبية الساحلية ليحرم الصليبيين من قواعدهم البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي ، وبخاصة الغرب الأوربي فيمسون محصورين داخل بلاد الشام .

- 
- (١) نذير حسان سعداوى ، التاريخ الحربي المصري ، ص ١٨٥ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٨ ، العماد ، الفتح ، ص ٨٥ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٧ . Cit . Lane-Poole, on. P. 218.

ويحد ذلك تتساقط في يده المحافل والحدن الصليبية في الداخل • هذا فضلا  
عن أن استيلاء صلاح الدين على ذلك الشريط الساحلي سيمكنه من تحقيق  
الاتصال البحري السريع بين شطري دولته في مصر والشام • (١)  
اشتهرت به مدن الساحل الشامي من خيرات بسبب نشاط التجارة بها • ولعل  
دما يؤيد ذلك ما ذكره ابن شداد وابوشامة من أن صلاح الدين بدأ بدينة عكا  
لأنها « كانت فطنة التجار » • فضلا عن أن ذلك سوف يؤشر على ما يبدو -  
على نفسيات الصليبيين داخل بيت المقدس • بالقطاع ألهم في وصول الامدادات  
اليهم • فيجمل مقاومتهم بسيطة •

اتجه صلاح الدين بعد ثلاثة أيام من اقامته في طبرية صوب المدن  
الساحلية • وبدأ بدينة عكا فوصلها يوم الاربعاء نهاية شهر ربيع الآخر ٥٨٣هـ /  
يوليه ١١٨٧م • بالقرب منها وراء التل • ونصب عليها المنجنيقات •  
وضيق عليها • ولما طلع فجر يوم الخميس استهل جمادى الاولى ركب في عسكره  
ووقف بازاء التل • صمما على الزحف والقتال • وبينما هو يرتاد موضعا للهجوم •  
اذ خرج اليه كثير من أهلها يتضرعون ويدعون الأمان • فأمهم على أنفسهم  
وأوالهم • وخبرهم بين الإقامة والرحيل • فأخاروا الرحيل • ودخل صلاح الدين

- 
- (١) سعيد عسوة الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٣١ • الايوبيون والمماليك •  
ص ٦٥ - ٦٦ • نظير حسان سعادوى • التاريخ الحربى المصرى • ص  
• ١٨٧  
(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧٩ • ابو شامة • كتاب الروضتين •  
ج ٢ • ص ٨٦ •  
(٣) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧٩ - ٨٠ •

بجيشه المدينة ، واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر ، واطلق سراح  
 من كان بها من أسرى المسلمين ، الذين يقال أن عدد هم بلغ أربعة آلاف نفس<sup>(١)</sup>  
 ورتب في كنيستها المظامى منبرا ، وأقيمت فيه صلاة الجمعة ، وأقطع عكا لأبيه  
 الأفضل على ، وأعطى ما للدواوين من أقطاع وضياع للفقهاء ضياء الدين عيسى  
 الهكاري .<sup>(٢)</sup>

وأثناء مقام صلاح الدين بمكا فرق عساكره لفتح الحائل والمدن الساحلية  
 القريبة من عكا ، فاستولوا على الناصرة وقيساريه وهيفا وصفورية والشيخوخة وغيرها  
 من البلاد المجاورة لمكا كما سير أيضا ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ،  
 فنزل على تبتين ليقطع الميرة عنها وعن صور ، وابن أخته حسام الدين بن لاجين  
 الى نابلس ، فأتى حسام سبسطيه - وفيها قبر زكريا عليه السلام ، فأخذها من  
 أيدي الصليبيين ، ثم واصل سيره الى نابلس فدخلها وحاصر قلعتها واستدراج

---

(١) العماد ، الفتح ، ص ٨٩ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٦ ،  
 سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ،  
 ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ابن تينجريد ، النجوم  
 الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ ، ابن المبروك ، تاريخ مختصر الدول ،  
 Lane-Poole, op cit. P. 219.

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٤ ، وضياء الله عيسى الهكاري هو  
 الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف  
 ابن القاسم . ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كان  
 أحد الأمراء الصلاحية اتصل بالدين شيركوه ثم بابن أخيه صلاح الدين  
 وخدمهما خدمة جليلة ، توفي سنة ٥٨٥ هـ / ( أنظر ابن خلكان ، وفیات  
 الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ ) .



(١)  
من بها بالأمان ، وتسلم القلعة . كما قام الملك النادل في الوقت نفسه بمهاجمة  
الحدن الساحلية في الجنوب ، فاستولى على حصن مجدل يابا ، ثم اتجه الى يافا  
(٢)  
وفتحها بعد حصار شديد .

وجه صلاح الدين هم بعد ذلك الى الاستيلاء على المماقل والمدن  
الساحلية في الشمال ، فبدأ بتعين التي كانت على حصانة كبيرة ، بدليل أن  
تقى الدين ابن أخى صلاح الدين الذي كان قد سبقه اليها ، رأى أن حصرها  
لا يتم الا بوصول عمه صلاح الدين اليه ، فأرسل يحمله الحال ، ويحثه على الوصول  
اليه . فسار صلاح الدين اليها في ثامن جمادى الأولى ونزل عليها في حصادى  
عشر سنة ٥٨٣هـ / يولييه ١١٨٧م ، وضايقتها بالزحف والخنق . فاما ضاق  
الأمر على من بداخلها من الصليبيين ، وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان ،  
واستمهلوه خمسة أيام لينزلوا بأموالهم ، فأهلهم بعد أن أخذ رهائن من  
مقدميهم ، كما تقرروا اليه باطلاق الاسارى من المسلمين . فلما أغل الصليبيون  
البلد تسامح صلاح الدين ، ووفى لهم وسيرهم الى ما منهم . (٣)

ولما فرغ صلاح الدين من تعيين سار الى صيدا ، واجتاز في طريقه  
بصرفند ، فاستسلمت بدون قتال وواصل سيره الى صيدا ، التي ما أن فتحها

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١  
ص ٥٤٠ ، ابن واصل ، مفق الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن المديم ، زبدة  
الجلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن تشرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين  
ج ٢ ، ص ٧٨ ، سبطا بن الجوزى ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٥٩٣ ، القبري ، السلوك ،  
ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ومجدل يابا ومجدل ليابه قرية قرب الرملة فيها حصن  
محكم ( أنظر يا قوت معجم البلدان ) .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٢ ، ابن واصل ، مفق الكروب ، ج ٢ ،  
ص ١٠٥ - ١٠٦ ، القبري ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ابن تشرى بردى ،  
النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ابن المديم ، زبدة الجلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ .  
(٤) صرفند قرية من قرى صور على ساحل البحر المتوسط ( أنظر يا قوت معجم البلدان ) .

بحسبيرة اليها حتى هرب منها ، وتركها بدون مدافع ، وجاءت رسلة بفاتحيتها  
الى صلاح الدين ، فتسلمها في الحادى والعشرين من جمادى الأولى  
٥٨٣هـ / أواخر يولييه ١١٨٧م . ثم سار صلاح الدين حتى أتى بيروت ، التى  
وصفها ابن الاثير بأنها من أحسن مدن الساحل وأنزهها وأطيبها ، ووجد  
أهلها قد صعدوا على أسوارها . فبدأ هجومه عليها يوم الخميس الثانى والعشرين  
من جمادى الأولى ، وضائقها بالزحف والقتال ، فقاومه من بها من الصليبيين  
مدة ، ثم طلبوا منه الآمان ، فأمنهم ، وتسلمها منهم يوم الخميس التاسع  
والعشرين من الشهر نفسه ٥٨٣هـ / أوائل أغسطس ١١٨٧م .

ولا شك أن المسلك الممتدل الذى سلكه صلاح الدين تجاه الصليبيين ،  
والقائم على اعطائهم الآمان متى طلبوه ، ساعده على الاستيلاء على كثير من  
المدن والموانئ الصليبيين الساحلية والداخلية . كما أدى ذلك إلى  
احتفاظ تلك الموانئ الساحلية بعناصرها النشطة فى الميدان التجارى ، مثل  
الهندقة والجنوبه والبيازنة وغيرهم ، مما أدى الى استمرار رواج الحياة الاقتصادية  
فى بلاد الشام . يخالف الى ذلك أنه لا يستبعد أيضا أن يكون صلاح الدين

- (١) العماد الفتح ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٠٦ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٢ .
- (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، العماد الفتح ، ص ١٠٤ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

Lane-Poole, op. cit., P. 219

- (٤) أنظر سميح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٤ - ٨١٥ .

بما عرف عنه من مهارة في ميادين القتال . الا أنه في الوقت الذي يعمل فيه  
 جاهدًا للسيطرة على هذه المدن والموانئ الساحلية ، قد وضع في اعتباره  
 تجنب انبعاث جيشه وادخار قواه لاسترجاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين .  
 ولعل ما يؤيد ذلك ما فعله صلاح الدين ، عندما اتجه بعد ذلك نحو  
 جبيل ، وتقدم اليه صاحبها الذي كان من جملة الأسرى في معركة حطين ،  
 يعرض عليه استعداده لتسليم جبيل مقابل إطلاق سراحه . فرأى صلاح الدين  
 أن ذلك سيربحه من غناء القتال ، فاستحسنه من دمشق مقيداً ، فأمر بحامية  
 جبيل بالتسليم ، فوافق من بداخلها من الصليبيين على ذلك ، واستولى صلاح  
 الدين عليها بدون قتال .  
 (١)

ولما فرغ صلاح الدين الاستيلاء على بيروت وجبيل وغيرها ، اتجه نحو  
 مدينة صور ، ففرض عليها حصاراً شديداً ، الا أنه رأى أن أمرها غداً صعباً لما  
 تتمتع به من حصانة ، ففصل الاتجاه نحو مدن الجنوب ، واختار أن يبدأ بمدينة  
 عسقلان ، ذلك المركز الهام الذي طالما اتخذ الصليبيون قاعدة لتهديد مصر من  
 ناحية ، وقطع طرق المواصلات بينها وبين الشام من ناحية أخرى . فسار بمسكوه  
 نحو عسقلان ، واجتمع بأخيه المادل ، الذي خرج من مصر على رأس عسكرهما .

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٣ ، المماد ، الفتح ، ص ١٠٨ ،  
 أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٠ .  
 (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٥ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية  
 ص ٨٠ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن أبي عمير  
 الدواداري ، اندر المطلوب ، ص ٥٤ ، سميح عاشور ، الحركة الصليبية ،  
 ج ٢ ، ص ١١٧ .

وتنازلها يوم الاحد الموافق السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ / أو آخر  
(١) أغسطس ١٨٧٠ م . وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة وبيننا وغيرها .

وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد أن يدخر قوته لاسترداد بيت المقدس ، فضلا  
عما ذكر من أنه أدرك أن عسقلان ربما اصبته بسبب قوة حصانتها واصرارها ميتتها  
الصليبية على المقاومة . فلما حضر الملك جاي لوزجنان وجبرار مقدم الداوية من  
(٣)

دمشق ، وقال لهما « ان سلمتا البلاد التي فلكما الأمان » فأرسلا الى من  
بمعسقلان من الصليبيين بأمرائهم بتسليم البلد ، الا أنهم لم يستجيبوا لأمرهما  
(٤)

وردوا عليهما ردا قبيحا . فلما رأى صلاح الدين ذلك شرع في نصب المنجنقات  
عليها ، وبدأ قتالها والتضييق عليها ، والملك جاي يكرر عليهم المراسلات  
يطلب منهم التسليم ، ويمدحهم أنه اذا أطلق أضرم البلاد نارا على المسلمين ،  
الا أنهم استمروا في مقاومة صلاح الدين ، حتى نفذت مقاومتهم ، فراسلوا  
صلاح الدين ، وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم وسلموا المدينة في نهاية جمادى  
(٥)

الآخرة ٥٨٣ هـ / أو أيلول سبتمبر ١٨٧٠ م .

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٥٤٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابو شامة ،  
كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩١ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، وبيننا بلدة قرب الرملة ( انظر  
ياقوت معجم البلدان ) .

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٧ - ٨١٨ .  
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ، الصمد ، الفتح ، ص ١١٢ - ١١٣ ، ابو شامة ،  
كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩١ ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ،  
ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٨ .

أما بالنسبة للملك جاي لوزجنان ، الذى خذله من بمسقلان — من الصليبيين ، بعد تسليمها للمسلمين مقابل اطلاق سراحه ، فيذكر أنه قد أرسل الى نابلس . وفى الوقت نفسه ، وافق صلاح الدين على ارسال رسالة الى زوجته سيبيل التى كانت تقيم فى بيت المقدس ، لدعوتهما للحضور الى نابلس للقاء مع زوجها . وقد رجعت بتلك الدعوة ، وأسرت الى نابلس لتقيم السى (١) جانب زوجها الاسير جاي لوزجنان . أما جيران مقدّم الدالوية ، فيبدو أن صلاح الدين قد أطلق سراحه نظير أداؤه له من مئة لا سيما حته حامية غزة — على (٢) التسليم .

وخلاصة القول أن صلاح الدين بانتصاره الحاسم على الصليبيين فى معركة حطين وسيطرته التامة على مدن وموانئ الساحل الشامى ، ذلك الانتصار الذى ذهب ضحيته معظم قادة الصليبيين وزهرة فرسانهم ، فضلا عما تكبدوه خلال ذلك من خسائر مادية جسيمة ، لم يبق أمامه داخل مملكة بيت المقدس ، سوى بيت المقدس نفسه ، الذى بات من بداخله من الصليبيين فى عزلة تامة عن الغرب الأوروبى والامارات الصليبية الأخرى ببلاد الشام . وأصبح الطريق ممهدا وسهلا أمام صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين .

(١) أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٩ ، Lane-Poole, op. Cit P. 223.

(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٧ — ٨٨ ، سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٨ .

## الفصل الرابع

- حصار واسترداد بيت المقدس .
- أحوال مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين .
- استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس .
- خطة صلاح الدين العسكرية واستلام بيت المقدس .
- تأجيل صلاح الدين في معاملته لأمر الصليبيين .
- إرسال البشار والوفود إلى أنحاء العالم الإسلامي .
- إصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس .

## الفصل الرابع

### حصار واسترداد بيت المقدس

#### أحوال مملكة بيت المقدس بعد حطين :

اتجه صلاح الدين فور انتصاره في معركة حطين الى مدن الساحل الشامي ، فبدأ بالاستيلاء على عكا وما حولها من المماقل والقلاع التي كانت تمثل حلقة الاتصال بين الشرق والغرب بالنسبة للصليبيين في ذلك الحين . ثم اتجه بعد ذلك شمالا وجنوبا فاستولى على أهم المدن والمماقل الصليبية هناك ، مثل بيروت وصيدا وجبيل وعسقلان وغيرها . وبذلك يمكن القول بأن صلاح الدين باستيلائه على الشريط الساحلي الممتد من بيروت شمالا الى غزة جنوبا قد حكم على مملكة بيت المقدس بالمزلة الثامنة ، فلم يمد بإمكان من بداخلها من الصليبيين الحصول على أية معونة من وطنهم الأم أي الغرب الأوربي . أما بالنسبة لمارتي طرابلس وانطاكية فلم يمد في مقدورهما - عقب استيلاء صلاح الدين على بيروت وصيدا وجبيل وغيرها - مد يد المساعدة الى مملكة بيت المقدس ، التي أحاطت بها القوات الاسلامية من كل جانب ، وبات استردادها مسألة وقت يختاره السلطان المنتصر صلاح الدين .

(١) أنظر ما سبق ، ص

وكان من نتائج معركة حطين ، قتل وأسر معظم القادة الصليبيين ففى بلاد الشام ، وزهرة فرسانهم • ولاشك أن تلك الهزيمة الممنوية التى حلت بالصليبيين فى معركة حطين يفقد قادتهم ، فضلا عن ذلك نقص الملموس فى فرسانهم ، كان لها الأثر البالغ على مستقبل مملكة بيت المقدس • فقد أصبحت المملكة الصليبية فى أشد الحاجة الى زعماء أقوياء يعملون على إعادة تنظيم شتات جمعهم التى تجمعت داخل تلك المملكة • هذا بالإضافة الى حاجة مملكة بيت المقدس فى الدفاع عنها الى الفرسان الذين كانوا يمثلون عماد الممارك فى ذلك العصر •

يضاف الى ذلك أن انتصار صلاح الدين فى معركة حطين ، ثم استيلائه على مدن الساحل الشامى بعد ذلك ، قد كبد الصليبيين فى بلاد الشام خسائر مادية جسيمة فى المتاد والسلاح والقوى • خاصة اذا علمنا أن معظم عسكرهم عندما حلت بهم الهزيمة فى حطين ، ونتيجة لشدة الحرارة والمطر ، نزلوا عن خيولهم والقوا أنفسهم على الأرض فى يأس شديد وغنى المساكين (١) أسلحتهم ومتادهم • وانعكس أثر ذلك على الدفاع عن مملكة بيت المقدس ، إذ لم يعد فى مقدور تلك البيوش الصليبية الحصول على شئ من المتاد والعتاد بأى حال من الأحوال بعد اغلاق الساحل الشامى فى وجوههم • وذكر ابو شامة وابن خلكان أن الصليبيين الذين تجمعوا داخل مملكة بيت المقدس قاموا بعمل بعض التحصينات ، وأقاموا وسائل الدفاع عن بيت المقدس ، حيث



نصبوا المنجنيقات والستائر ، وحفروا في الخندق حفرا عميقة لا عاقبة للمسلمين عن اجتيازه ، كما أقاموا الابراج العالية الاركان ، وفرقوا المساكير عليها .  
(١)

والواقع أن تلك التحصينات التي أقامها الصليبيون حول بيت المقدس بعد هزيمتهم في حطين ، لا تصل بأى حال من الأحوال الى المستوى الذي يمكنها من صد القوات الاسلامية في ذلك الحين ، تلك القوات التي كانت تتمتع بقدر وافر من التنظيم والمؤن والاسلحة والمتاد ، فضلا عن تمتعها بروح معنوية عالية ، وقيادة حكيمة مكنتها من الاستيلاء على ذلك الشريط الساحلى الذى كان يسيطر عليه الصليبيون في بلاد الشام في مدة لا تزيد عن الشهرين . واستطاع على المملكة الصليبية في بيت المقدس وصول أى امداد لها سواء من المغرب الأوربي أو من الامارات الصليبية داخل بلاد الشام . أما صلاح الدين فقد ضمن خطوط تموين أمينة من كافة نواحي دولته ، خاصة بعد استيلائه على مدن الساحل الجنوبي للشام مثل عسقلان و غزة وغيرهما ، وتمكن أيضا من ضمان وصول الامدادات اليه من مصر . واستطاع صلاح الدين حرمان ملكة بيت المقدس من الحصول على شىء من المساعدات عن طريق حصنى الكرك والشوبك اللذين كانا حتى ذلك الوقت في أيدي الصليبيين .  
(٢)

- (١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .  
(٢) أنظر Lane-Poole, op. Cit. P. 212 .  
(٣) لم يتم استيلاء صلاح الدين على حصنى الكرك والهيك ، الا بعد استرداد بيت المقدس وذلك في رمضان من سنة ٥٨٤ هـ ( أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٠ - ٢١ ، ابن واصل ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٧ - ٢٢٨ .

والى جانب ذلك فان صلاح الدين باستيلائه على مدن الساحل الشامى ، وخاصة مدينة عكا ، التى كانت فى ذلك الحين تعد مينا<sup>١</sup> هاما على البحر المتوسط ، قد فرض حملا راقتصاديا على الصليبيين داخل مملكة بيت المقدس . ولم يعد باستطاعتهم الحصول على الاقوات الكافية لهم عن طريق تلك المدن الساحلية من اخوانهم المسيحيين فى الغرب الأوربى أولئك الذين كانوا يعدونهم بالاقوات والمواد الضرورية أما بقايا المراكز الصليبية فى بلاد الشام وهى انطاكية وطرابلس وصور ، فضلا عن حصنى الكرك والعمك ، فلم يعد بإمكانها امداد مملكة بيت المقدس بأية امدادات<sup>٢</sup> واقوات<sup>٣</sup> عتاد ، بل يعدوا أن هذه الامارات والقلاع الصليبية قد أخذت تعمل على زيادة تحصيناتها تحسبا لتمردها<sup>٤</sup> لنفس المصير الذى تعرضت له بقية مدن وموانئ الساحل الشامى . كما لا يستبعد أن يكون حكام هذه الامارات والحصون الصليبية ، حرصوا على عدم اثاره صلاح الدين خوفا من هجومه عليها .

ولم يقتصر ذلك التدهور الذى حل بمملكة بيت المقدس على الناحية الاقتصادية بل تعدى ذلك الى الناحية النفسية للصليبيين وأحوالهم الاجتماعية ، إذ لا شك أن تلك الكارثة التى حلت بالجيش الصليبي فى معركة حطين ، والسبب فى هزيمتها معظم ذلك الجيش بين قتيل وأسير ، فكان — كما يقول المؤرخ ابن الأثير — من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحدا<sup>(١)</sup> . كان لها الأثر البالغ على الأسر الصليبية التى لجأت

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ ، أنظر أيضا ، المعاد ، الفتح

الى مملكة بيت المقدس بعد أن فقدت من كان يمولها ، الأمر الذى أوجد  
 طائفة مشردة من النساء والاطفال داخل بيت القدس ، تعاني حياة اجتماعية  
 شاقة ، سببت كثيرا من المشاكل للصليبيين فى ذلك الوقت •

### استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس •

ولجأت اعداد كبيرة من فلول الصليبيين بعد هزيمتهم فى معركة حطين ،  
 ومن ثم تداعى معظم مدن مملكة بيت المقدس فى يد صلاح الدين الى بيوت  
 المقدس • ويبدو أن الصليبيين ظنوا أن لجوءهم الى بيت المقدس خير وسيلة  
 لنجاتهم ، وذلك لما تتمتع به هذه المدينة من قدسية فى قلوب المسلمين والمسيحيين  
 على السواء ، فضلا عما عهدوه من تسامح صلاح الدين واحترامه للمقدسات • وهنا  
 تذكر المصادر العربية أن عدد من تجمع من مقاتلى الصليبيين داخل بيت المقدس  
 فى ذلك الحين بلغ أكثر من ستين ألفا ، النساء والصبيان • ورغم أن البعض  
 قد اعتبر ذلك مبالغة تتعارض مع ما ذكرته المصادر الصليبية المماثلة من نقص  
 المحاربين فى المدينة ، وأنه ربما كان السبب فى تلك المبالغة هو الرغبة فى  
 إبراز قيمة العمل الذى قام به المسلمون بالاستيلاء على بيت المقدس • فأنه  
 (١)

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٤٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢١١ •

(٢) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٤ أ ، ابن شداد ، النوادر  
 السلطانية ، ص ٨١ ، الحاد ، الفتح ، ص ١٢٤ ، ابو شامة ، الروضتين

ج ٢ ص ٩٢ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٦ •

(٣) أنظر ، سميح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٢٠ •

تجدد الإشارة إلى أن أعدادا كبيرة من جنود الصليبيين قد عثرت بعد معركة  
 حطين ، كما أن صلاح الدين قد سلك مع الصليبيين ، أثناء استيلائه على  
 المدن والوحدات الساحلية ، مملكة كريما ، يقوم على إعطاء الصليبيين الأمان  
 متى طلبوه ، ومن ثم أعطاهم الحرية في اختيار المكان الذي يرغبون في  
 اللجوء إليه . وهذا ما حدث بالفعل في أكبر مدن الساحل ، مثل عكا وعسقلان  
 (١) وبيروت وغيرها . وذكر ابن الأثير وابن واصل أن معظم الصليبيين الذين كانوا  
 يقطنون تلك المدن فضلوا الاتجاه إلى بيت المقدس التي كانت خير ملاذ لهم في  
 (٢)  
 ذلك الوقت .

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الصليبيين الذين تجمعوا داخل بيت  
 المقدس في ذلك الوقت ، كانوا يرون أن الموت أيسر عليهم من أن يملك المسلمون  
 بيت المقدس ، فقاموا ببذل كل جهودهم لتحصينه ، وجمع الحشود توتما لمسير  
 صلاح الدين إليه ، فحصنوه في تلك الأيام بكل ما لديهم من إمكانيات ، ونصبوا  
 المتجنقات على السور ليمنعوه ممن يريد النزول عليه والدنو منه ، ثم صمدوا  
 على سورهم بحديدهم وحديدهم مجممين على حفظه ، والدفاع عنه ، فهم يعتقدون

---

(١) أنظر ما سبق ، ص

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ ، وابن واصل ، مفتح  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، أنظر الباز المرنفي ، المشرق  
 الأدنى في المصور الوسطى ، ص ٩٤ .

( ١ )

أن يذل النفس والاموال والاولاد بعض ما يجب عليهم في حفظه والذب عنه .

وكان صلاح الدين قد استقبل أمام صقلان ، عقب استيلائه عليها ففى  
نهاية جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ / سبتمبر ١١٨٧ م ، وفد من أهل بيـــــت  
المقدس ، ففرض عليهم تسليم بيت المقدس بالشروط التى استسلمت بقية المدن  
الصليبية ، أى مقابل تأمينهم على أرواحهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم ، ويسمح  
للمن يشاء منهم بالخروج من المدينة سالماً . ولا شك أن صلاح الدين بما عرف عنه  
من عدونه وخلقه كان قلقاً بشأن القيام بحصار تلك المدينة المقدسة ، واستخدام  
الصف ضد ها لما لها من حرمة عند المسلمين والمسيحيين على السواء . على  
الرغم من ذلك العرض الذى تميز بالشهامة العالية من صلاح الدين ، فسان  
وفد بيت المقدس رفضاً بلا تردد ذلك العرض وقالوا : انه من أجل الله لــــن  
يساموا المدينة حيث مات المخلص من أجلهم . ولذا وعدهم صلاح الدين  
بالاستيلاء على المدينة عنوه ، وأضاع الصليبيون فرصة نادرة لهم .  
( ٢ )

ولم تلبث تلك الحشود الصليبية التى تجمعت داخل بيت المقدس ، أن  
استقبلت أحد كبار القادة الصليبيين الذين فروا من معركة حطين ، ذلك هو  
باليان دي ابلين ( ) الذى أرسل الى صلاح

( ١ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٧ ، العهد ، الفتح ، ص ١١٩ هـ  
ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

( ٢ ) حميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩١٩ هـ .

( ٣ ) Lane-Poole, op. Cit. P. 225.

الدين عقب انتصار المسلمين في حطين يدالب منه أن يمنحه الآمان للوصول الى بيت المقدس ليحضر زوجه وأولاده الى صور . وفي الحال سمح له صلاح الدين بذلك ، بعد أن اشترط عليه ألا يبقى بالمدينة سوى ليلة واحدة ، وألا يرفع سلاحه في مواجهة المسلمين . ووافق باليان على ذلك الشرط واتجه الى بيت المقدس ، وما أن دخله حتى قوبل بترحاب كبير من الصليبيين ، حيث لم يكن هناك أي فارس في مرتبته . وسعى من بداخل بيت المقدس من الصليبيين الى اقتناعه بالبقاء في المدينة وتولى قيادتهم . وعبثا حاول الاعتذار عن البقاء ، وأخبرهم بأنه أقسم لصالح الدين ، وأنه لا يمكنه البقاء في بيت المقدس . ولكن البطاريرك هرقل أقنعه بعدم الوفاء لصالح الدين ، وأنه أن ترك بيت المقدس من على هذه الطل ، ذهب بعيد ، فانه سيكون محترقا بين الصليبيين . أما صلاح الدين ، فقد قابل تلك الخيانة من باليان بشهامة طالية ، فلم يستغف صبره ، بل سمح لباليان - الذي بحث اليه يخبره أنه كان مجبرا على عدم الوفاء بوعده - بنقل زوجه وأولاده الى طرابلس ، وأرسل اليه حامية من خمسين فرسا تحمّل حاجياته .<sup>(٢)</sup>

وعلى كل فان باليان دى ابلين قد بقى داخل بيت المقدس لمساعدة غيره من الفرسان الذين فروا من معركة حطين وغيرها ، وكذلك البطاريرك هرقل الذي

Lane-Poole, op. Cit. P. 225. (١)

Lane-Poole, op. Cit. P. 226. (٢) أنظر أيضا ، ستيفن نسيان ،

تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

فتح له الخزائن وأرسل يستصرخ بملوك الافرنج ويذكرهم بأن الموت بيت المقدس  
(١)  
خير لهم من تسليمه للمسلمين .

أما بالنسبة للمؤمن والعتاد اللازمة للصليبيين في ذلك الوقت ، فإن  
سيطرة صلاح الدين على المنافذ الساحلية لبلاد الشام ، قد حرم أهلاً مملكة  
بيت المقدس في الداخل أى امداد خارجى . ولم يكن ما في بيت المقدس  
من المؤمنين والعتاد كافياً لمقاومتها مدة طويلة عند مسير صلاح الدين اليها ،  
لأن معظم ما كان بها من المؤمنين والعتاد قد استنفده الجيش الصليبي الذى  
خرج لملاقاة المسلمين في حطين . فضلاً عن أن صلاح الدين لم يكن يسمح  
لصليبيين بحمل شئ من السلاح والعتاد عند تسليم مدنهم مقابل تأمينهم  
والسماح لهم بالخروج منها . بدليل ما ذكره ابن الاثير من أن صلاح الدين  
عند ما طلب منه أهل عكا ويبروت الآمان أجابهم الى ذلك ، وأمنهم على أنفسهم  
(٢)  
وأموالهم . ومعنى هذا أن صلاح الدين كان يستثنى الاسلحة والعتاد عند  
اعطائهم الآمان .

#### خطة صلاح الدين العسكرية واستسلام بيت المقدس :

وتجلت مقدرة صلاح الدين الحربية في تلك الخطة العسكرية التى اتبعها

(١) المطاد ، الفتح ، ص ١١٢ ، ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص

١٩٣ ، ابن أيك الدوادارى ، الدرالمطلوب ، ص ٨٤ ،

(٢) أنظر ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٣ .

فى جهاده ضد الصليبيين لاسترداد بيت المقدس • وقامت تلك الخطة على  
تكوين ببهة اسلامية موحدة تضم مصر وبلاد الشام وأجزاء من المراق ، ثم منازلة  
الصليبيين فى عقرد ارضهم ، وانزال ضربة قوية بهم كما حدث فى معركة حطين •  
وتلاند لك مسيره الى مدن الساحل الشامى لاصحاب الصليبيين ماديا ومعنويا • ولو  
اتجه صلاح الدين عقب انتصاره فى حطين الى بيت المقدس لتمكن من دخوله  
بدون عناء • الا أن استيلاءه على بيت المقدس قبل السيطرة على مدن الساحل  
لن يضمن له الاستقرار التام فى بيت المقدس ، اذ كان من المتوقع قيام الغرب  
الأوروبى بإرسال الجيوش الصليبية الى موانئ الشام ، ومجى فرسانه زرافات  
ووحدا • والدخول مع صلاح الدين فى معارك حامية لاسترداد بيت المقدس  
الذى به كنيسة القيامة لاعتقد هم الباطل كما يقول الحماة الاصفاى أن « فيها  
صلب المسيح ، وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت ، وتأله الناسوت وقام الصليب » (١)  
وبفضل تلك الخطة العسكرية التى نفذها صلاح الدين بسيارته على الشريط  
الساحلى ، عزل بيت المقدس ومنع وصول الامدادات اليه • وقطع كل أمل  
للصليبيين سواء فى الغرب الأوروبى أو فى بلاد الشام فى الوصول الى بيت  
المقدس ، وانقاذه من جيوش المسلمين •

ولما استرد صلاح الدين من الصليبيين عسقلان وغيرها من البلاد  
المحاطة ببيت المقدس ، وضمن بذلك أحكام العزلة على ملكة بيت المقدس ، شمر

---

(١) الحماة ، الفتى ، ص ١١٩ ، أنظر أيضا ، ابن واصل ، مفرج الكروب  
ج ٢ ، ص ٢١٢ •



عن ساق الجد والاجتهاد وعزم على قصد بيت المقدس • فأصدر أوامره واجتمعت  
(١)

عليه جميع المساکر الإسلامية التي كانت متفرقة في الساحل • وكانت تلك الحشود  
المسکرية الإسلامية قد شاركت صلاح الدين في معركة حطين • واستغل صلاح  
الدين تواجد ها في الشام قبل عودتها الى اقطاعاتها في السيادة على مسد ن  
وموانئ الساحل • وحرص صلاح الدين على أن يسبق مسيرة الى بيت المقدس  
هالة اعلامية الى كافة أطراف العالم الاسلامي بقصد استنفار المسلمين للجهاد  
الأمر الذي ثارت معه عزائم المسلمين بالمزم على الجهاد والاشتراك في تطهير  
تلك المبهمة المقدسة أولى القبليتين وثالث الصوريين والشريفيين ومصرى محمد صلى  
الله عليه وسلم • وذكر ابو شامة وابن كثير أن المسلمين ما أن بلغهم ما من الله  
به على صلاح الدين من فتوح الساحل الشامي • • ومن ثم قصد السير الى  
بيت المقدس • حتى توافدوا عليه من كل مكان يتقدمهم العلماء والفقهاء الذين  
(٢)  
قدما للتطوع في الجهاد لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام •

ومن ناحية أخرى فقد استدعى صلاح الدين القوات المصرية أثناء قيامه  
بالاستيلاء على الساحل لمساعدته في الاستيلاء على المدن والقلاع الجنوبية

- 
- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨١ • ابو شامة • كتاب الروضتين •  
ج ٢ • ص ٩٢ • ابن خلكان • وفيات الاعيان • ج ١٢ • ص ١٢٨ • ابن  
تخري بردى • النجوم الزاهرة • ج ٦ • ص ٣٦ • أنظر أيضا المصادر  
التفصيلية • ص ١١٦ •  
(٢) ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ابن كثير • البداية والنهاية • ج ١٢ •  
ص ٣٢٢ •

(١)

واجتمع بابنه الملك العزيز عثمان في عسقلان فقررت به عينه واعتهد بعضهم •  
 ويبدو أن صلاح الدين على الرغم من سيئ حالته التامة على مدن وموانئ الساحل  
 الخاص كان يتخوف من هجوم صليبي من الغرب • أثناء تقدمه إلى بيت المقدس  
 لذلك أمر الاساطيل الاسلامية المنصورة بالسير للمشاركة في الجهاد • فسارت  
 اليه من مصر يتقدمها الحاجب لؤلؤ • وأخذت تجوب البحر وتقطع الطريق على  
 سفن الصليبيين ومراكبهم • في الوقت الذي كانت فيه الامدادات تصل من مصر  
 إلى الشام برا وبحرا بكل سهولة • (٢)

وعندما علم صلاح الدين بأن مدينة بيت المقدس • قد أخذت تسيطر  
 وافرا من التحصين • لما يتمتع به من مكانة عظيمة في نفوس الصليبيين • حرص  
 على احضار أدوات الحصار الكافية لاقتحام أسوارها ذات الابراج العالية • (٣)  
 فأحضر معه المنجنقات والبرادات والنفاطات والقطاعات وعدد النقوب  
 وغيرها من الادوات اللازمة لذلك الاسوار ونقبها ثم حشو تلك النقوب بالحطب  
 والنفط واشمال النيران فيها • لفتح شغرات في الاسوار يمكن من خلالها  
 اقتحام الاسوار ودخول المدينة • (٤)

(١) العماد • الفتح • ص ١١٤ • ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩٢ •

Lane-Poole, op Cit P. 226.

(٢) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٦ • ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ •

ص ٩٢ •  
 (٣) ابن خلكان • وفيات الاعيان • ج ٧ • ص ١٨٤ •

(٤) العماد • الفتح • ص ٢٤٤ • ابن ايوب • الدوا داري • الد والمطلوب •

ص ٨٥ •

محمد أن جمع صلاح الدين تلك الحشود الاسلامية التي لبث النصارى  
للجهاد معه لاسترداد بيت المقدس ، وأحضر أدوات الحصار اللازمة ، فكرفى  
خطة لحصار بيت المقدس ، تقوم على أساس اختيار المكان والزمان الملائمين  
لذلك . ففى البداية اتخذ صلاح الدين موضعه فى الجانب الغربى فى مواجهة  
الاسوار من بوابة داود الى بوابة القديس ستيفن وذلك فى ١٥ رجب ٥٨٣هـ /  
٢٠ سبتمبر ١١٨٧م . ولا حظ أن هذه الجهة كانت على قدر كبير من الحصانة  
وأن الجيوش الصليبية قد تجمعت فيها بأعداد ضخمة . وأدرك أيضا أن اختيار  
الهجوم من تلك الجهة شاق للغاية لوجود الابراج الكبيرة . وأورد ابن فضل  
الله العمري فى مسالك الابصار وصفا لهذا الجانب من المدينة نقلا عن أحد  
رسائل القاضي الفاضل حيث يقول " وأتينا المدينة من جانب فاذا هو أودية  
عميقة ، ولحج وعرة غيقة ، وسور قد انعطفت عطف السوار ، وأبرجه قد نزلت  
مكان الواسطة من عقر الدار " . هذا بالإضافة الى أن صلاح الدين وجد أن  
الشمس كانت فى ذلك الحين فى أعين المسلمين ، الأمر الذى لا يستطيعون  
معه مواصلة القتال حتى يحد الظهر بسبب تعرضهم لاشعتها .

لذلك أمر صلاح الدين جيشه للتراجع وسحب آلات الحصار ، وبدأ  
من جديد يستكشف الجوانب الأخرى للمدينة ، ليختار جهة أخرى صالحة

( ١ ) Lane-Poole, op. Cit. P. 226

( ٢ ) العمري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٢٩٦ .

( ٣ ) Lane-Poole, op. Cit. P. 226

للمهجوم • وهنا تذكر المصادر الاسلامية ، أن صلاح الدين نقل جيشه فـسـى  
٢٠ رجب ٥٨٣ هـ / ٢٥ سبتمبر ١١٨٧ م الى الجهة الشمالية نحو باب عمود وكنيسة  
صهيون لا تساع تلك المنطقة وتمكنه من كشف الاسوار ، والدنو منها لنقيها •  
(١)

ولم يبق أمام صلاح الدين الا أن يبدأ هجومه الكاسح على بيت المقدس  
وقد ساعده على ذلك ما ذكر من أن الصليبيين عندما شاهدوا انتقال صلاح  
الدين من الجانب الغربى الى الجانب الشمالى من المدينة ، ظنوا أنه رفع  
الحصار عن بيت المقدس ، وأسرعوا الى الكنائس ليصبروا عن شك رهم والفرحة  
والبهجة تملأهم ولم تلبث تلك الفرحة أن تحولت الى غويل وبكاء عندما شاهد  
الصليبيون المسلمين وقد أخذوا مراكزهم أمام الاسوار لضربها بالمنجنيقات •  
(٢)

وقامت خطة صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس على أساس قيام المنجنيقات  
الاسلامية بضرب الاسوار ، وفى الوقت نفسه تتقدم فرق من الجيوش الاسلامية  
للمضايقة بالزحف والقتال ، تحميمهم سهام الرماة والحجارة والنيران الاغريقية •  
وكانت جيوش صلاح الدين الزاحفة تنضم بين صفوفها فرقاً من النصارى الذين  
أوكل اليهم صلاح الدين مهمة نقب الاسوار وتعليقها أو حشوها واشعال النيران

(١) الحنبلى ، شفاة القلوب ، ورقة ٣٥ ، ابن سميذ ، الروض المصنوب ، ٢  
ورقة ٣١ ب - ٣٢ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٩ ،  
ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٧ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٩٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، ابن  
خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٨٤ •

فيها لمساعدة المنجنيقات في هدمها وفتح الثغرات فيها لكي تتمكن الجيوش  
(١)  
الاسلامية من اقتحامها والسيطرة على المدينة •

أخذت جيوش المسلمين مراكزها في الجهة الشمالية من بيت المقدس •  
حيث نصبت المنجنيقات وغيرها من أدوات الحصار • وبدأ صلاح الدين هجومه  
على المدينة • وفي المقابل كان خيالة الصليبيين يخرجون الى ظاهر البلد  
فيقاتلون ويأرزون • فحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد • فازالوا الصليبيين  
عن أماكنهم وأرغفهم على دخول البلد • وواصل المسلمون زحفهم حتى وصلوا  
الى الخندق فجاءوزوه والتصقوا بالاسوار • وشرعوا في نهبها • في وقت كان الرماة  
يدافعون سهاهم • والمنجنيقات توالى الرمي ليكشف المدوعن الأسوار •  
(٢)  
وظل النصابون في ظل تلك الحماية من الرماة والمنجنيقات والنيران الاغريقية  
يواصلون عملهم • وفي خلال يومين كان هناك ثلاثون أو أربعون موضعا قد نقت  
(٣)  
في الاسوار • وكان المسلمون يقومون بحشو تلك النقوب بالأخشاب لاشمال  
(٤)  
النيران داخلها •

- 
- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨١ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
ج ٢ • ص ٢١٢ •  
(٢) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢١٣ • ابن شداد • النوادر  
السلطانية • ص ٨١ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٧ - ٥٤٨ •  
(٣) Lane-Poole. op. Cit. P. 227.  
(٤) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٨ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
ج ٢ • ص ٢١٣ •

وفى الوقت الذى اشتد فيه هجوم صلاح الدين على بيت المقدس ، كان هناك داخل المدينة بعض السكان اليونانيين يدعون بذهب الكنيسة البيزنطية ( المذهب الأرثوذكسى ) يتوقون الى الخلاص من الحكم اللاتينى الصليبي (١) ولا يمثلون أية مشكلة لصلاح الدين . ويبدو أن تلك الطاقة التى كانت تدبى بالمذهب الأرثوذكسى كانت على خلاف مبرر مع بقية الطوائف الكاثوليكية ، وأن ذلك الخلاف بلغ بالفريق الاول أن نادى بأنه يفضل الحكم الاسلامى على سيطرة الكاثوليك الغربيين . ويشير البعض الى تأمر هؤلاء الأرثوذكسى داخل بيت المقدس مع صلاح الدين ، وأن ثمة اهتالات سرية تمت بين الطرفين تعهد فيها (٢) الأرثوذكسى بفتح أبواب المدينة .

وعلى كل فان الصليبيين لما رأوا شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات فى الاسوار وتمكن النصارى من النقب ، وأنهم قد اشرفوا على الهلاك ، تراحم الناس فى الكنائس للصلاة والاعتراف بذنوبهم . وأخذوا يضربون أنفسهم بالحجارة ويرجون الددد والرحمة من الله . وقطعت النساء شعور بناتهن على (٣) أمل استشارة الرجال لحمايتهن من سبى المسلمين لهن . وأخيرا اتفق الصليبيون على ارسال الرسل يطلب الأمان مقابل تسليم المدينة لصلاح الدين . وامتنع

(١) Ehrenkreutz, Saladin. P. 204.

(٢) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٢٠ .

(٣) ابن واصل ، مغزى الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

صلاح الدين اجابتهم الى ذلك ، وقال « لا أفعل بكم الا كما فعلتم بأهلهم »  
(١)

حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها »

فلما أعاد صلاح الدين رسل الصليبيين خاطبين محرومين ، اجتمع الصليبيون

مرة أخرى داخل بيت المقدس ، وحاولوا القيام بهجمات مفاجئة ضد المسلمين .

ولكن البطرك هرقل اعترض على ذلك وأوضح لهم أنهم لو فعلوا ذلك فانهبهم

سيسوقون نساءهم وأطفالهم الى المبودية ، وحرصهم على طلب الأمان من

صلاح الدين . فأرسل باليان دى ايلين الى صلاح الدين طالبا الأمان لنفسه ،  
(٢)

ليحضر عنده للتفاوض ، فأجابه صلاح الدين الى ذلك . وحضر باليان عنده

وسأله الأمان للصليبيين ، فأصر صلاح الدين على فتح المدينة بالسيف ، فلما

يئس باليان من ذلك أراد — أن يستثير عطف صلاح الدين بالتهديد بقتل

النساء والأطفال وأسرى المسلمين ، حيث قال له « أيها السلطان ، اعلم أننا

فى هذه المدينة خلق كثير لا يعلمه الا الله تعالى ، وانما يقترون عن القتال

رجاء الأمان فلنا منهم أنك تجيبهم اليه ، كما أجبت غيرهم ، وهم يكرهون

الموت ويرغبون فى الحياة ، فاذا رأينا لا بد منه فوالله لنقتل أبناءنا ونساءنا

ولنحرقن أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تشتمون منها دينارا واحدا ولا درهما ،

ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة . واذا فرغنا من ذلك أخرنا الصخرة

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨٤ ، انظر أيضا العماد ، الفتح ، ص

والمسجد الأقصى ، وغيرهما من المواضع ثم تقتل من عندنا من أسارى المسلمين  
وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعضاءه أو نظيره  
(١)  
كراما .

واستثنا رصلاح الدين أصحابه ، فأوضحوا له أن يكفي للبر بقسمه  
أن يستولى على بيت المقدس ويحصد السيوف وأن تستسلم المدينة بشروط كأنها  
سقطت بالقتال ، وفي هذه الحالة يختبر سكان المدينة أسرى حرب . فأجابهم  
صلاح الدين إلى الأمان مقابل تسليم بيت المقدس . ووافق على مفادرة الصليبيين  
المدينة مقابل فداء يدفعونه ، فجعل على الرجل عشرة دنائير يستوى في ذلك  
الغنى والفقير وعلى المرأة خمسة دنائير . ويضيف كل من سبط ابن الجوزي  
والصمد الحنبلي أن صلاح الدين جعل على الصبي أربعة دنائير ، أما بالنسبة  
للطفل فقد اختلف فيما فرض عليه فذهب البعض إلى أن فدائه دينار واحد ،

(١) ابن الأثير ، ج ١١ ص ٥٤٨ - ٥٤٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص  
٢١٤ ، أنظر أيضا الصمد ، الفتح ، ص ١٢٦ ، أبو شامة ، كتاب  
الروضتين ، ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) Lane-Piloe, op Cit. P 229

(٣) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٣٥ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ،  
ص ٨١ - ٨٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٤٩ ، أبو شامة ،  
كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص  
٢١٤ ، سبط ابن الجوزي ، امرأة الزمان ، ج ٨ ق ١ ص ٣٩٢ ،  
المقرئى ، السلوك ، ج ١ ص ٩٦ .  
(٤) الصمد الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٣٥ ، سبط ابن الجوزي ، امرأة  
الزمان ، ج ٨ ق ١ ص ٣٩٢ .



(١) في حين يرى البعض الآخر أن قصديته ديناران • ويدو أن الرأي الأول أرجح  
(٢) بدليل إجماع المراجع الصليبية على ذلك • أما الفقراء والممدون فقد وافق صلاح  
الدين على أن يدفع باليان مقابل إطلاق سراحهم • مبلغا اجماليا قدره ثلاثون  
الف دينار • وحدد صلاح الدين لاليان مدة أربعين يوما • فمن أدى قدره يتسه  
خلالها أطلق سراحه • ومن بقى بعد ما صار مملوكا • وسلمت المدينة يوم الجمعة  
(٣)  
٢٧ رجب ٥٨٣هـ / ١٢ أكتوبر ١١٨٧م •

وذكر أبو شامة نقلا عن المصادر في البرق الشامي أن الصليبيين عقيب  
توقيع اتفاقية التسليم • شرعوا في إخلاء البيوت • وبيع ما ادخروا من الأثاث  
والأقوات بأرخص الأثمان • وكان خروجهم • شبيها بالمجان • لاسيما ما  
تعذر نقله وصعب حمله • وكانوا كما قال الله تعالى ( كم تركوا من جنات وعيون  
(٤)  
وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك أورتناها قوما آخرين ) •

- (١) الحنبلي • شفاء القلوب • ورقة ٣٥ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٩  
• أبو شامة • الروضتين • ج ٢ • ص ٩٥ • المقريزي • السلوك  
ج ١ • ص ٩٦ •  
(٢) أنظر سميد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٢٢ حاشية •  
(٣) ابن شداد • العوادر السلطانية • ص ٨٢ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٩  
• ابن واصل • مفرد الكرب • ج ٢ • ص ٢١٤ • أبو شامة • كتاب  
الروضتين • ج ٢ • ص ٩٥ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ص ١٠١  
ص ٣٩٧ • المصادر • الفتح • ص ١٢٨ •  
(٤) سورة الدخان آية ٢٥ • أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١١٤ •

### تساح صلاح الدين في معاملته لأسرى الصليبيين :

ودخل المسلمون بيت المقدس بعد توقيع اتفاقية التسليم واستولوا على المدينة • وهأت الصدق أن وافى د خولهم بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ / ليلة الاسراء والممراج المنصوص عليها في القرآن الكريم ، تلك الليلة التي أسرى فيها بنينا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى السماء • وتقدم صلاح الدين وتسلم حامية المدينة • ومن ثم ظهرت الاعلام الصفراء شعار الايوبيين المنتصرين على أسوار المدينة المقدسة ايدانا بالسيطرة الكاملة عليها • ووفى صلاح الدين بوعده فسمح عن دفع القطيعة بالخروج • وكان قد رتب على كل باب أميرا مقدما كبيرا يحصر الخارجين • فمن دفع الفدية خرج • وبالرغم من تلك القطيعة الزهيدة التي فرضها صلاح الدين مقابل خروجهم من بيت المقدس • وطأ ميمن وصولهم الى ما منهم • فان كثيرا منهم لم يستطيع دفعها فداء لنفسه • وأصبح بعد مضي أربعين يوما أسيرا في أيدي المسلمين • ولم يسهم أحد من أغنياء الصليبيين في فداء فقرائهم • فقد خرج

(١) الحظلي • شفاء القلوب • ورقة ٣٥ • ابن سعيد • الروض المصنوع • ج ٢ ورقة ١٣٢ • المطاد • الفتح • ص ١٣٠ • ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٢ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٩٧ • ابن تشرى بردى • النجوم الزاهرة • ج ٦ • ص ٣٦ • ابوشامه • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩٢ • أنظر أيضا • سعيد عاشور • الناصر صلاح الدين • ص ٢٠٤ •

(٢) Ehrenkreutz, Saladin. P. 205

(٣) ابوشامه • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩٥ •

(١)  
البطريك هرقل من بيت المقدس بخزائنه الضخمة دون النظر الى غيره \* ويبدو  
أن ذلك كان بسبب المعدام الروابط الاسرية وغيرها بين الصليبيين في ذلك  
الوقت \* فالأسرى كانوا خليطاً من أجناس وشموب أوروبية متباينة \* وأجناد من  
الغزاة المأجولين الذين رغبوا في السفر الى الشرق تخلصاً من رق الأرض الساعد  
(٢)  
وقد ذاك في المجتمع الأوربي \*

والخلاصة أن ذلك الوقت المعزى من كبار الصليبيين \* وتلك الشهامة  
وذلك التسامح من صلاح الدين قد أجبر الكاتب الانجليزى لين بول  
اعجابه بصلاح الدين حيث قال بعد أن تهجم على البطريك \* انها كانت فرصة  
(٣)  
للملك المسلم أن يعلم المسيحيين معنى التسامح \*

وقد برهن صلاح الدين وغيره من أمراء المسلمين على تلك الشهامة  
والتسامح عندما أصبح آلاف الدينبيين الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الفدية  
المقررة أسرى في يد صلاح الدين \* فتقدم الملك المادل الى أخيه السلطان  
صلاح الدين يطلب منه أن يهب له ألفاً من أولئك الصليبيين الفقراء ليطلق  
سراحهم لوجه الله \* وأجابه صلاح الدين الى ذلك \* وحرك ذلك الممل  
الانسانى الذى قام به الملك المادل مشاعر البطريك واليان فتقدم الى صلاح  
الدين وطلباً منه مثل ذلك \* فأعطاها صلاح الدين ما طلباه وأطلق سراحهم \*

---

Ehrenkreutz, Saladin. P. 205. (١)

(٢) نظير حسان سعادوى \* جيش مصر \* ص ٦٩ \*

Lane-Poole. op Cit. P 231 . (٣)

ثم تقدم صلاح الدين وأمر حراسه بالمناداة في شوارع بيت المقدس بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطيع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه ، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لها بالخروج من طلوع الشمس إلى الليل . وما أن صدر ذلك الاعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى <sup>(١)</sup> وطلب أمير البيرة اطلاق سراح زهاء خمسمائة أرمني ، ذكر لصلاح الدين أنهم من بلد ، وأن قد ومهم إلى بيت المقدس كان من أجل المبادء هناك ، كما طلب أيضا الأمير مظفر الدين على كوجك اطلاق سراح زهاء ألف أرمني أدعى أنهم من الرها ، فأجابهما صلاح الدين إلى ذلك وأطلق <sup>(٢)</sup> سراحهم .

ولم يقتصر ذلك التسامح من المسلمين على ما أقام به صلاح الدين وأخوه الملك العادل وكبار الأمراء المسلمين ، بل تعدى ذلك إلى عامة المسلمين ، فيذكر الحماة وابن واصل أن بعض المسلمين قد البسوا الصليبيين زي الجند المسلمين وأخروهم من بيت المقدس . كما استوهم جماعة من صلاح الدين عددا من الصليبيين فوهبهم لهم وأفرج عنهم <sup>(٣)</sup> .

والواقع أن صلاح الدين قد أبدى من التسامح وكرم الاخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقدس الشيء الكثير . وبلغ من كرم وشهامة صلاح الدين

(١) Lane-Poole. Op. Cit. P. 232

(٢) الحماة ، الفتح ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٣) الحماة ، الفتح ، ص ١٢٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

ما قام به تجاه زوجات عرصات الفرسان الصليبيين ، الذين قتلوا وأسروا أنسـه  
معاركهم مع صلاح الدين • فقد تجمعن أمام صلاح الدين يكمين ، فسان عن  
حالهن وما يدللبن ، فقيل له انهن يدللبن الرحمة ، فمظف عليهن صلاح الدين  
وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرف عليه ، وأطلق سراحه ، وسمح  
لهم بالذهاب حيث يريدون • أما النساء والهنات اللاتي مات أزواجهن وآبائهن  
فقد أمر صلاح الدين بأن يصرف لهن من خزانته الخاصة ما يناسب عيشتهم—  
(١)  
ومركزهن واعطاهن حتى ابتهلت السننهن بالدعاء له • وكان على رأس هؤلاء  
النسوة زوجة الملك المأسور جاي لوجنان التي كانت مقيمة ببیت المقدس مع الخدم  
والحشم ، فلما دلت صلاح الدين في اللحاق بزوجها الذي كان مقيما في برج  
نابلس ، فاذن لها ، وتوجهت اليه وأقامت معه • وحضرت الى صلاح الدين  
امراة ارنط الذي قتله صلاح الدين في حطين ، وطلبت من السلطان المسلم  
اطلاق سراح ابنها المأسور ، فأجابها الى ذلك بشرط تسليم حصن الكرك له ،  
فسارت اليه وامتتح من بداخله من الصليبيين عن تسليمه ، فأبى أن يطلق صلاح  
(٢)  
الدين ابنها ، ولكنه أكرمها وسمح لها بالسفر بمالها ومن يتبعها •

واحترم صلاح الدين مشاعر المسيحيين ، فعندما أشار بعض المسلمين  
عليه عقب دخوله بيت المقدس بهدم كنيسة القيامة ، وازالة آثارها وقـالوا

(١)

(٢) العماد ، الفتح ، ص ١٢٨ — ١٢٩ هـ / الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٠ —

٥٥١ هـ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٦ في ابن واصل ،

مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ •

« اذا هدمت بنايتها ، والحققت بأسافلها أطلابها ، ونهبشت المقبرة ونفيت ،  
 وأخذت نيرانها وأطفيت ، ومحيت رسومها ونفيت ، انقطعت عنها امداد الزواره  
 وانحسرت عن قسدها مواد اطعام أهل النار ، ومهدت استمرت العمارة ، استمرت  
 الزيارة » بينما أشار عليا لبعض بأنه « لما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه  
 القدس فى صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان ولم يأمرهم بهدم البنيان » (١)  
 فأعرض صلاح الدين بتسامحه عن هدمها . (٢)

وتصرف بعض المسيحيين الى صلاح الدين ليمح لهم بالبقاء داخل  
 بيت المقدس بعد أدائهم الفدية المقررة عليهم ، وتمهدوا له بالآيزعجوا أحدا ،  
 وأن يقوموا بالخدمة داخل المدينة . فوافق صلاح الدين على ذلك ، واشترط  
 عليهم شروطا قبلوها بالالتزام والقبول ، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،  
 وعولوا مما قبله أهل الذمة ، فأصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من الحقوق  
 (٣)  
 والواجبات .

وهكذا أبدى المسلمون الرحمن نحو المدينة التى سقطت فى أيديهم .  
 وإذا استعاد الانسان ذكرى دخول الصليبيين بيت المقدس سنة ١٠٩٩م عندما  
 نشر جود فوى وتأنكد الموت فى الشوارع ، وعندما أغرق المدافعون المسلمون  
 وأحرقوا والقوا فى بحار من الدماء ، حيث كان الصليبيون يخوضون حتى كموسهم

(١) العماد ، الفتح ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) العماد ، الفتح ، ص ١٣٦ .

في دماء القتلى ، فضلا عما قاموا به من نهب وسلب وسبى <sup>(١)</sup> ، فانه يدرك الفرق  
 التاسع بين تسامح صلاح الدين ووحشية القادة الصليبيين - اذ يتضح مدى  
 تسامح صلاح الدين بجدا التسامح في احكام الشريعة الاسلامية السمحاء ، وبمده  
 كل البعد عن تحكيم عواطفه وأهوائه تجاه الصليبيين الذين لم يغض على ارتكابهم  
 تلك الجريمة الشنعاء قرن من الزمان .

وشهد الأوروبيون بكرم أخلاق صلاح الدين وسماحته فذكر أحد هم أن  
 المسلمين عند استردادهم بيت المقدس اتصفوا بالاستقامة الانسانية ، فبينما  
 كان الصليبيون منذ حوالي ثمانين سنة تقريبا يخوضون في دماء ضحايا المسلمين ،  
 لم تتمرض عند استرداد المسلمين لبيت المقدس دار من الدور لاي اعتداء ، ولم  
 يحل بأحد من الأشخاص مكروه ، بل صار رجال الشرطة - بناء على أوامر صلاح  
 الدين - يلبثون بالشوارع والأبواب يعممون كل اعتداء على الصليبيين <sup>(٢)</sup> .

#### ارسال البشائر والوفود الى أنحاء المالم الاسلامي :

وصل صلاح الدين باسترداد بيت المقدس الى قمة المجد السياسي  
 والمسكري وأخذت أخبار ذلك الحدث تنتشر في أنحاء المالم الاسلامي ، فقد  
 سارع صلاح الدين بارسال البشائر باسترداد بيت المقدس الى الخليفة المباسي

(١) أنظر أيضا ، كتاب أعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشي ص ١١٨ -

١٢٠ .

(٢) أنظر ويسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

فى بغداد والى مختلف الامراء والحكام المسلمين • وذكر ابو شامة نقلا عن المصادر  
الاصفهانى الذى لم يحضر الفتح لمرض ألم به • أنه لما سمع وهو بد مشق نزول  
السلطان صلاح الدين على بيت المقدس شفى من مرضه • وتوجه اليه • فوصل  
عنده يوم السبت ثانى يوم الفتح • يقول المصادر • وطعلت عليه صباحا فاستبشر  
بقدوى • وخلع على البشير قبل رؤيته • وكان أصحابه يطالبونه بكتب البشائر  
ليقرأوا بها ويشرفوا وهو يقول لهم لهذه القوس بار • ولهذا المأذبة قماره  
قال فكُتبت فى ذلك اليوم سبعين كتابا بشارة • كل كتاب بمضى بدىح وعجالة •  
فمنها الكتاب الى الديوان المميز ببغداد افتتحه بهذه الآية ( وعد الله  
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين  
من قبلهم • ليمكّن لهم دى ارضهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم  
أنا ) • كما أرسل أيضا الى الامبراطور البيزنطى اسحق انجيلوس يشره بذلك  
(١)  
(٢)  
النصر المظميم •

واستقبل صلاح الدين رسل ووفود الملوك والامراء المسلمين من سلاجقة  
(٣)  
الروم وخراسان والمارق • لتهنئته بما خصه الله به من نصر عظيم • كما أن  
المسلمين عندما سمحوا باسترداد بيت المقدس • وفدوا للزيارة • من كل فج

(١) سورة النور آية ٥٥ • ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩٦ •

أنظر أيضا المصادر • الفتح • ص ١٣١ •

(٢) Ehrenkreutz, Saladin. P.205.

(٣) ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١٢٠ • ابن واصل • مفرج الكروب •

ج ٢ • ص ٢٤٨ •



(١)

عميق وصلكوا اليه في كل طريق ، وأحرموا من البيت المقدس الى البيت المتتيق \*  
 وجلس صلاح الدين بالمخيم ظاهر بيت المقدس للقاء الاكابر والامراء والملطاء الذين  
 أتوه من كل حدب وصوب لزيارة بيت المقدس ، وتهنئته بما أفرد به الله به — من  
 الفضيلة باسترداد بيت المقدس من الصليبيين .

(٢)

ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان ٥٨٣هـ / ٩ أكتوبر ١١٨٢م حضر  
 المسلمون باعداد هائلة الى الحرم الشريف ، ففض بالزحام وامتألت عراضه  
 وصحونه بالخلائق ، وخشمت الاصوات ووجلت القلوب ، وارتفعت الأيدي بالشكر  
 والدعاء ، وكان جماعة من أكابر علماء المسلمين قد رشحوا أنفسهم للخطبة فسي  
 هذا المسجد العظيم ، وطأهبوا لذلك بتأليف الخطب الجليلة الرائعة ، ومنهم  
 من عرض لصلاح الدين ومنهم من صرح ، وهو ساكت لا يبدى سره حتى حان  
 وقت الصلاة ، فأومر الى القاضي محيي الدين الزكي وقد مه لهذا الأمر ، فركب  
 المنبر بالأهبة السوداء المباسية ، وخطب خطبة بدعة بليغة دعا فيها  
 للخليفة الناصر المباسي والسلطان صلاح الدين .

(٣)

- (١) انعماد الفتح ، ص ١٣٤ ، أنظر أيضا ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ، ص ٩٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، المقرئ ،  
 السلوك ، ج ١ ، ص ٩٧ .  
 (٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٦ .  
 (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٧ ، والقاضي  
 محيي الدين الزكي هو ابو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن  
 يحيى ، ينتهي نسبه الى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لقبه محيي  
 الدين ويعرف بابن زكي الدين ، كان فقيها أدبيا ولاء صلاح الدين  
 القضاء بحلب ، ثم بدمشق توفي سنة ٥٩٨هـ . ( أنظر ابن خلكان ، وفيات  
 الأعيان ) ج ٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

### اصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس :

ثم قام صلاح الدين بإزالة ما استحدثه الصليبيون من الابنية والأسوار في بيت المقدس ، فقد أقام فرسان الداوية غرب المسجد الأقصى أبنية للسكنى ، وأدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم ، وبنوا على وجه المحراب جدارا وتركوه مخزنا للثقل ، وقيل اتخذوه مستراحا قاصدين بذلك طعن الاسلام والمسلمين .  
كما بنوا على الصخرة المقدسة كنيسة وستروها بالابنية ، وملأوها بالصور ، ونصبوا عليها مذبحا ، وعينوا بها مواضع للرهبان . كما أقاموا على رأس قبة الصخرة صليبا كبيرا وغير ذلك ، حتى غيروا معالمها . وقام الحاميون منهم بقطع قطع منها وبمبها في أسواق القسطنطينية . وجزيرة صقلية بوزنها ذبها .  
(١)

فلما كان يوم الجمعة في شعبان ٥٨٣هـ / ٩ أكتوبر ١١٨٧م وهي الجمعة التالية للجمعة التي دخل فيها المسلمون بيت المقدس ، أمر صلاح الدين بإزالة ما استحدثه الصليبيون من الابنية والأسوار ، وكشف الجدران العاتية للمحراب ، كما أمر بإزالة ما استحدثوه على قبة الصخرة المقدسة من مباني وصور . ثم أمر الفقيه ضياء الدين الهكاري بأن يكون أمينا عليها وأدار عليها شهابيك من حديد . أما بالنسبة للصليب الذهبي الذي أقامه الصليبيون على قبة الصخرة  
(٢)

- (١) الحماد والفتح ، ص ١٣٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .
- (٢) الحماد والفتح ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ ، ابن ابيك الدواداري ، الدر المظلوب ، ص ٨٩ - ٩٠ .
- (٣) سبط ابن الجوزي ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص

فيذكر ابن واصل أن المسلمين ما أن دخلوا البلد حتى تعلق جعاعة منهم السي  
أعلى القبة واقتلموا الصليب الذي سقط وعند ذلك « صاح الناس كلهم صوتا  
واحدا » من البلد ومن ظاهره « المسلمون والفرنج » أما المسلمون فكبروا فرحاً  
(١)  
وأما الفرنج فصاحوا توجعاً وتوجعاً » .

ولما فرغ صلاح الدين من إزالة ما استحدثه الصليبيون داخل بيت المقدس  
بدأ بحملة المسجد الأقصى « فبذل جهداً كبيراً في توسيعه وتحسينه وترصيفه  
وتدقيق نقوشه » فأحضر له من الرخام ما لا يوجد مثله « ومن الغصن الذهبى  
القسطنطينى وغير ذلك من المواد اللازمة للترتين ما لا يمكن وصفه » وشرح نفسى  
(٢)  
عمارة « وتزيينه وإزالة ما على جدرانها من الصور والتماثيل » .

وخبر صلاح الدين المحراب باهتمام كبير « فعمل على ترقيعه وتزيينه »  
وأقام به أول الأمر منبراً رسمياً إلا أنه رأى أن ذلك يحتاج إلى عمل منبر لائق  
بمكانة بيت المقدس « فأمر باختيار منبر كان نور الدين محمود — الذى كانت  
اطماعه متعلقة باسترداد بيت المقدس — قد أنشأ لهذا الغرض « حيث  
طلب من تجار حلب أن يعمل له منبراً لبيت المقدس وقال « اجتهد أن تأتى  
به على أحسن نمت يمكن وإحكامه » فجمع الصناع وبالح في اتقانه وصنمته وأتمه  
(٣)

(١) ابن واصل « مفج الكروب » ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن الأثير « الكامل » ج ١١ ص ٥٥٢ .

(٣) ابن واصل « مفج الكروب » ج ٢ ص ٢٢٨ « أنظر أيضاً أبو شامة » .

كتاب الروضتين ج ٢ ص ١١٢ .

في سنتين • وحده أن أحرق جامع حلب في الأيام النورية فنصب ذلك المنبر فيه • ولما تمكن صلاح الدين من استرداد بيت المقدس من الصليبيين أمر بحمل ذلك المنبر إلى بيت المقدس ونصب في المحراب • ثم أمر صلاح الدين فعمل لجامع حلب محرابا ومببرا مشابها لذلك (١)

ويدل هذا العمل على مدى إخلاص صلاح الدين لاسلافه الزنكيين الذين بذلوا الكثير لتحقيق الوحدة الإسلامية • تمهيدا لاقتلاع الوجود الصليبي في بلاد الشام • كما أن ذلك يدل على أن صلاح الدين عند ما قضى على دولة الزنكيين التي سادها الضعف والوهن عقب وفاة نور الدين محمود • وتولى ابنه الصغير الملك الصالح اسماعيل • لم يكن يقصد بذلك سوى مواصلة المسيرة والاستعداد للجهاد ضد الصليبيين لازالتهم واسترداد بيت المقدس منهم •

وعلى كل فان عناية صلاح الدين وغيره من الامراء ببيت المقدس لم تقتف عند هذا الحد • بل تنافسوا في تزيينه وتنظيفه فقد • تقدم السلطان قسى المسجد الأقصى ببسط العراشي • وإخلائها لأهل الاخلاص • وتنظيفها من الأدناس • وكس ما في أرجائها من الأرجاس • وأحضر الملك المظفر تقى الدين عمر إلى قبة الصخرة أحمالا من ماء الورد • وتولى بيده كس ساحتها

- (١) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٢٨ • المقرئى • السلوك • ج ١ ص ٩٢ •  
 (٢) أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١٠٩ • والعراشي • مفرد هـ • عرصه • وعرصه الدار وسطها • وقيل هو ما لا بناء فيه (أنظر ابن منظور لسان العرب • ج ٨ • ص ٣١٩) •

وعراسها ، ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ، ثم أفاض عليها ماء الورد وطهر  
 حيطانها ، وغسل جدرانها ، ثم بنجرها بمجامر الطيب . وجاء الملك الأفضل  
 نور الدين علي بن صلاح الدين « بكل نور جلى وكرم ملى ، وسط بها الصنيعة ،  
 وفرش فيها البسط الرفيعة » . (١) كما قام المسلمون بكنس عراض المسجد وتنظيفها  
 (٢)  
 ثم فرشها بالبسط عوض الحصر والبوارى ، وعلقت القناديل وصفت السجادات .

وحد أن أنهى صلاح الدين تطهير بيت المقدس مما علق به من آثار  
 الصليبيين ، رتب في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المساجد داخل  
 بيت المقدس الخطباء والأئمة والعلماء ذنبن والقومه ، وأحضر اليها الصالحين  
 والربعات . كما قام صلاح الدين بإنشاء المدارس والأربطة ، فجعل كنيسة  
 صند حنه مدرسة للفقهاء الشافعية ، وعين دار البطاركة رباطا للفقراء ، وأوقف  
 (٣)  
 على ذلك أوقافا جليلة .

وكان لاسترجاع صلاح الدين لبيت المقدس من أيدي الصليبيين أهمية  
 خاصة بالنسبة لصلاح الدين ومكانته بين أبطال المسلمين حتى أنه يمكن القول  
 أنه إذا كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد طهر بيت المقدس  
 من براثن الروم في السنة الخامسة عشر للهجرة ، فإن صلاح الدين أعاد تلك

---

(١) العماد الفتح ، ص ١٤٣ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٤

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٢) العماد الفتح ، ص ١٣٧ ، البوارى : الحصر المنسوج ( أنظر  
 العماد ، المصدر نفسه ، ص ١٣٧ حاشية )

(٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، ابن أبيك الدوادارى ، الدر المطلوب ، ص ٩٠ ، المقرئ

الساوك ، ص ٩٧ .

الذكرى في القرن السادس الهجري بعد أن تعرض بيت المقدس لذلك الاعتداء الصليبي الذي استمر ما يقارب المائة عام • ووضع صلاح الدين بذلك العمل الجليل الاساس لمن بعده من سلاطين المسلمين للقضاء على بقايا الصليبيين في بلاد الشام •



## الفصل الخامس

فشل الحملة الصليبية الثالثة في إسترجاع بيت المقدس.

- نتائج وآثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأورطي

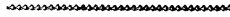
- الحملة الصليبية الثالثة ودخول الصليبيين على سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م

- معركة أرسوف وفشل ريتشارد قلب الأسد في استرجاع بيت المقدس.

- انتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م

## الفصل الخامس

### فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس



#### نتائج وأثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأوربي :

حقق صلاح الدين في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م انتصارات عظيمة ضد الصليبيين ، سيطر خلالها على معظم أنحاء مملكة بيت المقدس ، ما عدا مدينة صور التي وصفها المؤرخون المسلمون بأنها مدينة حصينة متوسطة في البحر كأنها سفينة ، ليس لها طريق إلى البر إلا من مكان واحد له سبحة أبراج<sup>(١)</sup> . فضلا عما كانت تتمتع به من أسوار منيعة وأبراج عالية قد امتلأت بالصليبيين المهارين اليها بسبب الأمان الذي منحه صلاح الدين للصليبيين ، مقابل تسليم مدتهم له .<sup>(٢)</sup>

وإذا كان الصليبيون قد فقدوا في معاركهم ضد صلاح الدين معظم زعمائهم وقادتهم الذين وقموا بين قتلى وأسرى فإنه قد ظهر بينهم بعض القادة الأكفاء الذين تولوا مهام أمورهم خاصة كونراد مونفerrat (Conrad de Montferat) الذي وصفه ابن شداد بقوله « انه كان رجلا عظيما ذاك رأى

(١) الحماد ، الفتح ، ص ١٩٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، سبط أبرام الجوزي ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٤٠٠ .  
(٢) الحماد ، الفتح ، ص ١٥٦ ، وأنظر ما سبق ص



(١) وبأس شديد في دينه وصرامة عظيمة \* ووصفه سبط ابن الجوزي بأنه \* كان شجاعاً حازماً \* وكونراد هذا أوا أمريكىس — كما تسميه المصادر العربية — كان مقيماً بالقسطنطينية أثناء معركة حطين \* وهرب من القسطنطينية — لشهامه بجريسة — قتل — على ظهر سفينة كانت تحمل بعض الرحالة متظاهرين بالحج الى بيت المقدس \* وعند ما وصل كونراد الى ساحل عكا لم يكن يعلم باستيلاء صلاح الدين عليها \* وعند ما علم بذلك أخذ يتدبر الحيل للنجاة بنفسه \* ورحل بسفينة نحو مدينة صور \* قبل أن يكشف الجند المسلمون أمره \* ووصل الى صور سالماً وتوكل بصيحات الترحيب من الصليبيين \* واستقبل مع فرسانه بالقلمة \* وتسلم القيادة العليا للصليبيين بها \* (٢)

أما عن دور الماركيز كونراد \* فما أن وصل الى صور حتى استخدم — تجمع فيها من الصليبيين في زيادة تحصينها \* مستغلاً انصراف صلاح الدين عقب استيلائه على عسقلان الى فتح بيت المقدس \* حيث قام بتعمير أسوارها وأبراجها وتزويدها بعدد الدفاع \* ثم أعقب ذلك بتعميق خندقها الذي أوصله من البحر الى

(١) ابن شداد \* النوادر السلطانية \* ص ٩٨ \*

(٢) سبط ابن الجوزي \* مرآة الزمان \* ج ٨ \* ق ١ \* ص ٤٠٠ \*

(٣) Lane-Poole, op. Cit. P. 221. (٢)

(٤) العماد \* الفتح \* ص ١٠٩ \* أبو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ \* ص ٩٠ \*

Lane-Poole, op. Cit. P. 221.

البحر ، حتى صارت المدينة « كالجزيرة في وسط الماء » لا يمكن الوصول اليها  
(١)  
ولا الدنو منها .

وهكذا أصبحت مدينة صور بعد دخول المراكيس كونراد اليها على حصانة  
تامة تمكنها من الصمود أمام أى هجوم . كما يمكن القول أيضا بأن دخول كونراد  
اليها يعد نقلة تحول في تاريخ الحروب الصليبية ، إذ يعد دخوله اليها بمثابة  
المنفذ لآخر معقل صليبي ببلاد الشام ، حيث كان والى قلعة صور ومعه ريجنالد  
( Reginald ) حاكم صيدا الذى كان بها في ذلك الحين ، قد عزموا  
على تسليم صور الى صلاح الدين مقابل طلب الأمان منه . فلما جاءهم المراكيس  
(٢)  
كونراد رد لهم عن ذلك ، وقوى نفوسهم ، وضمن لهم حفظ البلد .

والى جانب تلك الحصانة التى وهبتها الطبيعة لمدينة صور ، فضلا عما  
قام به كونراد من جهود جبارة في زيادة تحصينها ، فقد وفدت الى صور أعداد  
كبيرة من الصليبيين من كافة أنحاء مملكة بيت المقدس التى تداعت عقب معركة  
(٣)  
حطين .

ووفد الى مدينة صور ملك بيت المقدس جاي لوزجان ، فبعد استيلاء

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٣ ، أنظر أيضا الحنبلى ، شفاء  
القلوب ورقة ٤١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ابن  
واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ . Lane-Poole, op.  
Cit. P. 222.

١٨٩ نظير محمد اوى ، التاريخ الحربى العصرى ، ص

(٣) أنظر ما سبق ، ص

صلاح الدين على عسقلان وبيت المقدس أطلق سراح الملك الصليبي بمسد أن  
اشترط عليه أن لا يشهر عليه سيفاً ويكون « مملوكه وطليقه » . ونكت الملك جاسى  
عهده . واتجه بدوره الى مدينة صور . وحدث بينه وبين المكريس كونراد خلاف  
بإحدى الأمور الا أنه تمكن من مصالحته . واتفقا على لم شعث الصليبيين ، والثبات  
أمام هجمات صلاح الدين واستنفاذ البلاد التي أخذت .<sup>(١)</sup>

والحقيقة أن صلاح الدين أدرك مدى خطورة تجمع الصليبيين في مدينة  
صور والدليل على ذلك أنه حاول الاستيلاء عليها أكثر من مرة . فبعد معركة  
حطين وبالدات في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ . وبعد أن استولى  
على المدن الساحلية الشمالية ومنها بيروت وصيدا وجبيل وغيرها ، عقد الحزم  
على السير الى المدن الساحلية الجنوبية ، ومر في طريقه بمدينة صور ، فنازلها  
وفرض عليها حصاراً شديداً . الا أنه رأى فك حصارها لأسباب منها ، ما تتمتع  
به تلك المدينة من حصانة تامة ، فضلاً عن احساسه بسأم عسكره من طول القتال  
وادراكه بأنه من الأفضل الاتجاه الى مدن الساحل الجنوبية لسهولة أمرها .<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين كان يرى أن من الواجب استغلال تواجد عسكره معه  
وعدم اشغالهم بحصار المدن كصور التي كان يتوقع طول حصارها ، وذلك

(١) ابن واصل ، مفتح القلوب ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ابن شداد ،  
النوادر السلطانية ، ص ٩٨ ، طشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص  
٨٥٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٩١ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، ابن  
تضرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

(١)  
للحفاظ على الروح المعنوية المالية لجنوده \* يضاف الى ذلك أن صلاح الدين رأى على ما يبدو أن من الأولى الاتجاه الى الاستيلاء على المدن الساحلية الجنوبية لاتمام المعزلة على بيت المقدس وتأمين الطريق بين شطرى دولته فى مصر والشام ، فضلا عن عزل حصنى الكرك والشوبك اللذين كانا حتى ذلك الوقت فى قبضة الصليبيين \* (٢)

ولم ينعى صلاح الدين أمر صور ، فبعد أن استولى على بيت المقدس قويت نفسه وتقدم الحزم على السير اليها لأنه كان يعلم أن تأخره عن السير اليها يزيد حماة وقوة بسبب زيادة لجوء الصليبيين اليها عقب دخول صلاح الدين بيت المقدس ، وسماحه لمن بها من الصليبيين بالخروج بعد دفع الفدية (٣)  
المقروءة \*

خرج صلاح الدين من بيت المقدس واتجه أول الأمر الى عكا المنظر فى أحوالها وتقدم تحصيناتها \* (٤)  
ويبدو أن صلاح الدين كان يخطط على عكا فى ذلك الحين من هجوم صليبي غربي ، لما لها من وقع فى نفوس المسيحيين بسبب مكانتها الاستراتيجية والتجارية \* ثم خرج منها صلاح الدين يوم الجمعة ٥ رمضان

(١) Lane-Poole, op. Cit. P. 220.

(٢) لم يتمكن صلاح الدين من الاستيلاء على حصنى الكرك والشوبك الا فى سنة ٥٨٤ هـ ( أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٠ )  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، ابن تفرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٨  
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٣ ، ابن تفرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٨

سنة ٥٨٣هـ / أوائل نوفمبر ١١٨٧ م ، وسار باتجاه صور حتى أشرف عليها وعسكر بالقرب منها ينتظر وصول بقية عسكره وآلات الحصار . ووصل الى صور المملك الظاهر بن صلاح الدين الذي خرج من حلب بأمر والده صلاح الدين فوصل الى تلك المنزلة في الثاني والعشرين من شهر رمضان ، وسر صلاح الدين بوصولهم (١) .  
سرورا عظيما .

ولما توافدت على صلاح الدين عساكره ، وتكاملت عنده آلات الحصار من المنجنقات والدبابات والستائر وغيرها ، نزل على صور ، ونصب عليها آلات الحصار ثم قسم القتال على عسكره بالتناوب ، فجعل لكل جمع منهم وقتا معلوما يقاتلون فيه ، بحيث ضمن اتصال القتال على أهل البلد . وضايق المسلمون صور وقتا تسوا أهلها قتالا عظيما ، وزحفوا عليها بالمنجنقات والموادات والجروح والدبابات . وكان أنباء صلاح الدين خاصة ولديه الأفضل والظاهر ، وأخاه الملك المادل ، وابن أخيه تقي الدين عمر وكذلك سائر الأمراء يتناوبون القتال على صور . (٢)

ويبدو أن خطة صلاح الدين لم تؤثر كثيرا على الصليبيين داخل صور ، وذلك لكون الموضع الذي كان المسلمون يقاتلون فيه قريب المسافة يكفي للدفاع عنه جماعة يسيره من أهل البلد ، وعليه الحنادق المميقة التي وصلت من البحر الى

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٣ .  
(٢) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٤١ ، ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ، ابن المبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢١ .

البحر • يضاف الى ذلك أنه كان للصليبيين في صور سفن كثيرة يركبون فيها البحر ، ويقفون على جانبي الموضع الذي يقاتل فيه المسلمين فيرونهم من جانبهم بالسهام • ونتيجة لذلك لم يستطع المسلمون الدنو من البلد لأن أهله يقاتلونهم من أمامهم ، وأصحاب الاسطول يقاتلونهم من الجانبين • وكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع البري الذي يقف فيه المسلمون • الأمر الذي اضطر صلاح الدين الى طلب الاسطول الاسلامي من مصر ، فجاءته قطع الاسطول برجالها وعددها ، فتمكن المسلمون حينئذ من الدنو من البلد وقتاله ، فقاتلوه برا وبحرا حتى كادوا يظفرون به ، لولا أن الاقدار جاءت بما لم يكن في الحسبان ، وذلك أن خمس قطع من سفن الاسطول الاسلامي باتت في بعض تلك الليالي مقابل ميناء صور لمنع الصليبيين من الدخول الى المدينة أو الخروج منها ، ويات رجالها ليلتهم يحرسون المدينة • فلما كان وقت السحر أمّنوا من الصليبيين وناموا ، فما شعروا الا وسفن الاسطول الصليبي قد هاجمتهم ، وضابقتهم فقاومها الاسطول الاسلامي ، الا أن تلك المقاومة لم تجد نفعا لكونهم أخذوا على حين غلة • وانتهى الأمر بأسر خمس سفن إسلامية • ثم أصدر صلاح الدين أوامره الى بقية السفن بالانتقال الى بيروت (١) وذلك في ٢٧ رمضان ٥٨٣هـ / ٣٠ ديسمبر ١١٨٧م •

شاهد الدين ما حل بالاسطول الاسلامي نتيجة تعرضه لذلك

(١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٤١ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ ، العماد ، الفتح ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ابن تيمزي بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٨  
Egrenkreutz, Saladin, P.P. 207-208.

الهجوم المباغت من الصليبيين ، فضلا عن حلول الشتاء ( شهر ديسمبر ) وسقوط  
الامطار والثلوج في ذلك الوقت مما أدى الى تحويل المعسكر الى بحر من الطين ،  
كما ساعد البرد الشديد والرطوبة العالية على انتشار المرض بين الجنود والخيول .  
يضاف الى ذلك أن بعض قادة صلاح الدين تدمروا ، وطلبوه بالمودة التي  
اقتلعتهم قبل أن يضيغ عليهم موسم الزراعة . وجمع صلاح الدين أمراءه واستشارهم  
فيما يفعل ، فأشاروا عليه بالرحيل ليأخذ المعسكر قسطنطينية من الراحلة ،  
ويستعدوا لهذا الأمر استعدادا جيدا ، فوافقهم صلاح الدين على ذلك  
(١)  
ورحل عنها في ٢ ذي القعدة ٥٨٣هـ / أول يناير ١١٨٨م .

والذي يجدر ذكره هنا أن المؤرخ ابن الأثير - الذي عرف بتحايله على  
صلاح الدين - حمل صلاح الدين مسئولية ما حدث للمسلمين على صوره ، وذكر  
أنه لم يكن لأحد ذنب في أمر صوره غير صلاح الدين ، فانه هو الذي جهز جموع  
الصليبيين وأمدّها بالرجال والأموال من أهل عكا وعسقلان والقدس وغيرهما ،  
وذلك بسبب إفراده في التسامح مع خصومه الصليبيين . أما سبط ابن الجوزي  
(٢)  
فيرى أن صلاح الدين ضيع الفرصة على المسلمين بتسيير الصليبيين الى صوره ، ولم  
ينظر في عواقب الأمور ، وأنه كان من الواجب عليه عرضهم على الاسلام ، فكان

(١) Ehrenkreutz, Saladin. P. 207.

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٤ ، ويذكر ابن الأثير ( الكامل ،  
ج ١١ ، ص ٥٥٦ ) أن خلافا وقع بين المسلمين عندما أشارهم صلاح  
الدين في أمر صوره ، فمنهم من قال بالرحيل ، ومن دعا الى الاستمرار في  
الجهاد .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

أسلموا ولا ضرب رقابهم بالسيف • كما أنه شبه تلك الاحداث بما حدث فسى  
مصر كفى بدر واحد • حيث يقول « وما أشبه هذه القضية بنديّة الاسارى يوم بدر  
حيث أشار بعض الصحابة بأخذ ذلك القدر • وبعضهم أشار بضرب الرقاب • وما  
صدر ذلك الرأى الا عن صدر • فلا جرم قتل منهم يوم أحد سبعون • وأسر  
سبعون من المسلمين • كما فعلوا يوم بدر بالمشرىين • ويبدو أن ابن الاثير<sup>(١)</sup>  
تحامل على صلاح الدين • لأنه كان ربيب البيت الزنكى • ولم ينس أن صلاح  
الدين قضى على ملكهم فى الشام • ولا يستبعد أن يكون سبط ابن الجوزى  
قد تأثر بآراء الاثير فى ذلك •

والواقع أن تلك الخطة التى اتبناها صلاح الدين مع الصليبيين • والسعى  
تقوم على تأمينهم مقابل تسليم المدن والحصون له • أتاحت لصلاح الدين فرصة  
الاستيلاء على معظم مملكة بيت المقدس فى شهور قليلة • ما عدا أماكن قليلة  
منها مدينة صور • وصلاح الدين لم يكن أمامه غير اتباع هذه الخطة • إذ أنه  
لو عمد الى الاستيلاء على مدن مملكة بيت المقدس عن طريق القوة والمصاهرة لطال  
أمر القتال • هذا بالإضافة الى أنه قد اختار سياسة التسليم مقابل الأمان عملاً  
بالشريعة الاسلاميّة السمحاء •<sup>(٢)</sup>

رأى كونراد مونتفريات أنه ليس فى مقدوره مواجهة صلاح الدين بمن تجمع  
من الصليبيين فى مدينة صور • وأنه لابد من استئثار الغرب الأوروبى للمشاركة فسى

(١) سبط ابن الجوزى • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٩٨ •

(٢) أنظر نذير حسان • محمد اوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ١٩٩ •



قتال المسلمين فأرسل رسله الى البابوية وملوك وأمراء الغرب الأوربي يطلب منهم النجدة السريعة والمشاركة في اعادة الوجود الصليبي في الشرق . فذكر ابن شداد وأبو شامة نقلًا عن العماد أنه « صور القديس في ورقة عظيمة ، وصور القمامة ( كتيبة القياحة ) التي يحجون اليها ويعظمون شأنها ، وفيها قبر المسيح الذي دفن فيه بعد رحيله بزعيمهم ..... فصور القبر وصور عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب ، وقد وطئ قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر . » وأرسل كونراد هذه الصورة الى معظم بلاد غرب أوربا حيث جعلها القسوس ، ورؤوسهم مكشوفة وعليهم المسوح ، وهم ينادون بالويل والثبور في المجامع (١) والاسواق .

وأرسل كونراد القسوس والرهبان ، وغيرهم من الفرنسكان الذين لبسوا السواد ، وساروا الى الغرب الأوربي يعتقد منهم بطريق بيت المقدس ، وقد صوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة اعرابي يضربه وقالوا لهم « هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله » وأخذوا يستجدون الناس هناك ويحثونهم على السير الى الشرق والاخذ بتأريث بيت المقدس . (٢)

وكانت البابوية كعادتها أول من استجاب للنداء الذي وجهه كونراد

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ابوشامة ، كتاب الروتين ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ، ابن سعيد المغربى في حلى المغرب ، ص ١٦٥ .

(٢) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ابن ابيك الدواهدارى ، الدر المنثور ، ص ٩٨ - ٩٩ .

وكان البابا أوربان الثالث قد تقدم به الدين ، وتولاه المرض ولم يحتفل أنبياء  
 كاتشة سقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين فمات حزنا وهما على ضياع بيت المقدس  
 وذلك في شعبان من سنة ٥٨٣هـ / أكتوبر ١١٨٧م ، وخلفه البابا جريجورى الثامن  
 الذى بادر بإرسال الكتب الى ملوك إنجلترا وملك فرنسا وإمبراطور ألمانيا يطلب  
 منهم جميعا أن يتناسوا ما بينهم من خصومات وحزازات ويستهدفوا للمسير الى  
 الشرق الاسلامى لاعادة الوجود الصليبي هناك .  
 (١)

غير أن القدر لم يعمل البابا جريجورى الثامن ليرى ثمار جهوده ، فقد  
 توفي بعد حوالي شهرين من توليه منصب البابوية ( أكتوبر - ديسمبر ١١٨٧م )  
 ليلى منصب البابوية بعده البابا كلمنت الثالث ( ١١٨٧ - ١١٩١م ) الذى واصل  
 سياسة سلفه جريجورى فى الإعداد لحملة صليبية ثالثة . وأسرع البابا كلمنت  
 الثالث الى الاتصال بالإمبراطور فردريك ببروسا وعمل على استرضائه بكل الوسائل  
 محققا بذلك الوفاق بين الإمبراطورية والبابوية . وجه البابا كلمنت الثالث أيضا  
 دعوة عامة الى كافة المسيحيين فى الغرب الاوربي يطلب منهم الاشتراك فى حملة  
 صليبية لاسترجاع بيت المقدس من المسلمين . وعدد هم بأن يحرم عليهم  
 مطاعمهم ومشاربهم قائلا " من لا يتوجه الى القدس مستخلصا فهو عندى محرم  
 لا منكح له ولا مطعم " .  
 (٢)

- 
- (١) سميح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٤٣ .  
 (٢) سميح عاشور ، أوربا المصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٩٤ .  
 (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، ابن واصل ، مفرج  
 الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن الفرات ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، ص ٢٣٠ .

وهكذا نجح كونراد مونفرا ت الذي تولى زعامة الصليبيين في الشرق بمساعدة البابويه في استشارة ملوك وأمرأ أوروبا وحملهم على تناسي ما بينهم من حزازات وأحقاد وخلافات داخلية ، ومن ثم حشهم على السير الى المشرق الاسلامي لمحاولة اطادة الصرح الصليبي الذي انهار أمام جيوش صلاح الدين . وقد م الصليبيون الى بلاد الشام باعداد كبيرة لا تحصى . يدلنا على ذلك الرسالة التي بحث بها صلاح الدين الى الخليفة المباسي في بغداد في سن ٥٨٦هـ / ١١٩٠م يخبره بذلك والى قال فيها \* وقد بلى الاسلام منهم يقوم قد استطابوا الموت ، واستجابوا الصوت ، وفارقوا المحبين والاطان ، وهجروا المألوفين والأهل والديار ، وركبوا للحج وذهبوا المهبج ، كل ذلك طاعة لقسيسهم وامثالا لأمر مركيسهم " . وخرج المسيحيون على اختلاف فئاتهم وأجناسهم ومن عجز عن الخروج بنفسه جهز بحدته وثروته من يقد ر على السفر . وخرجت النساء لللاسهام (١) في الحملة الصليبية الثالثة ، فمنهن من خرج ويصحبتهن الفرسان ، وقد تكفلن بجميع ما يحتاجون اليه من مؤن وعتاد ، وعلى سبيل المثال ذكر ابو شامة وغيره أنه في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وصل في البحر الى بلاد الشام امرأة مسيحية جلييلة القدر وفي صحبتها خمسائة فارس بخيولهم واتباعهم ، وقد تكفلت بكل ما يحتاجون اليه " فهم يركبون لركوبها ويحملون بحملاتها ويشبون لوثباتها " . ومنهن من خرج (٢)

---

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ابن واصل ، مفتج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ ، ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) العماد ، الفتح ، ص ٣٣٨ .

(٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ، العماد ، الفتح ، ص ٣٤٩ ، ابن واصل ، مفتج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

وقد لبس الدروج وكن في زى الرجال للاشتراك في الممارك بأنفسهم لاعتقادهم  
 أن عملهم ذلك عبادة <sup>(١)</sup> ومنهم من خرج لاسفاف الغرباء واسعاد الصليبيين  
 بتسبيل أنفسهم لهم للاستمتاع بهم حتى لا يتسرب الملل الى نفوس المحاربين <sup>(٢)</sup>.

أما وليم الثاني ملك صقلية فقد بادربا رسال اسطول في سنة ٥٨٥ هـ /  
 ١١٨٩ م يشتمل على ستين قذعة بها عشرة آلاف مقاتل أسند قيادته الى رجل  
 من رجال البحر يدعى « المورعظ » فأبحر ذلك الاسطول الى مدينة صور ثم  
 رجع الى طرابلس ولم ينفع الصليبيين بشيء لأن ما به من المسيرة لم تكن تكف ما عليه  
 من الرجال <sup>(٣)</sup>.

الحملة الصليبية الثالثة رد دخول الصليبية عكا سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م :

والواقع أن تلك الانتصارات الهائلة التي حققها صلاح الدين في تلك  
 السنوات القليلة الواقعة بين سنتي ٥٨٣ هـ — ٥٨٥ هـ / ١١٨٧ — ١١٩٠ م وما  
 ترتب عليها من قتل وأسر الأعداد الكثيرة من الصليبيين وتشريد البقية الباقية  
 منهم الى صور ، كان له الأثر البالغ على نفوس المسيحيين الغربيين خاصة بمد أن  
 وصلتهم رسل اخوانهم في بلاد الشام ، الذين شرحوا لهم ما لحق بهم من

(١) الصمد ، الفتح ، ص ٣٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص  
 ١٤٩ .

(٢) الصمد ، الفتح ، ص ٣٤٧ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص  
 ١٤٩ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

كوارث من جراء انتصارات المسلمين عليهم • الأمر الذي جعلهم بمساعدة جهود البابا كلمنت الثالث الذي أثار الحماس الصليبي في نفوسهم ضد الاسلام والمسلمين يتناسون ما بينهم من خلافات ويمقدون الحزم على المسير الى بلاد الشام لمحاولة استعادة بيت المقدس من المسلمين • فأعدوا لذلك الفرض حملة<sup>(١)</sup> ثالثة ، فرضوا لتمويلها ضريبة خاصة أطلقوا عليها " عشور صلاح الدين " وكان الغرب الأوربي في ذلك الوقت يمر بفترة سياسية حرجية بسبب النزاع بين البابوية والامبراطورية وذلك المدة التقليدية بين ملوك أوروبا وحكامها •<sup>(٢)</sup> لذلك فان البابا كلمنت الثالث توسل بكافة الوسائل لاسترضاء عدو البابوية اللدود الامبراطور الألماني فردريك ببروسا ، وكذلك بحث برسائله الى كل من ملك فرنسا وملك انجلترا والامبراطور الألماني يحثهم على تناسي خلافاتهم ، وبالتالي أراد البابا أن يفتح نهاية لتلك الفتن والحوادث الدامية في أوروبا بتوجيه زعمائها الى المشرق الاسلامي لاستعادة بيت المقدس من صلاح الدين •

Ehrenkreutz, Saladin, P. 222.

(١)

(٢) كانت الكنيسة في أوروبا في المصور الوسطى ، تعاني من ثلاثة أمراض خطيرة هي : السيمنية أي شراء الوظائف الكنسية بالمال ، وزواج رجال الدين ، والتقليد العلماني ، أي قيام الحكام العلمانيين بتمثيل رجال الدين • وعند ما حاول البابا جريجوري السابع الذي اعتلى كرسى البابوية سنة ١٠٧٣م معالجة أمراض الكنيسة في شدة وحزم ، دخل في نزاع مع الامبراطور هنري الرابع ، وبدأ دور من أدوار النزاع بين البابوية والامبراطورية الذي كان سمة بارزة من سمات تاريخ أوروبا في المصور الوسطى ( انظر سميث طشور ، أوروبا في المصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٤٥ - ٣٥٧ ) •

(٣) سميث طشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٤٤ •

وتتأسى ملوك وحكام الغرب الاوربي ما بينهم من خلافات وحزازات وأحقاد

وعقدوا المزم استجابة لدعوة البابا على تسيير حملة صليبية الى بلاد الشام .  
(١)

وكان أول من استجاب لهذه الدعوة فردريك بروسا امبراطور ألمانيا . ففى

ربيع سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م بدأت الجيوش الألمانية فى التجمع عند مدينة  
(٢)

راتسبون . Ratisbon استعدادا للمسير الى بلاد الشام . وكان ذلك الجيش

بالرغم من كثرتها لمدنية يتمتع بنظام عسكري دقيق ، فكان من يجرى منه جناية

ليس له جزاء الا أن يذبح " مثل الشاة " .  
(٣)

(١) ولى الامبراطور فردريك بروسا حكم ألمانيا بعد وفاة عمه كونراد الثالث

عام ١١٥٢م . ويمتبر من أقوى الشخصيات التى تولت حكم ألمانيا منذ

عهد أوتو الأول العظيم ( ٩٦٢ - ٩٧٣م ) .

أنظر ( حامد زيان ، الامبراطور فردريك بروسا ، ص ١٢ ) .

(٢) مدينة راتسبون هى احدى المراكز الرئيسية الألمانية فى المصور الوسطى

وكانت من أهم مراكز الحكم الامبراطورى ، تقع بالقرب من الحدود الشرقية

الألمانية قريبة من بلاد المجر .

أنظر حامد زيان ، الامبراطور فردريك بروسا ، ص ٢٤ ) .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ٢ ، ص ١٥٥ ، اختلفت الروايات التاريخية فى تقدير عدد الجيش

الألماني ، فمنهم من قال ثلثمائة ألف مقاتل ( التويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦  
ورقة ١٣٠ ، الحصاد والفتح ، ص ٣٣٠ ) ومنهم من قال مائتي ألف ( أنظر ابن

سعيد ، اروض المصنوع ، ج ٢ ، ورقة ٣٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،

ص ١٠٥ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، ابن ابيك الدوادارى

، الدار المطلوب ، ص ١٠٥ ) ومنهم من قدره بستمائة ألف ( أنظر الحنبلى ،

شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١١٤ ) ومنهم

من قصره على مائة ألف مقاتل ( أنظر صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، ص ٢٠ )

وسار ذلك الجيش يتقدمه الامبراطور فردريك ببروسا وصحبته أحد ابنائه  
 سالكا الطريق البرى باتجاه القسطنطينية ، حيث عبر بلاد الهنكر ( المجر )  
 بالقوة • ولكنه لما أن وصل الى القسطنطينية حتى واجه عداء شديدا من الامبراطور  
 البيزنطى اسحق الثانى انجيليوس الذى بعث الى حليفه صلاح الدين يخبره بمسير  
 الالمان ويحده بأن لا يمكنهم من عبور بلاده • الا أن الصادق تذكر أن الامبراطور  
 البيزنطى لم يستطع منعهم من العبور • ولكنه لم يسمحهم بشئ من المؤن والمعادن •  
 فنقلت عليهم القوات • وعبروا خديج القسطنطينية ( البسفور ) وقد اشتدت  
 ( ١ )  
 ضاقتهم وحل بهم كرب شديد •

ولما عبروا الى آسيا الصغرى تعرضوا لمناعب كثيرة بسبب جهلهم بتلك  
 الأماكن لذا سلكوا الأودية على غير هدى • فكانوا يقطمون الفرسخ الواحد نسي  
 يومين • فوقموا فريسة للخطف من جانب التركمان سكان تلك المناطق • كما كان  
 لدخول الشتاء أثره البالغ على سيرهم • حيث تراكمت الثلوج • فاحتاجوا الى  
 أكل الدواب • وأحرقوا عدد هم لنقص الحطب عند هم • كما عدوا المدافع  
 فأنهكوا وأنهكت دوابهم حتى عجزوا عن حمل عدد هم • فاضطروا الى دفن ما عجزوا  
 ( ٢ )  
 عن حملهم •

- 
- ( ١ ) الحنبلى • شفاء القلوب • ورقة ٤٥ • العماد • الفتح • ص ٤١٤ • ابن  
 الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٨ • ابو شاه • كتاب الروضتين • ج ٢ •  
 ص ١٥١ • ابن واصل • مفتح الكروب • ج ٢ • ص ٣١٧ - ٣١٨ •  
 ( ٢ ) العماد • الفتح • ص ١٥١ • ابن واصل • مفتح الكروب • ج ٢ • ص  
 ٣١٨ •

ولما قاربوا الوصول الى سلطنة سلاجقة الروم التي كان على رأسها السلطان قليج ارسلان بن مسعود السلجوقي ، نهض اليهم ابنه قطب الدين ملكشاه ، واشتبك معهم في معركة كبيرة هزموه فيها ، فترجع الى الوراء الى مدينة قونية عاصمة السلطنة ، فتمتصه الالمان ، ودخلوا المدينة وأحرقوا أسواقها ، ثم أرسلوا الى والده قليج ارسلان يقولون له « انا لم نصل لأخذ بلادك ، وانا نزلنا لنشأر البيت المقدس » ، وبعثوا اليه الهدايا وطلبوا منه الهدنة فهادتهم ، وبصحت هو وابنه الى صلاح الدين يعتذران من تمكين الالمان في بلد هما ويخبرانه بأنهما غلبوا على ذلك ، ومكث الجيش الالمانى مدة من الزمن في بلاد قليج وتقتربوا خلالها بما أرادوا من العدد والازواد ثم واصلوا سيرهم .

(٢)

وأشار ابن شداد وأبوشامه الى روابط الصداقة بين السلطان قليج ارسلان والامبراطور فريديريك بروسا ، وأن قليج عندما أرسل الى صلاح الدين يعتذر عن عبور ملك الالمان من بلادها ، انما قصد بذلك التظاهر أمام صلاح الدين بالشقاق لملك الالمان ، وهو في الباطن يضمن له الوفاق ، وأنه أنفذ معه الأدلاء ، وأعطاه الرهائن حتى يضمن له العبور بسلام . هذا بينما يذكر

(٣)

(١) ابن واصل ، مفرج الكرب ج ٢ ص ٣١٨ ، أنظر أيضا ابن أيك الدوادار الدار المطلوب ، ص ١٠٥ .

(٢) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ص ١٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٣) ابن شداد ، النوادر والسلطانية ، ص ١٢٣ ، أبوشامه ، كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٥٤ .



ابن الاثير أن أسيايا دفعت الملك قليج إرساله على السطاح لملك الالمان بمحور  
أراضيه ، منها حالة الضعف التي كانت تتعرض لها بلاده بسبب المشاكل الداخلية  
نتيجة تقسيمه ملكه بين أبنائه <sup>(١)</sup> . يضاف الى ذلك ما كان يتعرض له قليج إرساله  
من ضغط بسبب التحالف بين خصمه صلاح الدين من ناحية والامبراطور  
البيزنطى من ناحية أخرى <sup>(٢)</sup> .

وعلى كل فتلك التسهيلات التي منحها قليج للامبراطور فردريك ببروسا  
لم تنفع الجيوش الالمانية بشئ ، إذ تعرضت أثناء عبورها لبلاده لهجمات عديدة .  
الأمر الذى أغضب ملك الالمان فقبض على الأدلاء والرهائن الذين سيرهم  
قليج معه وقيدهم بعد أن أخذ ما معهم ووضعهم فى الأسر . فضمهم من قسدى  
نفسه وخرج ، وضمهم من مات فى الأسر <sup>(٣)</sup> .

وأصل الالمان سيرهم رغم تلك المتاعب الشديدة فالتقى تمردوا لها ، حتى  
وصلوا الى بلاد الأرمن . فرحب بهم أميرها ابن لاون ، وقدّم لهم ما يحتاجون  
اليه من المؤن والازواد والملونات ، وأرشدهم الى أسهل الطرق <sup>(٤)</sup> . وكان أمير  
أرمينية يأمل فى أن يتوج ملكا على أرمينية الصغرى ، حتى لا يبدو فى مكانة أقل

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٧ .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٤٢ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ابن خلدون ، المبر ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

من مكانة الامراء الصليبيين المقيمين ببلاد الشام من جهة ، وليمد عنه أطماع  
الامبراطور البيزنطى من جهة أخرى . ويبدو أن أمير أرمينية قد علق آمالاً كبيرة  
(١)  
على كل من البابا والامبراطور اللاتين فى تحقيق هدفه هذا .

لم يطل مقام اللاتين ببلاد ابن لاهون بل واصلوا سيرهم بعد أن هداهم  
الطريق ، ونزلوا بطرسوس . وقد انتهكهم السفر بسبب ما تعرضوا له من متاعب  
فى طريقهم ، فأرادوا الإقامة هناك أياماً ليريحوا أنفسهم . إلا أن القدر خيأ  
لهم خلاف ذلك ، فحدث لهم حدث مفاجئ قلب الموازين رأساً على عقب ،  
حيث مات الامبراطور فردريك بروسا غريقاً فى أحد الأنهار وذلك سنة ٥٨٦هـ /  
١٠ يونيو ١١٩٠م . واختلفت آراء المؤرخين فى تحليل أسباب وفاته فذكر  
العماد وابن واصل أن اللاتين عندما عبروا نهر سالف التطم الموج بهم ، فطلب  
الملك موضعاً يعبر فيه وحده ، فدخل فى مضاضة قوية فاخطفه تيار الماء  
واصطدم بشجرة شجت رأسه ، فاستخرجوه وهو فى آخر سوق وهلك بمعد قليل .  
وأشار ابن شداد وغيره الى أن فردريك بروسا نزل على شط أحد الأنهار ،  
واستحم فى ماء ذلك النهر . فأصابته برودة ذلك الماء بمرض مات على أثره بمعد

- (١) سميد طشور ، سلطنة المماليك وأرمينية الصغرى فى كتاب بحر  
ودراسات فى تاريخ المصور الوسطى ، ص ١٤٤ ، حامد زيان ، الامبراطور  
فردريك بروسا ، ص ٥٠  
(٢) طرسوس : مدينة بشقور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، ( أنظر  
ياقوت معجم البلدان ) .  
(٣) العماد ، الفتح ، ص ٣٩١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص  
٣١٩ .

(١)  
أيام قلائل • أما ابن الأثير • فقد ذكر أن فردريك دخل النهر يريد الاغتسال  
(٢)  
فشرق •

ومهما يكن من أمر • فإن الذي يهبط هو أن الامبراطور فردريك ببروسا  
قد هلك دون أن يحقق هدفه في المشاركة في استعادة بيت المقدس من يد  
صلاح الدين • فضلا عن أن ذلك الحدث المفاجيء كان له أثر كبير على فشل  
الحملة الصليبية الثالثة إذ أن جزءا كبيرا من الجيش الألماني قد عاد عقب وفاته  
الى أوربا • بالإضافة الى أن الصليبيين قد فقدوا بوفاته شخصية كبيرة لو أنها  
(٣)  
وصلت الى عكا لوجد منها صلاح الدين متاعب كثيرة •  
(٤)

وموت الامبراطور فردريك ببروسا حلت بالالمان كوارث كثيرة • فقد  
اختلفوا منذ البداية حول من يخلفه في قيادة الحملة الصليبية الالمانية • حيث  
مال بعضهم الى تولية ابنه فردريك السوابي • بينما مال بعضهم الآخر الى تولية  
أخ لفردريك السوابي أكبر منه • (٥) وما أن رأى الملك الأرمني ما حل بالالمان من  
التفكك والضعف بعد موت فردريك ببروسا • حتى أثار أن لا • يلقي بنفسه بينهم •  
فانه لا يعلم كيف يكون الأمر وهم أفرنج • وهو أرمني فاعتصم بهم في بعض قلاعهم

- 
- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٢٥ • ابوشامه • كتاب الروضتين  
ج ٢ • ص ١٥٥ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٠٣  
(٢) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ •  
(٣) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ •  
(٤) أنصار • تفسير حسان سعد أوى • التاريخ الحربي المصري • ص ٢٣٩ •  
(٥) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ • سبط ابن الجوزي • مرآة  
الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٤٠٣ • ابن خلدون • الصبر • ج ٥ • ص ٢٢٢

(١) المنيمة . و تفرق الالمان بعد موت ملكهم فمنهم من عاد الى أوربا . ومنهم من سار مع الامير فردريك السوابى الذى خلف والده فى قيادة الديش الألمانى . وعند مسير يتايا الحملة الى انطاكية حل بهم وما شديدا ذهب ضحيته كثير من رجالهم . ووصلت البقية الباقية الى انطاكية . وكأنهم قد نبشوا من القبور .  
(٢)  
على حد قول المؤرخ ابن الاثير .

وما ان وصل الالمان الى انطاكية حتى تبرم بهم صاحبها بوهيمند الثالث وثقلت وظائفه عليهم . وطمع فى الاستيلاء على أموالهم وعتادهم . فآشار عليهم بالسير الى حلب وحسن لهم طريقها . الا أن فردريك السوابى لم يستجب لمشورة بوهيمند . وانما طلب منه أن يعطيه قلعة انطاكية ليودع بها ماله وخزائنه وأثقاله . فوافق بوهيمند على ذلك على أمل أن يفوز بما يودع فيها من الأموال والعتاد . وكان الأمر على ما أراد . فان الالمان لما فارقوا انطاكية لم يمودوا اليها ثانية . ففاز بوهيمند بكل ما أودعه فيها .  
(٣)

وفى الوقت نفسه تعرضت فرقة من الالمان لكارثة أخرى كان لها أثر كبير فى اضعاف نفسياتهم . فقد اتجهت هذه الفرقة الالمانية صوب بغراس وهم يظنون أنها لا تزال فى أيدي اخوانهم الصليبيين . وما ان وصلوا اليها حتى

- 
- (١) ابن شداد . النوادر السلطانية . ص ١٢٤ .  
(٢) ابن الاثير . الكامل . ج ١٢ . ص ٤٩ . أنظر أيضا ابوشامه . كتاب  
الروضتين . ج ٢ . ص ١٥٦ .  
(٣) الصمد . الفتوح . ص ٣٩٥ . ابوشامه كتاب الروضتين . ج ٢ . ص ١٥٦ .  
ابن واصل . مفتي الكرب . ج ٢ . ص ٣٢٢ .

فتحت أبواب القلعة وهجم المسلمون على الألمان فاستولوا على ما معهم من  
الاموال والاسلحة والعتاد ، وقتلوا منهم وأسروا العدد الكثير . كما خرج أيضا  
بعض سكان حلب وتفرقوا في طريق الألمان وأخذوا يتخطفونهم ، فأسروا منهم  
أعداد كثيرة باعهم في الاسواق بأثمان زهيدة <sup>(١)</sup> . كما أن ذلك يد لنا أيضا على  
مدى تلك العزلة التامة التي فرضها صلاح الدين على الصليبيين ببلاد الشام ،  
بعد احكام سيطرته على مدن الساحل ، حتى أن الصليبيين في الشرب الأورسي  
لم يكن في مقدورهم التمييز بين المدن والقلع التي استولى عليها صلاح الدين  
وبين التي لا تزال في أيدي اخوانهم الصليبيين في الشرق .

وأخيرا قرر فردريك السوابي بعد تلك الكوارث التي حلت لجيشه  
الاتجاه الى عكا . ففي يوم الأربعاء ٢٥ رجب من سنة ٥٨٦هـ / أغسطس ١١٩٠م  
سار على رأس جيشه الى عكا عن طريق جبلة واللاذقية . وانتهر المسلمون نفس  
اللاذقية فرصة مرور شرانم الألمان ، فخرج رجالها عليهم ، فقتلوا وأسروا منهم  
أعدادا كثيرة . ولما وصل الألمان الى طرابلس أقاموا بها للراحة ، فنزل بهم  
وباء شديد مات على أثره أكثرهم .

---

( ١ ) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ومشراس مدينة بينها وبين انطاكية  
أربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على  
طرسوس ( انظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

ولم يبق منهم سوى حوالى ألف رجل ركبوا فى البحر يتقد بهم فردريك السوابسى  
قاصدين عكا للانضمام الى بنى جنسهم هناك لمؤازرتهم فى حصارها ، فوصلوا  
الى عكا فى ١٦ رمضان سنة ٥٨٦هـ / اكتوبر ١١٩٠ م .<sup>(١)</sup>

وتتبنى الاشارة الى أن صلاح الدين لم يهمل أمر الحملة الالمانية  
منذ علمه بمسيرها اليه . فقد استنفر الناس للجهد ، فبعث رسولا فى رمضان  
من سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م من قبله وهو القاضى بهاء الدين بن شداد والسى  
الخليفة المباسى فى ذلك الوقت الناصر لدين الله ابو المباسى احمد بن  
المستضى ، لاعلامه بمسير الالمان الى بلاد الشام . وأمر صلاح الدين القاضى  
ابن شداد بالمسير فى طريقه الى أمراء الموصل وسنجار والجزيرة واهل لاسد عائهم  
للجهاد ، فأجابوا الى ذلك ، وتأهبوا للمسير الى صلاح الدين . كما وعده  
الخليفة المباسى " بكل جميل " وأمد صلاح الدين بالمال والعقاد .<sup>(٢)</sup>

وتابع صلاح الدين فى الوقت نفسه تقدم الالمان اليه عن طريق ارسال  
العميون ( الجواسيس ) لكشف أخطارهم . كما أرسل نوابه فى البلاد الشامية  
عساكرهم لكشف أخبار العدو واعتراض طريقه ، فوقفوا على فرقة من جيش

(١) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، أنظر أيضا ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

الالمان ء قد خرجت لطلب العلوفة للدواب ء فقتلوا وأسروا منهم زهاء خمسمائة  
(١)  
نفس.

ولما تحقق صلاح الدين من وصول الالمان الى بلاد الأرمن وقربهم  
من البلاد الاسلامية ء جمع أمراء دولته وشا ورهم فيما يصنع ء فاتفق رأيهم  
على تسيير عسكر كبير لملاقاة العدو في طريقه وحماية بعض المدن ء فسارت  
تلك الجموع الاسلامية يتقدمها عدد من أمراء المسلمين فكبدت العدو والألمان في  
طريقه خسائر جسيمة . (٢)  
كما أمر صلاح الدين بهدم أسوار طبرية ويافا وارسوف  
وقيسارية وصيدا وجبيل ء وذلك لأنه خشى سيطرة الصليبيين عليها واستخدا  
تلك الأسوار في محاربة المسلمين . (٣)

والحقيقة أن حملة الالمان الصليبية فشلت عند ما غرق قاعد ها الامبراطور  
فردريك ببروسا في أحد أنهار آسيا الصغرى ء وتشتت جموع الالمان في الشام  
ما حال دون وصولهم الى بيت المقدس ء وتحقيق هدفهم باسترجاعه من أيدي  
المسلمين .

وأخيرا فإذا كان فردريك ببروسا قد عجل الخروج الى المشرق على رأس

(١) ابوشامه ء كتاب الروضتين ء ج ٢ ء ص ١٥٠ ء ابن واصل ء ج ٢ ء ص  
٣٢٣ .

(٢) ابن شداد ء النوادر السلطانية ء ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) الحاد ء الفتح ء ص ٣٩٤ ء سعيد عاشور ء الحركة الصليبية ء ج ٢ ء  
ص ٨٥٠ .

حملته الصليبية ، وأختار لها الطريق البرى الى بلاد الشام ، فان فيليب أوغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا لم يتركا الغرب الأوربى فى حملة صليبية الا فى صيف ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ، وأخطأوا الذ هاب الى عكا بحرا .

دخول الصليبيين عكا سنة ٥٨٧هـ :

كان لمدينة عكا - كما سبق القول - أهمية تجارية كبيرة لدى المسيحيين فى عصر الحروب الصليبية ، كما كانت فى ذلك الوقت أكبر سوق للتجارة فى البحر المتوسط <sup>(١)</sup> . واحتلت عكا أهمية استراتيجية كبيرة ، فبمجرد نظرة سريعة الى خريطة تضم مدن الساحل الشامى ، نلاحظ أن مدينة عكا تتوسط تقريبا ذلك الشريط الساحلى الذى تمتد عليه مدن عدة ، الأمر الذى يجعلها كالقلب النابض لاعداد تلك المدن الممتدة شمالها وجنوبها بما تحتاجه من الاسلحة والمؤن والمتاد وأدرك المسلمون ما يملقه الصليبيون من أهمية بالغة على تلك المدينة ، لذلك أدرك صلاح الدين ضرورة الاستيلاء عليها لحرمان الصليبيين فى بلاد الشام من المساعدات الأوربية عن طريق هذا الميناء الهام . وأبلغ دليل على ذلك ما قام به صلاح الدين عقب استرداد بيت المقدس بالمسارعة الى تحصينها بترميم أسوارها وتشييد أبراجها تحسبا لما قد تتمرغ له من هجوم من قبل الصليبيين <sup>(٢)</sup> .

وتحقق ما توقعه صلاح الدين ، فالصليبيون ببلاد الشام وكذلك من وفد

(١) أنظر ما سبق ص

(٢) أنظر المصادر ، الفتوح ، ص ٢٧٦ .



اليهم من الغرب ، لما علموا بما حل بالحمة الالمانية من كوارث أدت الى عجزها عن الوصول لنجدتهم ، وكذلك علموا بما قام به زعماء الحملتين الفرنسية والانجليزية من اعادة الأشهر الطويلة في جزيرة صقلية فضلا عن اتجاه ريتشارد الى جزيرة قبرص واستيلائه عليها ، وأو أنه لم يبق أمامهم سوى الاعتماد على أنفسهم وعلى ما عساه يصلهم من جموع صليبية متفرقة ، يحتفلونها في الدفاع عما بقى من أشلاء مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية ببلاد الشام<sup>(١)</sup> وفي ذلك الوقت ظهر على مسرح الاحداث ملكهم السابق جاي لوزجنان الذي كان قد أسر في معركة حطين ، والذي حظي بشهادة صلاح الدين ووفائه بوعده الذي كان قد قطعه له فأطلق سراحه ، بعد أن تعهد لصلاح الدين بعدم معاداة المسلمين . وكما سبق القول فإن جاي لوزجنان لم يف بوعده لصلاح الدين ، بل اتجه الى صور واتفق مع كونراد مونتفرات على حرب المسلمين .<sup>(٢)</sup>

وجد الملك جاي لوزجنان نفسه يشمر بثقة كافية ليقود جيشه الذي ارتفعت روحه المعنوية بتوليئه قيادته ليتحول من مجرد الدفاع عن أشلاء مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية الى محاولة استرداد مدنهم التي كان صلاح الدين قد استولى عليها وعزم جاي لوزجنان على تجريد حملة ضد مدينة عكا ، فسارت جموع الصليبيين من صور في رجب من سنة ٥٨٥هـ / أغسطس ١١٨٩م وما يدل على سيطرة المسلمين على مدن ومما قل الساحل الشامي ان الصليبيين قد

(١) أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٢ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص

Ehrenkreutz, Saladin. P. 213.

(٣)

سلخوا في طريقهم الى عكا ساحل البحر ٥ ولم يكن في مقدورهم الاعتماد عليه  
 مهما كلفهم ذلك من مشقة الطريق ٥ ومراكبهم تسير في مقابلهم في البحر فيهبها  
 سلاحهم وذخائرهم ٥ وعلى الرغم من ذلك الاحتراس فان يرك الذي كان قد  
 تفوق على طول الطريق الذي عبروه استطاع ان يتخطف منهم اعدادا كثيرة ٥  
 (١) المسلمين

وما ان علم صلاح الدين بمسير الصليبيين الى عكا حتى عظم عليه الامر ٥  
 ولكنه لم يسارع باداء الامر بالمسير اليهم لأنه ظن ان تحركهم ذلك كان بهدف  
 خداعه ليرتك حصار قلعة شقيف ارنون التي كان يحاصرها وقتذاك ٥ الا أنه عندما  
 تأكد له عزم الصليبيين على السير الى عكا جمع أمراءه وأصحاب الرأي من جيشه  
 واستشارهم في الأمر ٥ وهنا يذكر ابن الاثير ان صلاح الدين خيرهم بين المسير  
 بمحاذاة الصليبيين في طريقهم الى عكا ومقاتلتهم وهم سائرون وبين ان يسلكوا  
 طريقا آخر غير الذي سلكه الصليبيون ٥ ويجمعوا بهم على عكا ٥ وفضل معظم  
 أصحابه الرأي الثاني محتجين بأن السير بمحاذاة الصليبيين فيه مشقة عليهم  
 بسبب وعورة الطريق وضيقه ٥ أما المهاد وغيره ممن نقل عنه ٥ فيذكرون أن صلاح  
 الدين كان يرى أن يسيرهم في الداريق ويواقضهم عند الضيق لينضمهم من  
 الوصول الى عكا ٥ (٥) والحقيقة أن صلاح الدين هاجم الصليبيين أثناء مسيرهم

(١) عن اليوزك أنظر ما سبق ٥ ص

(٢) ابن الاثير ٥ الكامل ٥ ج ١٢ ٥ ص ٣٣ ٥

(٣) ابن شداد ٥ النوادر السلطانية ص ١٠٣ ٥

(٤) ابن الاثير ٥ الكامل ٥ ج ١٢ ٥ ص ٣٤ ٥

(٥) المهاد ٥ الفتح ٥ ص ٢٩٧ ٥ ابوشامة ٥ كتاب الروضتين ٥ ج ١٢ ٥

ص ١٤٣ ٥ ابن واصل ٥ فوج الكروب ٥ ج ٢ ٥ ص ٢١٩ ٥

لاستطلاع تحطيم قواهم ومنعهم من الوصول الى عكا ، والدليل على ذلك أن الصليبيين أنفسهم كانوا يشعرون بذلك بدليل اصرارهم على لزوم ساحل البحر أثناء سيرهم الى عكا مهما كلفهم ذلك من مشقة ، فضلا عن أنهم كانوا عزلا من السلاح الا الخفيف منه ، وذلك لأن معظم أسلحتهم وذخائرهم كانت محطمة في المراكب التي كانت تسير بحذاءهم في البحر . ولعل مما يؤكد ذلك أيضا ما ذكره ابن الأثير من أن المساكرا الاسلامية لو اتبعت رأي صلاح الدين في مسيرة الصليبيين وفقا لتلهم قبل نزولهم على عكا لبلغ غرضه وصد هم عنها .  
(١)

ومهما يكن من أمر ، فإن الجيوش الصليبية بقيادة الملك جاي لوزجنا وصلت الى عكا وعسكرت على تل الصليبين ، وأحاطت بالدينة احاطة تامسة ، ولم يبق للمسلمين طريق اليها . الأمر اضطر صلاح الدين عندما وصل اليها الى اقامة معسكره على تل كيسان وتل المياضية ، حيث أحاط بالصليبيين من الخلف لمنعهم من الخروج وكذلك منع وصول الامدادات اليهم . وبدأ صلاح الدين في مفاوضاتهم باليزك في وقت كانت المساكرا الاسلامية تتوافد للجهاد معه من كافة الأقطار فقد وصله وهو على تلك المنزلة كل من عسائر الموصل وديار بكر وسنجار  
(٢)  
وبلاد الجزيرة وغيرها .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٤ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن الأثير ،

الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٤ ، المعاد ، الفتح ، ص ٢٩٨ .

ولما رأى صلاح الدين أن الصليبيين قد استداروا بعكنا بحيث تمكنوا من منع المسلمين من الدخول والخروج منها ، ثارت همته العالية ، وعزم على فتح الطريق إليها لادخال الحيرة والنجدة الى الحامية الاسلامية بالداخل .

فاحضر أمراءه وأصحاب الرأي من دولته وشاورهم في مضايقة الصليبيين . واتفق معهم على مضايقة البلد وفتح ثغرة فيه يستطاع منها ادخال المدد الى الحامية بالداخل . فلما كان يوم الجمعة مستهل شهر شعبان من سنة ٥٨٥هـ / سبتمبر ١١٨٩م ، رتب صلاح الدين عسكره ميمنة وميسرة وقلبا ، ورأى أن يبدأ الحملة عقب صلاة الجمعة تيمنا بدعاء الخطباء . وجرت بين الطرفين حملات كثيرة طوال ذلك اليوم استمرت الى أن طال الظلام بينهما . ولما أصبح يوم السبت ثانى شعبان أنفذ صلاح الدين فرقة من شجمان جيشه الى الناحية الشمالية من عكا مستغلا خلوه ذلك الجانب من خيام العدو ، فلما رأى الصليبيون ذلك أسرع جمع منهم لحماية تلك الجهة . الا أن عسكر المسلمين حطوا عليهم حملات متكررة ، فكسروا الصليبيين كسرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كثيرا ، ثم تبعتهم بقية الجموع الاسلامية ، في حين وقف اليك الصالحى مانعا الصليبيين من الخروج من معسكرهم ، ومنع من يحاول الدخول اليهم . وهكذا تمكن المسلمون من فتح الطريق الى داخل عكا ، وصار الطريق سهلا يمر فيه السوق بجوانبه ، ويمر الرجل أو المرأة دون أن يفترض طريقه أحد ، واليك واقف بين الطريق وبين العدو . ودخل صلاح الدين في ذلك اليوم الى عكا ومعه الجموع الكثيرة من جيشه (١) وأشرف على أمورها وأدخل إليها ما أراد من الرجال والنساء والسلاح والاموال .

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ٣٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ص ١٩٤ ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ =

ويبدو أن المسلمين عندما دخلوا عكا أدركوا أنهم أصبحوا في مركز يمكنهم من مهاجمة الصليبيين في أي وقت ، لذلك تراجعوا عن القتال بعد فتحهم الطريق إلى عكا لسقي الدواب وأخذ الراحة ، على أن يعاودوا قتال العدو صباح الأحد ثالث شعبان . فلما كان الصباح تهيأ المسلمون للقتال وعزموا على مهاجمة المدو . ولكن بعض الأمراء المسلمين رأوا تأخير ذلك الهجوم إلى بكرة الاثنين رابع شعبان ، وأن يدخل المسلمون كلهم إلى داخل عكا ، ويخرجوا مع المسكر المقيم بالبلد لمهاجمة المدو في الخارج . وبالفعل دارت رحى الحرب يوم الاثنين بين المسلمين والصليبيين ، وهاجم المسلمون المدو والصليبي الذي احتسب بخيامة ، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى يوم الجمعة ثامن شعبان حيث عزم الصليبيون على ترك خيامهم والانتشار على التلال ، وملاقاة المسلمين الذين ازدادوا همة وشجاعة ، وأقعدوا بدورهم لمقاتلة الصليبيين . ودار بين الطرفين قتال استمر الليل مع النهار حتى كان الحادي عشر من شعبان ، حيث أدرك صلاح الدين أن تلك الخطة لا جدوى منها ، وأن من الأفضل توسيع الدائرة على الصليبيين لمهم يخرجون إلى مصارعهم . ونقل صلاح الدين ثقله إلى تل المياضية ، وهو تل قبالة تل المصليبين يمتاز بأشرفه على عكا وخيام المدو . وفي تلك المنزلة جرت بين الطرفين مناوشات متقطعة ، فكان المسلمون

---

= ص ١٠٢ ، ابن تخرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن الوردي ، تمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .  
 (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ابن وأصل منج الكوف ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، ابن تخرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٤٤ .

ينقادون القتال مع الصليبيين ويراوحونه • والصليبيون لا يظهرون من ممسكهم  
(١) ولا يفارقونه • وكان لا يخلو اليوم الواحد من قتل وسبي وجرح ونهب بين المسلمين  
(٢) والصليبيين •

ويبدو أن الصليبيين وهم في تلك المنزلة ملازمون لخيامهم وعساكر  
المسلمين تهاجمهم صباحا ومساء • أدركوا أن ذلك سوف يكبد هم خسائر  
جسيمة • إذ هو بمثابة استنزاف لهم • لذلك لما كان يوم الاربعاء الحادى  
والعشرون من شعبان تحركت عساكرهم حركة عظيمة لم يسبق لها مثيل - ويبدو  
أن وصول كونراد دى مونتفرا من صور على رأس قواته اليهم أواخر شهر أغسطس  
سنة ١١٨٩م قد شجعهم على تلك الانتفاضة • واصطف الصليبيون خارج خيمهم  
تعبئة للقتال • وعزموا على مهاجمة المسلمين • وفى المقابل فان صلاح الدين  
ما أن علم بتحركهم ذلك حتى أمر الجاويش بالمطادة فى جيشه " يا للاسلام " (٤)  
فركب المسلمون تعبئة القتال • ولم يزل الصليبيون يتقدمون والمسلمون يسحبون  
فى اتجاههم حتى علا النهار وبدأ القتال يتحرك ميسرة الصليبيين على ميمنة  
المسلمين • ثم ما لبثت المعركة أن اشتدت بين الطرفين واشتركت فيها كل  
الفرق • وتعرضت ميمنة المسلمين للهفط من جانب ميسرة المد وفتراجعت الى

(١) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٣٦ •

(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٠٨ •

(٣) أنظر سعيد طاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٥٧ •

(٤) عن الجاويش أنظر ما سبق فى الفصل الثانى •

تل المياضية • أما ميسرة المسلمين ، فانها ثبتت لأنها لم تصادف هجومًا قويا •  
وهنا أخذ صلاح الدين يقوى الروح المعنوية في نفوس جنده • فأخذ يطوف  
على الاطلاب <sup>(١)</sup> يعدهم الوعود الجميلة ، ويحثهم على الجهاد • الأمر الذي  
قوى من عزيمته المسلمين للمودة الى القتال خاصة بحد أن رأوا أن ميسرتهم  
لا تزال ثابتة ، فبادروا الى ميدان القتال وحملوا مع بقية الجيوش الاسلامية  
على الصليبيين الذين أخذتهم " سيوف الله من كل جانب " وقتل وأسر منهم جمع  
كثير • وكان من جملة الاسرى مقدم الداوية الذي كان صلاح الدين قد أسره  
وأطلقه • <sup>(٢)</sup>

ولما قتل من الصليبيين ذلك العدد الكثير ، وجافت الأرض من نثر  
ريحهم خشى صلاح الدين على جيشه من نتيجة ذلك وما قد يسببه من أوشة  
فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع ، وترك ضايقه الصليبيين ،  
ووافقهم الاطباء على ذلك ، فأجابهم صلاح الدين الى ذلك ونقل معسكره الى تل  
<sup>(٣)</sup>  
الخرميه وذلك يوم الخميس ٢٩ شعبان ٥٨٥هـ / منتصف أكتوبر ١١٨٩م •

ويبدو أن الصليبيين قد استفادوا من انتقال صلاح الدين الى هذه

- 
- (١) الاطلاب : جمع طلب ؛ وهو الكتبة من الجيش ، ومعناه الاصلى الامير الذي  
يتقدم مائتي فارس في ميدان القتال وأطلق أيضا على قائد المائة أو السبعين )  
أنظر ابوشامه ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٦١٤ ، حاشية ) •  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٩ - ١١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ،  
ج ١٢ ، ص ٣٧ - ٣٩ ، ابوشامه ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٥ - ١٤٦  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ،  
ص ٤٠ •

المنزلة الجديدة ، وذلك لأن صلاح الدين كان وهو على تل كيسان على اتصال بقواته في عكا ، أما وقد انتقل إلى تل الخروبه فقد غدا في استطلاع الصليبيين (١٠) الاحاطة بمكانا حاطة تامة ، فضلا عن أنهم وجدوا بذلك الفرج بعد الضيق فشرعوا في حفر الخندق حول معسكرهم من البحر إلى البحر وأخرجوا ما كان في مراكزهم من آلات الحصار وعقبوا الخندق ، وأداروا حولهم سورا مستورا (٢) بالسناثر وتركوا له أبوابا يظهر من منها عند الحاجة .

وعلى الرغم مما ذكره بعض الكتاب الأوروبيين من أن جيش صلاح الدين لم يكن في ذلك الوقت في حالة تمكنه من متابعة نجاحه ، وأن صلاح الدين قد استسلم لرأى قاده بالتراجع لاعطاء المسكر راحة كافية بعد عكا خمسين يوما تحت السلاح ، الأمر الذي مكن الصليبيين من تحصين أنفسهم وتمييق خندقهم . (٣) فانه يمكن القول بأن ذلك لم يكن هو السبب في تراجع صلاح الدين بل أن هناك أسبابا أخرى دفعت إلى ذلك ، منها أنه قصد بتراجعهم ذلك انتظار النجدة التي كان يتربص وصولها وفي مقدمتها أخوه الملك المادل الذي وصل إليه بعد انتقاله إلى تل الخروبه بدة وجيزة على رأس قواته البرية فضلا عن وصول الاسطول المصري . وما أن اقترب الاسطول المصري من ساحل عكا

(١) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٧ .

(٢) ابن واصل ، فرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ابن الأثير ،

الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠ - ٤١ ،

(٣) Ehrenkreutz, Saladin, p. 214, Lane-Poole, op cit. P. 2, 5.



حتى لقيه اسطول الصليبيين ، فدارت بين الاسطولين معركة بحرية قوية ، تمكن  
الاسطول المصرى فيها من تكبيد الاسطول الصليبي خسائر جسيمة وغنم منـه  
غنائم كثيرة ، ودخل بعدها الى عكا ، حيث أفرغت المراكب التى تحمل المير  
والذخائر الصالحة له حولتها داخل البلد ، فطابت قلوب المسلمين داخل  
عكا ، وانشرحت صدورهم بذلك . هذا فضلا عن تعرض صلاح الدين لمعرض  
ألم به أثارته تلك الروائح الكريهة التى أعتبت الوقعة الكبرى على عكا ، وكذلك  
تغير الهواء عليه بسبب تقلبات الطقس . كما كان لفزارة الامطار التى أصبح  
الغطين على أثرها عميقا لدرجة أن الجيشين كانا لا يمكنهما الاقتراب من بعضهما  
أثره الكبير فى تراجع صلاح الدين<sup>(٣)</sup> ولا يستبعد أيضا أن صلاح الدين نظرا  
لحلول شهر رمضان فى ذلك الحين قد رأى تمكين أصحابه من صياحه والاستزادة  
من العبادة فيه .  
(٤)

وعلى كل فقد دخلت سنة ٥٨٦هـ / صلاح الدين مقيم على الخرويس  
محاضر للفرنج ويذكره وطلائمه لا تنقطع عن قتال الفرنج فى كل يوم ، ينتظرون  
وصول حكام المسلمين الذين وجه اليهم الدعوة لمشاركته الجهاد . فوصله  
(٥)

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٢ ، ابن الاثير ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤١ ،

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠ ، Lane-Poole, op, Cit. P. 266.

(٣) Ehrenkreutz, Saladin. P. 214.

(٤) أنظر نذير حسان سعادوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٣١ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٤ ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ،  
ص ١٠٣

في ربيع الأول من سنة ٥٨٦ هـ / أبريل ١١٨٩ م رسول الخليفة المباسي ومعه  
 حملان من النفط وجماعة من النفاطين هـ ورقه من الديون تتضمن أن يقترض  
 مبلغا من المال من التجار ينفقها في الجهاد على أن يتولى الديون العزيز  
 رد ها • (١) كما وصله في الشهر نفسه ولده الملك الظاهر غياث الدين صاحب  
 حلب بوصية جيوشه لخدمته والجهاد معه • وفي ربيع الثاني من السنة نفسها  
 وصله عماد الدين زنكي بن دود بن زنكي صاحب سنجار على رأس عسكره • وفي  
 جمادى الأولى وصله سند جر شاه ممز الدين صاحب الجزيرة على رأس عسكره  
 أيضا هـ كما وصله في الشهر نفسه علاء الدين خرمشاه بن مسعود بن دود  
 ابن زنكي نائبا عن أبيه عز الدين مسعود صاحب الموصل هـ كما وصله في الشهر  
 نفسه أيضا زين الدين علي يكتنن صاحب اربل • ولا شك أن صلاح الدين قد  
 قرح بمقدم هذه الجيوش التي يدل تجمعها هـ واستجابتها له بالمسير اليه  
 لمشاركته الجهاد هـ على تأصل فكرة مشروعية الجهاد الاسلامي في نفوسهم هـ  
 وجههم الشديد للدفاع عن حوزة الاسلام هـ واعلاء كلمة الله ورد كيد الممتدين  
 وبالفعل فقد تمكن صلاح الدين بعد وصول تلك الامدادات من الحاق  
 خسائر فادحة بالصليبيين الذين كانوا قد تمكنوا خلال مقامه بالخروبة من قاصمة

(١) ابن شداد هـ النوادر السلطانية هـ ص ١١٨ - ١١٩ •

(٢) ابن شداد هـ النوادر السلطانية هـ ص ١١٨ - ١٢٣ هـ ابو شامة هـ

كتاب الروضتين هـ ج ٢ هـ ص ١٥٣ هـ الحقيزي هـ السبلوك هـ

ج ١ هـ ص ١٠٣ •

أبراج ثلاثة من الخشب على عكا طول كل واحدة منها ستون ذراعا ، وكل برج منها  
مكون من خمس طبقات كل طبقة مملوءة بالمقاتلين • وما أن رأى صلاح الدين ما  
سببته تلك الأبراج من مخاوف للمسلمين داخل عكا ، حتى أخذ يفكر في إحراقها  
وأهلاك من بداخلها • فجمع الصداق من الزاقيين والنفاطين وباحثهم فسمى  
الاجتهاد في إحراقها ، فتقدم لذلك الأمر شاب دمشق ، استطاع إحراق  
عذه الأبراج الثلاثة وهلاك من فيها ، وذلك أنه تمكن من ابتكار عملية كيميائية  
بارعة ، تتلخص في طبخ بعض الأدوية مع كميات من النفط في قدر من النحاس  
ومن ثم رميها على تلك الأبراج الثلاثة • وفي الوقت نفسه تقدمت جيوش المسلمين  
إلى ذلك المكان ، وانزلت بالصليبيين خسائر جسيمة في الأرواح والمعاد (١)

والواقع أن صلاح الدين الذي أهتم بالجهاد ضد الصليبيين في ذلك  
الحين لم يكف بذلك الإمدادات التي وصلت من المشرق الإسلامي ، بل عمد  
إلى إرسال سفارة من قبله إلى ملك المماليك أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن  
يطلب منه العدد وذكر له أنه لم ير أهلا لكتابه ولا أكفا لانجاده إلا ذلك الجانب  
( يقصد ملك المماليك ) وذلك لأن همته « لا ترضى أن يمين الكفر الكفر ولا يمين  
(٢)

الاسلام الاسلام » كما طلب منه أن يقطع عن الصليبيين إمداداتهم التي كانت

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، العماد ، الفتح ،  
ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ابن  
واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٦ ب ، ابن المديم ، زبدة الحلب ،  
ج ٣ ، ص ١١٧ •

(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ •

تصلهم عن طريق البحر ، وذلك باعتبارها في عرض البحر . وعند وصول هذه  
السفارة الى المضرب في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م تمهد ابو يوسف يعقوب بارسال  
(١)  
اسطوله لمرقلة نشاط الصليبيين في مياه البحر المتوسط .

ويمكن القول بأن الحرب بين المسلمين والصليبيين على عكا لم تسر على  
وتيرة واحدة بل كانت تأخذ في معظم حالاتها أسلوب المناوشات المتقطعة ،  
ولكنها ما تلبث أن تحدث ففدور بين الطرفين مراك قوية لا تستمر في غالب  
حالاتها وقتا طويلا . فقد حدث في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٦هـ / يوليية  
١١٩١م أن خرج الصليبيون من وراء خنادقهم بعد أن قضوا خلافها وقتا كانوا  
فيه يشاهدون المناوشات مع الجيش الاسلامي الذي كان يحاصرهم خلف أسوارهم  
وخنادقهم . وقد مولد نحو عساكر المسلمين . وهنا تختلف الروايات في السبب  
الذي دفع الصليبيين الى ذلك التحرك ، فيذكر البعض أن السبب الذي شجهم  
على ذلك هو وصول فردريك السوابي ابن ملك الالمان الى عكا على رأس فلول  
جيش ابيه . في حين يذكر الحماد الاصفهاني في كتابه الفتح أن سبب تلك  
الانتفاضة الصليبية هو سماعهم بقرب وصول ملك الالمان حيث قالوا " انه اذا جاء  
لا يبقى لنا حكمة " وانهم رأوا أن من الأفضل أن يقوموا بهجوم على المسلمين قبل

---

(١) أنظر ابو شامة ، كتاب الرضوتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٤ ، سميح

طشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٠ .

(٢) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١٢٩ أ ، الحماد ، الفتح ، ص ٤٠٣

(١)

وصوله لى شيخ اسمهم ويظهرون أمامه يعظه القوى المنتصير .

ومهما يكن من أمر فان الصليبيين قد وضعوا فى أذهانهم — على ما يبدو — انزال ضربة قوية بقوات الملك المادل القادمة من مصر ، واستعدوا لتوجيه ضربة قوية بتلك المراكب الاسلمية المصرية . والتقى الجمعان ، ودار بينهم قتال شديد . وبالرغم من مباغطة الصليبيين لجيش الملك المادل ، فان تلك القوات الايوبية القادمة من مصر تمكنت من التقدم فى معسكر الصليبيين والوصول الى خيامهم ، حيث قامت فرقة منها بقطع الامدادات التى كانت تصل الصليبيين فى ميدان المعركة . أما صلاح الدين فانه ما أن علم بذلك الهجوم حتى نادى مناديه بالجهد فركب عسكريه تمهية للقتال ، دارت بين الطرفين معركة حامية انتهت بانتصار مؤزر للمسلمين ، وهذه المعركة هى التى عرفت فى المصادر العربية بالوقعة المادلية .

(٢)

ولم تقتصر الحرب بين المسلمين والصليبيين على تلك المناوشات المتقطعة وما صاحبها من مراكب ضاربة ، بل انها قد اتخذت الى جانب ذلك طابعا آخر استهدف المسلمون منه ما أقامه الصليبيون على عكا من آلات الحصار

(١) المصاد : الفتح ، ص ٤٠٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٩ — ١٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ابن واصل ، مفتي الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات

٤٦ ، ج ١ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

وأدوات الدفاع • فقد حدث في رجب من سنة ٥٨٦هـ / أغسطس ١١٩٠ أن اشتد طمع الصليبيين في عكا ونصبوا عليها المنجنيقات من كل جانب • وتناوبوا على رمى البلد بها ليلا ونهارا • ولما رأى من بداخل عكا من المسلمين ما تلحقه تلك المنجنيقات بهم من الضر • حركتهم النخوة الإسلامية • وعزفوا على فتح أبواب المدينة ومهاجمة الصليبيين خارجها • ففعلوا ذلك وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب • وهاجم المسلمون الصليبيين في خيامهم • فاشتغلوا بحماية خيامهم وتركوا المنجنيقات • فصوت إليها شهب الزراقيين واشتد غلت فيها النيران (١) وأحرقت عن آخرها • وفي شعبان من نفس السنة حاصر الصليبيون برج الذبان • الذي وصفه ابن شداد • بأنه برج في وسط البحر بني على الصخر على باب ميناء عكا لحراسة الميناء • لأن المركب متى عبره أمن ظلة المدو • كما أن الاستيلاء عليه يجعل الميناء تحت سيطرتهم فيقيمون السفن المحملة بالمسيرة من الوصول إلى البلد • وأحضر الصليبيون سفنا جعلوا على صواريخها برجا طاليا مملوءا بالحطب والنفط • على أن يسيروها باتجاه البرج • فاذا قاربت أشعلوا النيران فيها لإحراق البرج وقتل من عليه من الجنود • وعيىوا سفينة ثانية مملوءة حادبا ووقودا على أن يدفعوها إلى أن تدخل بين سفن المسلمين • ثم يشعلون النيران لتمتد النيران منها إلى سفن المسلمين فتحرقها مع ما فيها من المسيرة كما شحنوا سفينة ثالثة بالجنود • وجعلوا عليها حادجا على هيئة قبة يمنع عنهم

---

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٣٤ • ابن واصل • مفتي الكروب • ج ٢ • ص ٣٣٥ •

سهام المسلمين ، فاذا ما أحرقوا ما أرادوا إحراقه دخلوا ذلك القيو • وبالرغم من أن اتجاه الرياح كان يادى الأمر يسير على ما يريدون ، فان قدرة الله شاءت بعد أن أشعلوا النار فى البحر الذى أقاموه على صوارى السفن ، وكذلك السفينة التى كانوا يزعمون ارسالها بين سفن المسلمين ، أن انعكس اتجاه الرياح عليهم فاحترقت سفنهم الأولى التى عليها البحر وكذلك الثانية ، ثم امتد النيران الى التى بها الجنود وعليهم القيو ، فانزعج من بداخلها من الصليبيين ، ولم يستطيعوا الخروج من القيو فهلكوا جميعا •

( ١ )

وبالرغم من تلك الكارثة التى حلت بالصليبيين عند محاولتهم الاستيلاء على بحر الذبان ، فانهم لم ينقطع أملهم فى أخذ ذلك البحر ، حيث عادوا مرة أخرى ، ووضعوا آلة عظيمة على هيئة دبابة لها رأس عظيم برقية شديدة من الحديد تسمى كبشا ينطج بها السور فتهدمه بتكرار تطحها ، كما استخدموا آلة أخرى هى عبارة عن قيو فيه عدد من الجنود ورأسه محدد على شكل السمكة التى تستخدم فى الحرث تسمى سنورا ، فرأس الكبش مدور يهدم بثقله ورأس السنور يهدم بحده • كما استخدموا أيضا الستائر والسلاليم الكبار الهائلة • وأعدوا قيو

( ١ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، أبو شامة ، كتاب الرضخين ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٨ ، أنظر أيضا ، الصمد ، الفتح ، ص ٤٢٩ ،

Lane-Poole, op Cit. P. 271.

( ٢ ) عن الدبابة أنظر ما سبق ، ص

البحر سفينة عظيمة أقاموا بها برجاً بخروطوم اذا أرادوا قلبه على السور انقلب  
 بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه فتمشى عليه المقاتلة وعزموا  
 على شربه الى برج الذبان فيأخذوه • ولما اكتملت استعداداتهم شرعوا فنى  
 الزحف على البلد ومقاتلته من كل جانب وهم فى خلق لا يحصى • وأعلمهم  
 المسلمون يادى الأمر حتى نشبت مغاليب أطامهم فى عكا ، وصحبوا آلاتهم  
 تلك وقربوها من الاسوار ، وعند ما أصبحوا على تلك الحالة ، صاح المسلمون  
 عليهم صيحة واحدة ، وفتحوا الأبواب • وعاو أنفسهم لخالفها وباربها • كما  
 يقول المؤرخ ابن شداد ، وهجموا على الملعو من كل جانب وكبسه فى الخنادق •  
 ولما رأوا ما نزل بالصليبيين من الخذلان والهزيمة هجموا على كبشهم فألقوا فيه  
 النار والنفط ، وتكنوا من احراقه لهرب المقاتلة منه • ثم سرت النار كذلك  
 فى السدور واحرقته ثم علق المسلمون فى الكبش الكلاب الحديدية وسحبوه وهو  
 يشتمل حتى حصلوه عند هم فى البلد ، وكان هذا الكبش يتألف من عدد من  
 الآلات • والقى عليه الماء حتى برد حديد به بعد أيام وكان هذا فى رمضان  
 (١)

من سنة ٥٨٦هـ / أكتوبر ١١٩٠م •

ومن هنا يظهر لنا مدى سيادة المسلمين على الموقف ، وكذلك مدى ما  
 وصل اليه الصليبيون من المهلع والخوف ، حيث لم يكتف المسلمون بالطاق الضرب

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٠ - ١٤٢ ، العماد ، الفتح  
 ، ص ٤٣٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٥ ، ابن كثير ،  
 البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٨ •



بالآلات الصليبيين ، بل عدوا الى الاستفادة منها في جهادهم لتصفيتهم . ولما كان يوم الاربعاء منتصف شهر رمضان خرج المسلمون على ظهور سفنهم ، وباغتوا تلك السفينة الصليبية التي كانت قد أخذت لاخذ برج الدبان ، فضربوها بقوارير النفط ، وباءت محاولة الصليبيين لأخذ البرج بالفشل الذريع .<sup>(١)</sup> وفي جمادى الأولى من سنة ٥٨٧هـ / يونيه ١١٩١م ، هاجم الصليبيون سفينة اسلامية كانت قد سیرت من بيروت بعد شحنها بالآلات والأسلحة والخيول والرجال ، وكان مقدمهم رجلا شجاعا . فما أن رأى أم رت الغلبة عليهم حتى أشار على أصحابه باغراق سفينتهم بأيديهم لئلا يتمكن العدو من الظفر بها ، فوقعوا في جوانبها بالماول حتى دخل الماء اليها ، ففرقت ، وغرق جميع ما فيها من الآلات

(٢)

والمسير ، ولم يظفر العدو بشيء منها . وهنا يبدو أن المسلمين الذين كانوا داخل عكا قد أزعجهم ذلك الحدث ، فمزموه على مهاجمة الصليبيين وتكبيد هم خسائر أكثر لكي يثبتوا لهم أن غرق السفينة لم يؤثر عليهم . فحدث في ذلك الوقت أن اصطنع العدو دبابه عظيمه هائلة مكونة من أربع طبقات ، الطبقة الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد ، والرابعة من النحاس ، وكان ارتفاعها أكثر من ارتفاع السور ، وشحنوها بالمقاتلة وقربوها من السور لمهاجمة المسلمين في الداخل . إلا أن المسلمين بادروا بضربها بالنفط ، واستمرضهم ليلا ونهارا حتى تمكنوا من اشعال النار فيها واحراقها

(٣)

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٣ .
- (٢) ابن شهاده ، المصدر نفسه ، ص ١٦١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٦٥ ، الحماد ، الفتح ، ص ٤٨٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٤٤٣ .

وعلى الرغم من تلك الخسائر التى ألحقها المسلمون بالصليبيين ، فإن الغرب الأوروبى لم تنقطع امداداته عن الصليبيين ببلاد الشام . الأمر الذى مكن الصليبيين من مواصلة حصارهم لمكا . وفى الوقت الذى كان صلاح الدين فيه قد حقق انتصارات عظيمة على الصليبيين سواء فى الممارك أو فى تحطيم آلاتهم وأدواتهم ، وصل الى المشرق الاسلامى أعظم ملوك أوروبا فى ذلك الحين وهما الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا . وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، اللذين سلكا طريق البحر الى هناك . ولاشك أنه كان لوصولهما أثره البالغ فى رفع الروح المعنوية للصليبيين ، حيث أبحر ملك فرنسا من مدينة جنوا ، وأبحر ملك إنجلترا من مرسيليا . وتقابلتا فى جزيرة صقلية ، وهناك قضيا ومعهما جيوشهما نحو ستة أشهر يتمتمون بدفء الشتاء فى الوقت الذى كانت فلول الصليبيين ببلاد الشام ، المتجمعة أمام عكا . تنتظر حضورهما فى قلق بالغ .

وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا مكث فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد تلك المدة الطويلة فى جزيرة صقلية ، والذى يبدو أن السبب فى ذلك يرجع الى العداء التقليدى المتأصل بين فرنسا وإنجلترا ، ومن المحتمل أن كل من فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد كان يطمح فى أن يسير أحدهما قبل الآخر الى بلاد الشام ليكون كبش الفداء ، اذا ما حدث لتلك الحملة حادث على خلاف

---

( ١ ) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٣ ، باركو ، الحروب الصليبية ، ص ٨٩ . Lane-Poole, Op. Cit. P. 281.

المتوقع ، بينما يقوم الملك الآخر عند ذلك بدور المنقذ ، ويكون بذلك قد كسب  
 بإنهاك القوى الاسلامية ببقاء صلاح الدين ، فضلا عما يناله من مكانة عظيمة  
 في الغرب الأوربي . وما يدل على ذلك أن فيليب أغسطس ظا در صقلية في نهاية  
 مارس سنة ١١٩١م متجها نحو صور حيث رحب به قريبه كونراد مونفراات الذي  
 صحبه الى عكا فوصلها ١٢ ربيع الاول من سنة ٥٥٨٧هـ / ٢٠ ابريل ١١٩١م . بينما  
 غادر ريتشارد فيليب قلب الأسد صقلية في ابريل من نفس السنة قاصدا عكا ،  
 فهبت عاصفة قوية أثناء سير سفنه في البحر ، ففقد ريتشارد عددا منها ، لذلك  
 أخذ يجوب جزر البحر المتوسط الشرقية بحثا عن تلك السفن المفقودة . وانتهى  
 به الأمر الى أن رسى في جزيرة قبرص ، حيث وجد أن تلك السفن الضائعة قد  
 رست عند تلك الجزيرة ، وكان حاكمها واسمه اسحق كومنين قد استولى على  
 سفن ريتشارد التي لجأت الى الجزيرة ، فأسر رجالها وضم ما تحمله . الأمر  
 الذي أغضب ريتشارد منه وجعله يهزم على الاستيلاء عليها . وبمقت ريتشارد الى  
 الصليبيين ببلاد الشام يطلب نجدة ، فأنفذوا له جفرى أخو الملك جاي ، فهاجم

( ١ ) الخ النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ٣٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية  
 ، ص ١٥٧ ، المطاد ، النتج ، ص ٤٧٤ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،  
 ص ١٨٣ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ابن الصبى ،  
 تاريخ مصر الدول ، ص ٢٢٢ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ،  
 ص ٨٦٣ ، باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٨٩ .  
 ( ٢ ) عين الامراء اوراليزنطى اندرونيق الاول كومنين ( ١١٨٢ - ١١٨٥م ) قريبه  
 اسحق كومنين على جزيرة قبرص منذ سنة ١١٨٤م ، غير أن اسحق لم يكسب  
 يصل الى الجزيرة حتى استبد بالامور وقطع صلته بالقسطنطينية ، وتلقب بلقب  
 امبراطور قبرص ، ونجح في توطيد سلطانه في الجزيرة ، حتى تمسك على  
 اباطرة القسطنطينية عزله أو التخلب عليه ( انظر سعيد عاشور ، قبرص  
 والحروب الصليبية ، ص ٢٤ ) .

ريتشارد الجزيرة وضيق الخناق عليها ، وانتهى الأمر باستيلائه عليها وكسب  
(١)  
الصليبيون بذلك مركزا هاما سهلا لهم للاتصال مع أوروبا .

سار ريتشارد عقب ذلك من قبرص باتجاه ساحل الشام ، ويقال أن  
ريتشارد اتجه أول الأمر الى صور ، فرفضت حاميتها السماح له بالدخول ،  
وذلك وفقا للتعليمات التي تركها فيليب أغسطس وكونراد (٢)  
الى الاتجاه مباشرة الى مدينة عكا التي وصلها في ١٣ جمادى الأولى سنة  
٥٨٧هـ / ٨ يونيو ١١٩١م . وكان لوصول ريتشارد الذي وصفه ابن شداد بأنه  
(٣)  
" شديد البأس عظيم الشجاعة ، قوى المهمة له وقمات عظيمة وجسارة على الحرب " ،  
الى بلاد الشام أثرها البالغ على نفوس الصليبيين الذين أظهروا الفرح والسرور به ،  
وعبروا عن ذلك باسعمال النيران العظيمة احتفاء بحقد مه (٤)

وعلى كل فان وصول هذين الملكين وهما محملان بالأسلحة والذخائر  
والقوة وغيرها ومعهما الرجال قد أعطى الصليبيين دفعة قوية لمواصلة حصارهم  
لعكا . حيث يذكر أن ملك فرنسا قد وصل الى عكا ومعه ست سفن كباره كما

---

(١) الصمد ، الفتح ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ، أنظر تفصيل ذلك في سميد  
عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٦ - ٣٠ ، باركر ، الحروب  
الصليبية ، ص ٨٩ .

(٢) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٤ .  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦١ ، الصمد ، الفتح ، ص ٤٨٤ ،  
ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ،  
ص ٣٥٠ .

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦١ .

(١)

وصل ريتشارد بعده ومعه خمس وعشرون قطعة مملوءة بالرجال والأموال . وبالرغم

من وضوح ذلك المداء التقليدى بين الملكين أمام عكا ، فإن تلك الحزازات لم

(٢)

تحل دون توحيد صفوف الصليبيين وتشديد الهجمات على عكا . فقد نصبوا

عليها المنجنيقات التى أخذ ضربها يتواتر على أسوار المدينة ليلا ونهارا ، وذلك

فى مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٨٧هـ / يوليو ١١٩١م . وفى المقابل فإن

صلاح الدين لم اعلم بذلك الهجوم الصليبي على عكا ، جمع الراجل والفارس

وحشهم على الجهاد ، وزحفت جيوشه على خنادق المدور ، واشتد زحفهم على

معسكر الصليبيين ودارت بين الطرفين معارك شديدة يوم الثلاثاء سابع الشهر

نفسه ، استمرت الى أن هجم الظلام فعاد السلطان الى تل المياضية . ولما

(٣)

كان سحر تلك الليلة أمر صلاح الدين بدق الكوس ، وركبت عساكره من كل جانب

واستمر هجومه ذلك حتى الصباح ، ووصل الى معسكره وفد من حامية عكا أطلع

صلاح الدين على ما وصلت اليه الحال فى الداخل ، الأمر الذى أثار حمية صلاح

الدين فحث جيشه على تقوية الهجوم . واشتد زحف عسكره على الصليبيين . إلا أن

تلك الهجمات الكاسحة لم تؤثر على صفوف الصليبيين الذين ثبتوا أمام هجمات

المسلمين ، حيث استمر القتال يعمل بين المسلمين على هذه الحال الى أن فصل  
والصليبيين

(٤)

الليل بينهم .

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ١٢ ص ٦٤ - ٦٥ ،

Lane-Poole, op. Cit. P. 273.

(٢) سميد عاصور ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٥ .

(٣) فن الكوس أنظر ما سبق ص

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ١٦٦ - ١٦٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين

ج ٢ ص ١٨٦ أنظر أيضا : Lane-Poole, op Cit. P. 291.

عاد الصليبيون بعد ذلك وشنوا هجنتوما مكثفا على أسوار المدينة بالانهم  
 ه فانهت مت من السور ثلثة ه ووقف المسلمون للدفاع عنها واستطاعوا سدها ه فسى  
 حين كانت قوات صلاح الدين تهاجم العدو من الخارج الا أن ذلك الهجوم القو  
 الذى شنه صلاح الدين على الصليبيين لم يفلح فى انتقاذا عكا ه فسأت أحوال  
 الحامية الاسلامية ه واضطر من بها من الامراء الى اجراء محادثات مع الصليبيين  
 على أساس التسليم ه وبدأت تلك المحادثات بين الطرفين بأن خرج الأمير  
 سيف الدين المشطوب بنفسه لمقابلة فيليب اضطس ملك فرنسا ه وذكر أن  
 المسلمين كانوا اذا أخذوا بلدا منهم ه وطلب من بذلك الملك الآمان على  
 أنفسهم أعطوهم ه وعرض عليهم تسليم البلد له بشرط أن يعطيهم الآمان على  
 أنفسهم ه الا أن ملك فرنسا الذى كان بعيدا كل البعد عن صفات الشهامة  
 والبروة التى كان صلاح الدين يتحلى بها ه امتنع عن اجابة طلبه ورد عليه ردا  
 دل على وخشيته ه الأمر الذى أثار نخوة سيف الدين المشطوب ه فأغلظ له  
 فى القول ه وكان مما قال له « انا ما نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ولا يقتل  
 واحد منا حتى نقتل خمسين نفسا من كباركم » ثم انصرف عن المشطوب ودخل  
 (١)

عكا يستثير الناس للجهاد وبذل أورا حهم فى سبيل الله ه

(١) ابن شداد ه النوادر السلطانية ه ص ١٦٨ ه ابو شامة ه كتاب الروستين ه  
 ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ ه ابن الاثير ه الكامل ه ج ١٢ ص ٦٦ ه ابن  
 واصل ه مغزى الكروب ه ج ٢ ص ٣٥٧ ه وسيف الدين المشطوب هو  
 ابو الحسن على بن احمد الهكاري ه المعروف بابن المشطوب ه أحد  
 الأمراء الصلاحية ه والهكاري نسبة الى قبيلة من الاكراد لهم ممالك وحصون  
 وقبرى من بلاد الموصل من جبهتها الشرقية ه توفى سنة ٥٨٨ ه (أنظر ابن  
 خلكان ه وفيات الاعيان ه ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣ ه ج ٣ ص ٣٤٥ ه)

وعلى الرغم من ذلك العنت من طغى فرنسا ، فان الصليبيين كانوا بلا  
شك يحسبون للقوة الاسلامية حسابا كبيرا بدليل ما ذكره ابن الاثير من أن الصليبي<sup>ين</sup>  
لم يكتفوا بالتفاوض مع قادة الحامية الاسلامية بمكا ، بل أنهم توجهوا كذلك الى  
مفاوضة صلاح الدين نفسه ، حيث ارسلوا اليه في أمر التسليم ، فأجابهم اليه  
على أن يالمقوا من بمكا من المسلمين ، ويدل على هو من أسراهم بعدد من فنى  
(١)  
البلد .

ومهما يكن من أمر فان صلاح الدين لما رأى ذلك اتعنت من الصليبيين ،  
أرسل الى من بمكا من المسلمين يحثهم على الصبر ، ويأمرهم بأن يخرجوا  
من المدينة واحدة بعد أن يحملوا على المدد وحيلة رجل واحد ، ووعدهم  
بأن يتقدم هو الى تلك الجهة التى يخرجون منها بمساكره ويقاتل الصليبيين  
حتى يتمكنوا من الخروج اليه . الا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب  
سيطرة الصليبيين على البلد . وهنا أدرك من بداخل عكا من المسلمين أنه لم  
يعد أمامهم سوى الجهاد والاستبسال فى قتال الأعداء ، فكتبوا الى صلاح  
الدين يذكرّون له أنهم قد تبايعوا على الموت ، وأنهم قد عزموا على الاستمرار  
فى القتال ، وأنهم لن يسلموا ما داموا أحياء .  
(٢)

- 
- (١) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٦٦ .  
(٢) ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٦٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٨ .  
(٣) ابن عسداد ، النوادر السلطانية ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابو شامة ، كتاب  
الروضتين ج ٢ ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٩ .

وعلى الرغم من تلك التضحية الكبيرة من أهل عكا وجههم للاستشهاد فسى  
 سبيل الله ، فانه يبدو أن صلاح الدين وأمرأه الذين كانوا بالداخل أمثال  
 الأمير سيف الدين المشطوب وغيره ، كانوا حريصين كل الحرص على سلامة أرواح  
 المسلمين . يدلنا على ذلك ما ذكر من أن سيف الدين المشطوب عندما رأى  
 الموقف ، خرج الى الصليبيين للمرة الثانية ، وقرر معهم تسليم البلد مقابل  
 خروج منه من المسلمين بأموالهم وأنفسهم ، وأن يدفع لهم فدية قدرها  
 مائتا ألف دينار وخمسمائة أسير ، فضلا عن إعادة صليب الصلوت ، ودفع مبلغ من  
 المال الى كونراد مونفترات صاحب صور . وهنا يذكر المؤرخ ابن شداد ، أن صلاح  
 الدين عندما وصلته رسالة مع أحد المواهب تذكر له تلك الشروط ، أنكر ذلك  
 (١) .  
 انكارا شديدا .

ومهما يكن من أمر فإن الصليبيين قد قبلوا تلك الاتفاقية ، وحلفوا لسيف  
 الدين المشطوب فسلم لهم البلد ، ودخلوه سلما . ولما دخل الصليبيون عكا  
 نقضوا عهودهم كما دت بهم وعقدوا بمن فيه من المسلمين ، واحتاطوا عليهم وعلى  
 أموالهم وجسوسهم وذلك في ١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ / يولييه ١١٩١م متظاهرين  
 بأنهم فعلوا ذلك حتى يصل اليهم ما اتفقوا عليه من الفدية والاسرى . وهنا شرع

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، أنظر أيضا ابن  
 الأمير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،  
 ص ١٨٨ ، ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ، ابن المديم ،  
 زبدة الطب ، ج ٣ ، ص ١٢٩ - ١٢٠ .



صلاح الدين في جمع الاموال ، واجتمع عنده مبلغ كبير من المال ، واستشار  
اصحابه في تسليمه للصليبيين ، فأشاروا عليه بأن يمود مرة أخرى فيستحلف  
الصليبيين على اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك ، لأنهم أهل تدبير  
ووفاء ، الا ان الداوية امتنعوا عن ذلك ، وقالوا ، لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف  
ف  
غير من عندنا ، عند ذلك علم صلاح الدين غدرهم فلم يجبرهم الى ذلك .  
(٢)

ولما رأى ريتشارد قلب الأسد توقف صلاح الدين عن بذل المال والأسرى  
وصليب الصلבות لهم ، لم يعاود الاتصال بصلاح الدين ، بل دفعه تهوره وحمله  
الى أن ساقى أسرى المسلمين الذين بمكة ، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم الى  
تل الميضية ، وأوثقهم بالحبال ثم حمل الصليبيون عليهم حملة واحدة وقتلوه  
عن آخرهم وذلك في ٢٧ رجب ٥٨٧ هـ / ٢٠ أغسطس ١١٩١ م .  
(٣)

وشتان بين هذا السلوك الهجى الذى اتبعه ريتشارد مع أسرى  
المسلمين بمكة ، وبين ذلك السلوك الانسانى الذى كان صلاح الدين قد اتبعه  
مع الصليبيين في مواقف كثيرة ، منها ما فعله بأسراهم عقب انتصاره في حطين

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٨ .
- (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٧٤ ، المعاد ، الفتح ، ص ٥١٣ .  
ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٧ - ٦٨ ، ابو شامة ، الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، سبط ابن الجوزى ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠٠ .
- (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٧٢ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،  
ص ١٨٩ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

ثم حجب استيلائه بيت المقدس ، اذ حرص دائما على السماح لأهل المدن التي استولى عليها من الصليبيين بمغادرتها سالمين . ولا شك أن ذلك التصرف الودعي الذي أتاه ريتشارد مع أسرى المسلمين في عكا لم تكن له نتيجة سوى إثارة النخوة الإسلامية في صفوف المسلمين ، الذين استثمروا ذلك الخطر الصليبي في قهوبهم من كافتل أقطار الإسلامية للجهاد ضد الصليبيين . وبالفعل فإن الجيوش الإسلامية قد منمت الجيوش الصليبية من تحقيق أي انتصار عقب دخولهم عكا ، وذلك لتفاني الجيوش الإسلامية في ميادين القتال المشهورها بزيادة الخطر الصليبي . فضلا عما أعقب دخول الصليبيين عكا من خلاف وشقاق بين قادتهم أدى إلى اختلاف كلمتهم وعجزهم عن تحقيق انتصار آخر غير دخولهم عكا ذلك الانتصار الذي لا يقاس في حد ذاته بما لحق بالصليبيين من خسائر .

#### معركة ارسوف وفشل ريتشارد قلب الاسد في استرجاع بيت المقدس :

وكيفما كان الأمر فبعد أن تمكن ريتشارد من دخول عكا بدأ يفكر في استرداد مدن الساحل الخامي التي استولى عليها صلاح الدين . ففي مستهل شعبان من سنة ٥٨٧هـ / أواخر أغسطس ١١٩١م ، أمر ريتشارد جيوشه بالمسير عبر الساحل في اتجاه حيفا . وما أن علم صلاح الدين بمسيرهم حتى نادى في عسكره بالجهاد ، وأمرهم بالمسير لملاقاة الجيش الصليبي واثناؤه عن تحقيق مهمته . فقامت فرقة من جيش المسلمين بمضايقة الصليبيين أثناء مسيرهم ، بينما قامت فرقة أخرى بالانقضاض على مؤخرة جيشهم فقتلوا منها جماعة وأسروا

(١)

جماعة أخرى .

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن الصليبيون من دخول حيفا ، ثم الميسير  
منها الى قيسارية والنزول بها أيضا . أما المسلمون فقد باتوا قريبا ، فخرج  
جماعة من الصليبيين وأبعدوا عن معسكرهم ، فيها جميعهم لمسلمون ، وقتلوا وأسروا  
عددا كبيرا منهم . ولاقى الصليبيون أثناء زحفهم الى قيسارية مشاق كثيرة بسبب  
وعورة الطريق ، حتى أن ريتشارد نفسه أصيب بجروح ورنجوني ، ما جعله  
يطلب فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين . وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد  
أن يكسب الوقت حتى تصل قواته من التركمان التي كان قد أرسل في طلبها ،  
فتظاهروا بقبول مبدأ المفاوضات <sup>(٢)</sup> وأتاب عنه أخاه الملك العادل في تلك  
المفاوضات . وبالفعل فقد دارت المفاوضات بين الملك العادل وريتشارد الذي  
كان حاصل كلامه . انه قد طال القتال بيننا ، ونحن جئنا في نصرة أصحاب  
الساحل ، فاصطلحوا أنتم وهم ، وكل منا يرجع الى مكانه . فأجاب الملك العادل  
بمسؤوله عن شروط انعام الصلح ، فقال ريتشارد : « على أن يسلم الى أهل  
الساحل ما أخذتم من البلاد » فرفض العادل ذلك الطلب . <sup>(٣)</sup>

(١) ابن الاثيره الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٩ ، ابن شداد ، النوار السطانية ،  
ص ١٨٣ .

(٢) ابن الاثيره الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٩ .

(٣) أنظر سميد عاشور ، الحركة الحليية ، ج ٢ ، ص ٨٧٥ .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، أنظر أيضا ابن شداد ،  
النوار السطانية ، ص ١٨٢ ، الصاد الفتح ، ص ٥٤٢ .

ويبدو أن كلا من الطرفين أدرك بعد ذلك أنه لم يبق أمامه سوى معاودة القتال ، فسار الصليبيون من قيسارية إلى أرسوف <sup>(١)</sup> . وهناك وجدوا أن المسلمين قد سبقوهم إليها . ودارت بين الطرفين معركة كبيرة في شمبان من سنة ٥٨٧هـ / سبتمبر ١١٩١م . وقد سارت المعركة بادية الأمر في صالح المسلمين ، حيث أحاط فرسان الأيوبيين بالصليبيين ، وأوشكوا أن يقتلوا عليهم كما حدث في معركة حطين ، إلا أن الصليبيين عادوا واجتمعوا وحملوا على المسلمين حملة واحدة من كل الجوانب <sup>(٢)</sup> . ولما رأى صلاح الدين ما نزل بالمسلمين صاح فيهمم وحرضهم على الجهاد في سبيل الله ، وبقي هو ثابتاً في المعركة . فلما رأى الناس على تلك الحالة من الشجاعة والصبر توافدوا عليه ، وقاتلوا الصليبيين قتالاً  
(٣)  
الابطال حتى تمكنوا من دحرهم واجبارهم على التراجع إلى منزلتهم .

ومهما يكن من أمر فانه بالرغم من دخول الصليبيين عكا ، ومن ثم محاولتهم الاستيلاء على مدن الساحل ، فانهم لم يستطيعوا تحقيق هدفهم الأساسي وهو استعادة بيت المقدس من المسلمين . وعاد معظم الصليبيين بما فيهم فيليبس اغسطس ملك فرنسا خائبين إلى أوطانهم ، وظلت مسؤولية استمرار الحرب ضد

---

(١) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ( أنظر يا قوت

معجم البلدان ) .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٨٣ ، ابن واصل ، فرج الكروب

ج ٢ ، ص . أنظر سعيد طاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٧٥ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٨٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة

الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٩ .

(١)

صلاح الدين على عاتق ريتشارد ملك إنجلترا • ولم يجن ريتشارد من دخول  
عكا وما أعقبه من محاولة استعادة مدن الساحل الجنوبية سوى المتاعب خاصة  
يحد تمكن المسلمين من إرجاعه الى منزله في معركة ارسوف بالاضافة الى اقدام  
صلاح الدين على تلك الخطوة الجريئة وهي تدوير أسوار عسقلان وإحراقها وسط  
ذهول الناس • وقصد صلاح الدين من ذلك منع المد ومن الاستفادة بشيء من  
تحصيناتها وأموالها • (٢) ولم يجز ريتشارد عقب معركة ارسوف على المسير  
الى بيت المقدس مباشرة بل اتجه بحملها الى إعادة بناء أسوار مدينة يافا وأوضاع  
في ذلك وقتا ثميناً • تمكن صلاح الدين خلاله من اكمال استعداداته وتنظيم  
صفوفه • (٣)

وأخيرا قرر ريتشارد المسير الى بيت المقدس • فترك الصليبيون يافا  
واتجهوا الى الرملة في ذي القعدة من سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م • وما أن وصلوا  
اليهله حتى أصيبوا بخيبة أمل شديدة بسبب اقدام صلاح الدين على تخريب  
وتخريب مدينة اللد معها • في حين أقام صلاح الدين معسكره على النطرون  
استعدادا للملاقاة الصليبيين • الا أنه أدرك أن من الاحسن تخريب النطرون

(١) Ehrenkruetz., Saladin., P. 216.

- (٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٨٧ • سبط ابن الجوزي • مائة  
الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٤١٠ • ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص  
٧١ •  
(٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٧٢ • ابو شامة • الروضتين • ج ٢ •  
ص ١٩٢ • سميح طشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٧٧ — ٨٧٨ •

والسير الى بيت المقدس لاحكام الدفاع عنها ، باستكمال تحصيناتها وترتيب  
(١)  
أمرها .

ولم يكف صلاح الدين بإقامة معسكره في بيت المقدس بعد تحصينه ، بل  
أخذ يراقب تحركات الجيوش الصليبية ، وضابطتها في طريقها بواسطة يركسه  
الذي استطاع أسر وخمسين فارساً من مشاهير الفرسان الصليبيين أثناء مسيرهم  
من الزملة الى النصارون . (٢)  
هذا بالإضافة الى ما قام به جماعة من البدو الاعراب  
بإحراق من صلاح الدين بالاعارة على مؤخرة الجيش الصليبي وتكبيد هـ خسائر  
فادحة في المتاد والأرواح فضلاً عن قطع خطوط مواصلاته والدليل على ذلك  
ما ذكره ابن شداد من أن صلاح الدين أوعز الى ثلاثمائة من الاعراب بالاعارة  
على الصليبيين لكبس معسكراتهم وضابطتهم فتكثروا من تكبيد هـ خسائر في الأموال  
(٣)  
والامتعة والخيول .

ومهما يكن من أمر فان تلك المحاولة التي نظمها ريتشارد لاستعادة  
بيت المقدس من المسلمين قد باءت بالفشل الذريع ، أمام تصميم المسلمين على  
الجهاد في سبيل الله لتصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام ، فضلاً عما ذكر

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢

ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٧٤ ، أنظر أيضاً ، ابن شداد ، النوادر  
السلطانية ، ص ٢١٢ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

من عوامل أخرى ، منها تخوف ريتشارد نفسه من الوصول الى بيت المقدس .  
يد لنا على ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الاثير من أن ريتشارد طلب ممن معه من  
الصليبيين الثامنين أن يصفوا له مدينة القدس التي لم يسبق له رؤيتها  
فوصفوها له فرأى أن الوادى يحيط بها ما عدا موصفا يسيرا من جهة الشمال ،  
فسأل عن الوادى وعن عمقه ، فأخبروه بأنه عميق وعمر المسالك ، فقال لهم « هذه  
مدينة لا يمكن حصرها مادام صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة » لأننا  
أنزلنا في الجانب الذى يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة ، فدخل  
اليهم منها الرجال والدخائر وما يحتاجون اليه ، وان نحن افترقنا فنزل بعضهم  
من جانب الوادى ، وبعضهم من الجانب الآخر ، جمع صلاح الدين عسكره  
وواقع احدى الطائفتين ، ولم يمكن الطائفة الاخرى اتجاه أصحابهم ، لأنهم  
ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فنشئوا ما فيه ، وان تركوا فيه من  
يحفظه وساروا نحو أصحابهم ، فالى أن يتخلصوا من الوادى ويلحقوا بهم يكون  
صلاح الدين قد فرغ منهم ، هذا سوى ما يتمتع رعلينا من ايصال ما يحتاج  
اليه من الملوقات والأقوات . فلما قال لهم ذلك لم يمارضه أحد بل استصوب  
الجميع رايه نظرا لقلدة الميرة عندهم ، وأشاروا عليه بالعودة الى الرملة ، فعادوا  
دون تحقيق هدفهم خائبين خاسرين .  
(١)

انتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م :

وفي الوقت الذي عجز فيه ريتشارد قلب الأسد عن تحقيق الهدف الاساسي الذي خرجت من أجله الحملة الصليبية الثالثة الى بلاد الشام ، وهو استعادة بيت المقدس ، واجه ملك إنجلترا مشاكل كثيرة كان لها الأثر الأكبر في اضطراره الى قبول الصلح والنزول على شروط المسلمين . فقد حدث أن احتدم خلاف كبير بين كل من كونراد دي مونتفورت ، وجاي لوزجنان ، كان لهذا الخلاف الأثر البالغ في تهديده وحدة الصليبيين ببلاد الشام ، إذ كان كل منهما يرى نفسه صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس ، ورأى البعض أن كونراد كان هو صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس نظرا لزوجته — ايزابيل ورثة المملكة — فضلا عن تمتعه بتأييد فرسان المملكة الذين كانوا يكرهون الملك السابق جاي لأنهم كانوا يعتبرونه مسئولاً عن كارثة حطين<sup>(٢)</sup> ، والذي يهيننا من ذلك هو ما ترتب على هذا الخلاف من قيام كونراد بمحاولة الاتصال بصلاح الدين أثناء بدء المفاوضات بين المسلمين والصليبيين حيث أراد كونراد منافسة ريتشارد والتفاوض مع صلاح الدين على حده<sup>(٣)</sup> . الأمر الذي كان له أثره البالغ على أضعاف صفوف الصليبيين .

ويبدو أن ريتشارد ، أدرك خطورة ذلك التصرف من كونراد ، خاصة

(١) المطامير ، الفتح ، ص ٤٩٤ .

(٢) أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٤ .

(٣) أنظر تفصيل ذلك في ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٩ — ٢٠٦ .



(١) بعد فشله فى محاولة ارضاء كونراد واسترجاعه اليه • فعمد ريتشارد الى عقد مؤتمر عام ضم الامراء والفرسان لاستفتائهم فى مشكلة أيهما صاحب الحق الشرعى بمصر مملكة بيت المقدس كونراد أم جاي ؟ وعقد المؤتمر فى عسقلان فى ابريل سنة ١١٩٢م فأجمع الامراء اجماعا شبه تام على اختيار كونراد • ولكن الحياة لم تطل بكونراد اذ قتل بيد اثنين من الباطنية أصحاب راشد بن سنان • وهنا تكاد تجمع المصادر الاسلامية على أن قتل الباطنية له كان بتحريض من الملك ريتشارد • ويشذ عن ذلك ابن الاثير الذى ذكر أن ذلك كان بتحريض من صلاح الدين • (٢) والذى لا شك فيه ان ما ذهب اليه ابن الاثير - الذى عرف بتجاهله على صلاح الدين الذى نظرنا لأنه كان رقيب البيت الزنكى - بعيد عن الصحة • فالى كونه قد خرج عن الاجماع • فان مروءة صلاح الدين وشهامته لم تكن تدعه يفعل ذلك • كما يبدو أن بقاء كونراد حيا • كان فى صالح المسلمين لأن وجوده كان يشكل عامل خلاف فى صفوف الصليبيين • (٣)

ووفاته كونراد دى موننترات • فقد الصليبيون زعيما قويا كانت له الطولى اليد فى قتال المسلمين • كما أن مقتله بتحريض من الملك ريتشارد سوف تتمكن آثاره

- 
- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٨٥ • ج ٢ • ص ٨٨٥ •
  - (٢) أنظر سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٢٠٨ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٣٨١ - ٣٨٢ • أبو هشام • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١٩٦ •
  - (٣) ابن كثير • البداية والنهاية • ج ١٢ • ص ٣٤٨ •
  - (٤) ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٧٨ - ٧٩ •
  - (٥) أنظر سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٨٦ ( حاشية ) •

على أقارب كورناد وأتباعه • إذ لا شك أن ذلك الحدث سوف يكون له مردود في نفوس هؤلاء الأقارب والأتباع • الأمر الذي يترتب عليه مطاعب كثيرة للصليبيين ببلاد الشام •

وعلى كل فان فشل ريتشارد في تحقيق أهدافه • جعله يدرك أنه لم يعد بإمكانه البقاء في بلاد الشام • وإن عليه إنهاء الحرب مع المسلمين والصويدة إلى بلاده • والواقع أن فشله في تحقيق أهدافه لم يكن العامل الوحيد الذي دفعه إلى ذلك • بل تضافرت عوامل أخرى كثيرة • كان لها الأثر البالغ في حرضه على تحقيق صلح مع المسلمين بأية وسيلة كانت • فبالإضافة إلى نتائج مقتل كورناد ورد إلى ريتشارد سوء الأحوال الداخلية في بلاده • فقد ذكر أن ريتشارد في تلك الأثناء وصلت أخبار سيئة من الغرب تؤكد فتنة أخيه حنا ضده • الأمر الذي تطلب منه سرعة العودة إلى بلاده بالإضافة إلى مرضه مرضاً شديداً أشرف منه على الهلاك • وضرب صلاح الدين أثناء مرض ريتشارد أربع المثل في العروة والشهامة والكرامة • فلم يعبأ بما جرى بينه وبين ريتشارد من صراع وحروب • بل سارع إلى إمداده بالمال والفاكهة • وإلى جانب ذلك فهناك عامل

(١) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٣٩٩ • أبو شامة • كتاب الروضتين ج ٢ • ص ٢٠٢ •

(٢) سعيد طاهر • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٨٥ •

(٣) ابن الفرات • ج ٤ • ص ٢ • ج ٨ • ابن خلدون المبر • ج ٥ • ص ١٥٠ •

(٤) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٢٣٢ • أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٢٠٣ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص

آخر يزيد أهمية عن ذلك ، هو انتصار المسلمين في مواقع كثيرة في سنة ٥٨٨ هـ ، فقد ذكر ابن واصل في كتابة التاريخ الصالحى أن وقعات كثيرة جرت بين المسلمين والصليبيين في هذه السنة ، كان الظاهر فيها للمسلمين الا وقعة واحدة .<sup>(١)</sup> مما يزيد تأييد جون ريتشارد على تحقيق ذلك الصلح مع المسلمين ما ورد في المصادر من نصوص على لسان ريتشارد نفسه تدل على خضوعه التام وحرصه الشديد على تحقيق الصلح مع المسلمين بأى وسيلة كانت ، من ذلك ما ورد فى احدى مصادر وثائق الصلح حيث ذكر أن ريتشارد قال لأحد الرسل « قل لآخى - يعنى الملك المادل - يصر كيف يتوصل<sup>الى</sup> السلطان فى معنى الصلح » ومنها أيضا قوله لاحد أمراء المسلمين « سلم على السلطان وقله بالله عليك أجب سؤالى فى الصلح » .<sup>(٢)</sup>

والحقيقة أن مباحثات الصلح بين صلاح الدين وريتشارد قد بدأت منذ الايام الاولى لوصول ريتشارد الى المشرق ، يدلنا على ذلك ، قيام ريتشارد بالاتصال بصلاح الدين بمضى عشرة أيام من وصوله الى المشرق وممدا اشتراكه فى معركة واحدة ، حيث أوفد رسولا من قبله يحمل رسالة الى صلاح

- 
- (١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٨ ١ .  
 (٢) ابن خلدون ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٢ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ج ٢ ، ص ٢٠٣ .  
 (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

الدين يطلب منه فيها الاجتماع به • الا أن صلاح الدين رد عليه بقوله " ان  
الملك لا يجتمعون الا عن قاعدة ولا تصنع الحرب بعد الاجتماع والمواكلة " (١)  
صلاح الدين أن هذا ريتشارد من ذلك هو تفتير المزومات وتضييع الاوقات على  
المسلمين • (٢)

وبالرغم من أن هذه الاتصالات بين صلاح الدين والملك ريتشارد قد  
انقطعت بعد تلك الجريمة البشعة التي ارتكها ريتشارد ضد أسرى عكا بعد أن  
قطع لهم عهداً بتأمينهم مقابل تسليم البلد له فان ريتشارد وجد نفسه بعد دخوله  
عكا وشبهه الاستيلاء على بعض المدن الساحلية مضطراً الى العودة الى الاتصال  
بصلاح الدين وهنا يأتي دور الملك المادل الذي لعب الدور الأكبر في ذلك  
مع الملك ريتشارد بتفويض من أخيه السلطان صلاح الدين • وكما سبق أن رأينا  
فقد كان أول اتصال بين المادل وريتشارد يوم ٢٢ شعبان من سنة ٥٨٧هـ /  
سبتمبر ١١٩١م • وانتهى ذلك الاتصال بأن رفض الملك المادل ما عرضه عليه  
ريتشارد من شروط • (٣)

ولم يرض على ذلك سوى مدة وجيزة حتى عاد ريتشارد مرة أخرى الى طلب

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٠ ، نظير نوحان سعداوى ،  
الحرب والسلام ، ص ٣٢ •
  - (٢) ابوهامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن الصلح ، ص ٢٢٢ •
  - (٣) أنظر ما سبق ، ص ٢٠ - ٢١ •

الصلح حيث بحث رسالة الى صلاح الدين في المشرق الاخير من رمضان من سنة ٥٨٧هـ / اكتوبر ١١٩١م . ذكر فيها أن مطالبة هي القدس لانه متعبد هم فلا يستطيعون النزول عنه ولو لم يبق منهم واحد ، ثم الصليب الذي يعد عند المسلمين خشبة لا قيمة له ، الا أنه عندهم شيء عظيم . وطلب من صلاح الدين أن يمن به عليهم كما طلب من صلاح الدين أن يعيد الهيكل ليعود اليهم ما هو قاطع نهر الاردن من البلاد . فرد عليه صلاح الدين بقوله «القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة ، فلا يتصور أن ننزل عنه ، ولا نقدر على التلطف بذلك بين المسلمين ، أما البلاد فهي لنا في الاصل ، واستيلاؤكم كان ظارئا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت ، وأما الصليب فهلاكه قرية عظيمة ، ولا يجوز أن نفرض فيه الا (١)

لصلحة راجعة الى الاسلام هي أوفى منها » .

لم يياس ريتشارد من رد صلاح الدين ، بل ظل مصمما على مواصلة المفاوضات مع المسلمين للتوصل الى صلح يمكنه من الجلاء عن المشرق الاسلامي بصفة مشروطة لا تهز مكانته بين الاوربيين ، ولكنه هذه المرة أدرك أن المحادثات لن تجدي مع صلاح الدين ، فعمد الى طريقة أخرى للمفاوضات مع صلاح الدين تلحق العاطفة دورا كبيرا فيها . فأنفذ رسولا من قبله الى الملك المادل في ٢٩

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤١٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

رمضان ٥٨٧ هـ / ٢٠ أكتوبر ١١٩١ م يمرض عليه الزواج من أخته جوانا أرسله  
 ولیم الثاني ملك صقلية ، على أن يكون لها البلاد الساحلية الاسلامية والصليبية ،  
 لها من جانب أخيها ، والاسلامية للملك المادل من جانب أخيه السلطان صلاح  
 الدين ، وأن يحكم الملك المادل جميع البلاد الساحلية وينفذ فيها أمره على  
 أن يرضى المادل مقدس الصليبيين والداوية والاسبتارية باقطاعهم ما أراد من  
 القرى دون الحصون ، وتكون جوانا مقيمة بالقدم وممها رهبان وقسيسون  
 في صحبتها .  
 ( ١ )

رأى الملك المادل في ذلك مصلحة ، وشارر صلاح الدين ، فوافق عليه ،  
 رغم ادراك صلاح الدين أن ذلك لن يتم ، وإنما ذلك مجرد مكر وخدعة من الملك  
 الانجليزى . وبالفعل فقد دلت الاحداث على صحة هذا الاعتقاد . إذ ما كاد  
 خبر ذلك الزواج ينتشر في الاوساط الصليبية حتى دخل الصليبيون على جوانا  
 وخوفوها ، وأعلموها أن ذلك قبيح ومخالف لمقيدتهم ، وفيه هيمان للمسيح  
 واغضب له ، فواقفتهم على ذلك ، ورفضت ذلك الزواج . وأمام ذلك الرفض لم  
 يستطع ريتشارد أن يفعل شيئاً واكتفى بأن اقترح أن يتم ذلك المشروع بأحد

- 
- ( ١ ) ابن عداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، الصمد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
 ، ابن واصل ، مفتي الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .  
 ( ٢ ) ابن عداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، الصمد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
 ، ابن الروز ، مائة الزمان ، ج ٨ ، ص ٥١٠ ، ابن واصل ،  
 مفتي الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، غياث الدين ، ص ٤٠٠ ، ابن عداد ،  
 الصمد ، ص ٤٠٠ .

أميرين ، أما أن يدخل المادل في دين أخيه وأما أن يزوجه بأبنة أخيه السني  
(١)  
كانت بكرا لا تحتاج الى موافقة البابوية ، فرفض المادل ذلك بشدة .

وما لبثت تلك المفاوضات حول مشروع الصلح أن توقفت لفترة مؤقتة  
ربما كان ذلك بسبب شعور ريتشارد بالحرَج أمام صلاح الدين لانكشاف نواياه  
الخداعية ومماطلته ، ثم ظهر لريتشارد حزب معارض بزعامة كونراد مونشترات  
صاحب مدينة صور ، إذ أخذ كونراد يناقش ريتشارد في كل شيء من ذلك  
محادثات الصلح مع صلاح الدين . فقد حدث في ١٤ شوال من سنة ٥٨٧هـ /  
٤ نوفمبر ١١٩١م أن بحث كونراد رسولا من قبله الى صلاح الدين ، عرض عليه  
المصالحة بشرط أن يتنازل له صلاح الدين عن صيدا وبيروت ، على أن يجاهر  
الصليبيين بالعداوة ، ويقصد عكا ويحاصرها ويستلخصها للمسلمين ، فأجابته  
صلاح الدين الى ذلك بعد أن اشترط عليه أيضا أن يطلق من يهاون بصرور  
من أسارى المسلمين . (٢)

والذي يهمنا هنا هو أن اقدام صلاح الدين على هذا العمل بعد ثلاثة  
في الحثكة السياسية وتصريف الأمور إذ أن ذلك الخلاف بين ريتشارد وكونراد

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، الحماد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٨١٠ ، ابن واصل  
، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، نظير حسان سعادوى ، الحرب  
والسلام ، ص ٤٠ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٠ ، ابن واصل ، مفتح الكروب  
، ص ٣٧٢ .

قد ازداد حدة ، وأخذ كل منهما يتنافس الآخر في إيفاد الرسل الى صلاح الدين لكسب صداقته ، الأمر الذى أشعل نار الحقد والكراهية بينهما خاصة وبين الصليبيين عامة .<sup>(١)</sup> ذلك أن ريتشارد ما أن علم بسفارة كونراد الى صلاح الدين حتى سارع باستئناف المفاوضات مع المسلمين ، وطلب الاجتماع بالملك المادل ، فاجتمعا على وليمة كبرى ودارت بينهما محادثات وانفصلا عن تواد ومطايبة ومحبة . ثم رجا ريتشارد من الملك المادل أن يأخذ موافقة من أخيه صلاح الدين في الاجتماع به ، فامتنع المادل وقال : ان الملوك اذا اجتمعوا تفتح بينهم المخاصمة بعد ذلك ، واذا انتظم أمر حسن الاجتماع .<sup>(٢)</sup>

وعلى كل فان صلاح الدين رأى أن من الأفضل قطع مفاوضات كونراد والاستمرار في مفاوضة ريتشارد ، وعلى ذلك لم يقل كونراد كما سبق أن أشرقتنا .<sup>(٤)</sup> وتعمدت الاجتماعات بين الملك المادل وريتشارد حول صير بيت المقدس والمدن الساحلية خاصة عسقلان التي كان ريتشارد حريضا على تسلمها دون خرابها .<sup>(٥)</sup> الا أن صلاح الدين نفسه كان بلا شك لا يرغب في الصلح المشروط لأنه كان عقد نية الجهاد ، وحزم الأمر على الاستمرار على الجهاد لأنه كسان

(١) نظير حسان سحداوى ، الحرب والسلام ، ص ٤٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠١ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٤) أنظر ما سبق ص

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٢٨ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .



يدرك بمدى تمتعت ريتشارد ، أن الجهاد هو السبيل الوحيد لحمل الصليبيين  
على الرحيل نهائيا من المشرق الاسلامى دون قيد أو شرط<sup>(١)</sup>.

الا أن ريتشارد رأى نفسه مضطرا الى العودة السريعة الى بلاده  
بسبب ظهور القلاقل بها ، فضلا عن فشله فى تحقيق أى شىء من أهدافه ،  
بالإضافة الى ما أحرزه صلاح الدين من انتصارات على الصليبيين ، لعل أهمها  
استيلاءه على يافا فى ٢٠ رجب ٥٨٨هـ / ١١٩٢م ، تلك التى أثار الاستياء  
عليها تأثيرا بالغا على الصليبيين<sup>(٢)</sup> . الأمر الذى كان له أثره على ريتشارد  
الذى اعتد به المرض فى ذلك الوقت ، وكانت رسله تتردد على صلاح الدين  
فى طلب الفاكهة والثلج ، كما أوقفه مرضه فى شهوة الكشرى والخوخ ، وكان  
صلاح الدين يتسامحه بهدوء<sup>(٣)</sup> . فبحث ريتشارد الى صلاح الدين يتوسل  
اليه : أن يختار أحد أمرئين إما أن ينزل له عن عسقلان ، وإما أن يعطيه عوضا  
عن خسارته فى عمارتها ، إلا أن صلاح الدين رفض ذلك الطلب ، لذلك لم  
يجد ريتشارد - الذى كانت حالته قد ازدادت سوءا - بدا من التنازل عن  
عسقلان وعن الموضع عنها . واستقرت القاعدة بين المسلمين والصليبيين على أن  
تكون عسقلان خرابا ، وأن يكون للصليبيين يافا وعملها - باستثناء الرملة واللد

(١) نذير حسان سحداوى ، الحرب والسلام ، ص ٤٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٤ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

ومجد ليايه وكذلك قيساريه وعملها وارسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها —  
 ما عدا الناصرة وصفورية — وتكون بلاد اللد والرملة مناصفة بين الطرفين •  
 واشترط صلاح الدين دخول بلاد الباطنية • واشتروا هم دخول صاحب انطاكية  
 وطرابلس • وحلف الطرفان على ذلك في ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ / ٢ سبتمبر ١١٩٢م •  
 (١)  
 على أن تستمر تلك الهدنة ثلاث سنين وثلاثة أشهر •  
 (٢)

ولما انفصل أمر الهدنة اذن صلاح الدين للصليبيين بزيارة بيست  
 المقدس (٣) واخطط عسكر المسلمين بعسكر الصليبيين • وذاعت جماعة من  
 المسلمين الى يافا في طلب التجارة • كما وصل خلق عظيم من الصليبيين الى  
 القدس للبحج • وأنفذ صلاح الدين الخفراء يحفظونهم وغرضه من ذلك أن يقضوا  
 وطهرهم من الزيارة ويرجمون الى بلادهم •  
 (٤)

وعلى كل فانه يمكن القول أنه بانمقاد صلح الرملة تحقق فشل الحملة  
 الصليبية الثالثة التي عجزت عن تحقيق أهدافها • هذا بالإضافة الى أن ذلك  
 الصلح يعد بلا شك نصرا مؤزرا للمسلمين • فالى جانب نجاح صلاح الدين في

- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٢٣٢ — ٢٣٤ • ابو شامة • كتاب  
 الروضتين • ج ٢ • ص ٢٠٣ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٤٠٣  
 • المقرئ • السلوك • ج ١ • ص ١١٠ • صبح الأعشى • ج ٤ • ص ١٧٧  
 (٢) ابو شامة • الروضتين • ج ٢ • ص ٢٠٣ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
 ج ٢ • ص ٤٠٤  
 (٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٨٦ •  
 (٤) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٤٠٦ •

منع الحملة الصليبية الثالثة من استعادة بيت المقدس ومدن فلسطين فانه تمكن  
 أيضا من إلحاق خسائر فادحة بطلقة الجمع الصليبية التي جاءت من الغرب  
 الأوربي بهدف أسترجاع بيت المقدس . وهكذا ظهر صلاح الدين الأيوبي  
 بيت المقدس ، وجعل كلمة الله هي المايه ، واسترد البيت الذي ذكره الله  
 في كتابه ، ونفى عليه في خطابه فقال تعالى :

” سبحانه الذي أسرى بعميد ه ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

(١)

الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ” .

الْحَقَائِمَةُ

أَهْمُ نَتَائِجِ الْبَحْثِ

بحمد الله وتوفيقه فقد انتهى موضوع البحث الذى تناول دراسة شاملة متكاملة لموضوع استرداد بيت المقدس فى عصر صلاح الدين • وقد رأينا فى هذه الدراسة أن صلاح الدين قد نشأ فى فترة تاريخية هامة مربها العالم الاسلامى وهى عصر الجهاد ضد المدوان الصليبي • لذلك فان صلاح الدين نشأ منذ بداية حياته فى وسط جهادى • بدأه رجال مسلمون مجاهدون على رأسهم عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود • ولا شك فان صلاح الدين السندى خرج الى مصر فى ركاب عمه أسد الدين شيركوه - الذى كان من الممقادة - نور الدين محمود - قد تعلم من السلطان نور الدين محمود نفسه وكذلك من عمه أسد الدين شيركوه أن أحياء فكرة الجهاد الاسلامى وتوحيد كلمة المسلمين تحت راية واحدة هما الأساس الأول لفتح أعداء الاسلام والقضاء على الوجود الصليبي فى الشرق الاسلامى •

وقد تأكد صلاح الدين منذ بداية حكمه أنه لن يتم القضاء على ذلك المدوان الصليبي الا بتكوين جبهة اسلامية موحدة تمتد من الفرات الى النيل • لذلك بدأ صلاح الدين بالقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر • وكانت هذه الخلافة قد وصلت الى حد كبير من الضعف والانهيار بسبب استبداد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء • وصارعهم على الفوز بمنصب الوزارة الذى أصبح فى ذلك الوقت من نصيب الغالب • يضاف الى ذلك فتن الجند وسوء الأحوال الاقتصادية نتيجة انتشار الأمية والمجاعات داخل تلك الدولة • الأمر الذى ترتب عليه

آثار خطيرة زادت من تفكك العالم الاسلامي ، وطمع الصليبيين في الظفر بأجزاء جديدة منه . فالى جانب قيام الخلافة الفاطمية الشيعية بدور المناوئ والمفاس والمعادى للخلافة العباسية السنية في بغداد ، فان ذلك الصراع والنزاع بين الوزراء في الدولة الفاطمية زاد خطره باستتجاد بعضهم بالصليبيين الذين قدموا الى مصر لنصرة بعض الوزراء ولتحقيق مزيد من الانتصارات ، ولمنع سقوط مصر في أيدي القوة الاسلامية الجهادية التي امتدت من الجزيرة الى بلاد الشام .

وبقضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر واعادة الديار المصرية الى حظيرة الخلافة العباسية السنية في بغداد في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٧١ م ، حقق صلاح الدين للعالم الاسلامي وحدته المذهبية ، ووضع الوجود الصليبي الذي كان يسيطر على أجزاء من بلاد الشام بين شقي الوحي ، وقضى على كل أطاعهم التوسعية ، وكانت بداية النهاية للوجود الصليبي في بلاد الشام .

وأوضحت الدراسة أن بلاد الشام قد تعرضت لمصير سيء عقب وفاة السلطان نور الدين محمود وتولى ابنه الصغير الملك الصالح اسماعيل سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . فقد تنافس الأمراء بعد وفاة نور الدين على الفوز بالوصاية على ابنه الصغير وتدير دولته ، مما أضعف مركز الدولة الزنكية أمام الوجود الصليبي الذي كان يسيطر — وقتذاك — على الأجزاء الساحلية من بلاد الشام . وشجع ذلك الخلاف بين الأمراء النورية الصليبيين على مهاجمة بعض المدن الشامية

حتى اضطر بعض هؤلاء الامراء الى عقد هدنة مع الصليبيين . الامر الذي أثار غضب صلاح الدين الذي كان آنذاك يفكر جادا في الحفاظ على وحدة المالم الاسلامي ، وتوجيه جهود أهله لطرد الوجود الصليبي من بلاد الشام . لذلك سارع صلاح الدين بالخروج من مصر على رأس قواته الى بلاد الشام ، وقضى على تلك الخلافات والأطماع ، ووحد البلاد الشامية والمصرية تحت راية واحدة . استمداداً للجهاد الاسلامي ضد الصليبيين . وعليه يمكن القول أنه لولا تدخل صلاح الدين ، لخرق الصليبيون — الذين عرفوا بالشذو والخيانة وعدم احترام المواثيق — تلك الهدنة التي عقدوها أمراء نور الدين معهم ، وفرضوا سيادتهم على أجزاء أخرى من بلاد الشام .

والى جانب ذلك فقد اثبتت الدراسة جدوى نظام الاقطاع الحربي الذي أدخله صلاح الدين الى مصر للصرف على جيشه بمختلف عناصره ، حيث وزع صلاح الدين أراضي مصر والشام على شكل أقطاعات بين أهله وأمرائه وقبادة جيشه ، مقابل التزامات حربية وخدمات مدنية يؤديها المقطع . وضمن صلاح الدين بهذا النظام حصوله وقت الحرب على جيش منظم مزود بكافة متطلبات القتال . فكانت جيوش الأمراء تأتي مزودة بالأسلحة والمؤن والمتاد يتقدم بها الأمير المقطع فتشارك مع صلاح الدين معاركه ضد الصليبيين ، على أن تعود الى أقطاعاتها بعد انتهاء المعارك . ولاشك أن صلاح الدين بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل نظام الاقطاع الحربي وأثره على التنظيمات الحربية لجيشه ، استطاع

أن يحقق تلك الانتصارات الرائعة ضد الصليبيين حتى استرد بيت المقدس .

كما أثبتت الدراسة براعة صلاح الدين في وضع التنظيمات العسكرية الباهرة ، إذ اتبع في جهاده ضد الصليبيين خططا عسكرية متنوعة ، منها ما كان يقوم على أساس الاشتباك مع العدو وفي معارك مكشوفة على شكل التهمة القتالية المصروفة ، ومنها ما كان يعتمد على أساليب الكر والفر ، فضلا عما قامت به فرق من جيشه من أعمال فدائية كان الهدف منها انهك العدو وكشف خطاه .

يضاف إلى ذلك الخطط الباهرة التي اتبعها صلاح الدين في حصاره للمدن والقلاع التي تقوم على ضرب الاسوار بالمنجنيقات ومن ثم تقدم فرق من جيشه على شكل زخوف تحميها سهام الرماة نحو الاسوار لتقبها وفتح الثغرات فيها تمهيدا لاقتحامها والاستيلاء عليها . كما ثبت أيضا أن صلاح الدين أدرك منذ دخوله مصر مع عمه أسد الدين شيركوه ما للبحرية من أهمية في الجهاد ضد الصليبيين ، لذلك فقد عمل منذ بداية عهده على إعادة بناء الاسطول الاسلامي الذي كان قد ضعف في أواخر الدولة الفاطمية ، فانشأ دورا للصناعة في الموانئ المصرية قامت ببناء اسطول اسلامي حقق صلاح الدين بفضل انتصارات بحرية عظيمة .

وأوضحت الدراسة أيضا مدى ما توصل اليه المسلمون في القرن السادس الهجري من انتاج أسلحة متطورة كان لها الأثر البالغ فيما حققوه من انتصارات على الصليبيين . فإلى جانب استخدامهم للأسلحة الثقيلة كالمنجنيقات والادبابات



وغيرها • عرفوا أسرار أعظم سلاح عرفته المصور الوسطى ذلك هو سلاح النفط ( النار الاغريقية ) • ورجح المسلمون في صناعة أنواع متعددة منه • ومن ثم استخدموه بطرق مختلفة في قتال الاعداء • واحراق منشآتهم العسكرية • ولعل خير دليل على ذلك ما ألحقه سلاح النفط بتلك الآلات الحربية التي أقامها الصليبيون على عكا أثناء حصارهم لها فيما بين سنتي ٥٨٥ - ٥٨٧ هـ • انه تمكن المسلمون بفضلهم من احراق ما أقامه الصليبيون عليها من أبراج ودبابات وغيرها •

وعند دراسة حوادث معركة حطين وما أعقبها من انتصارات • كان أهمها استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين • تبين لنا بوضوح ما كان يتمتع به صلاح الدين من مقدرة عظيمة في ميادين الادارة والسياسة والحرب يد لنا على ذلك الخطط السياسية والحربية التي نفذها صلاح الدين باحكام للتصدي لضرب الصليبيين في حطين • ان بذل قصارى جهده لتكوين قوة اسلامية تؤمن ايماننا تاما بفكرة الجهاد الاسلامي • الذي حرص صلاح الدين منذ بداية عهده على غرسه في نفوس رجاله • ومن ثم اختيار المكان والزمان المناسب الذي يستطيع به فيه ضرب الصليبيين ضربة قوية لا تقوم لهم بعد ها قائمة • وقام الى جانب ذلك بتنفيذ خطط سياسية تقوم على ادخال الخلل والفرقة في صفوف الصليبيين لانضامهم وذلك بالابقاء بين كبار قادتهم ومساعدة بعضهم على بعض • هذا فضلا عن تمكن صلاح الدين من اقامة علاقات طيبة مع الامبراطور البيزنطي لحرمان الصليبيين من أية مساعدة بيزنطية • وبالفعل فقد أثمرت

تلك الجهود في تحقيق ذلك الانتصار الحاسم في معركة حطين • وحرص صلاح الدين قبل بدأ المعركة على التمرکز في أماكن طيبة تتوافر فيها المياه والمراعى ، ثم قام بالهجوم على طبرية لاستفزاز الصليبيين وجذبهم اليه وانزالهم في المكان الذي يريد ، وضربهم ضربة قاضية راح ضحيتها معظم الصليبيين بين قتيل وأسير وفقد الصليبيون أعظم قادتهم وفرسانهم • ثم اتجه صلاح الدين بعد انتصاره الحاسم في تلك المعركة الى الاستيلاء على مدن الساحل ليحكم المزلة على مملكة بيت المقدس ويقطع عنها الامدادات الخارجية التي كانت تصلها من الغرب الأوربي ومدن الامارات الصليبية ببلاد الشام ، حتى تمكن في النهاية من استرداد بيت المقدس •

وهند دراسة موضوع استرداد صلاح الدين لبيت المقدس اتضح مدى ما ألحقته معركة حطين من خسائر مادية ومعنوية بالصليبيين حتى أصبحوا في وضع يرثى له • وظهر أثر ذلك بوضوح عندما اتجه صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس • فما أن شاهد الصليبيون جيوشه تقتحم أسوار المدينة حتى نادوا بطلب الأمان ، والسماح لهم بالخروج من بيت المقدس مقابل تسليمه • وهنا يظهر بوضوح ذلك الفرق الشاسع بين هذا السلوك الاسلامي الذي تتميز بالتسامح والمساهمة والمرءة • وبين ذلك السلوك الصليبي/عند ما خاض الصليبيون الهمجى بأقدامهم في دماء المسلمين عند استيلائهم على بيت المقدس سنة ١١٩٢ هـ •

وألقت الدراسة الضوء على حوادث الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت إلى بلاد الشام بعددها وعتادها يتقدمها أعظم ملوك وأباطرة أوروبا . وأثبتت الدراسة أن استرداد صلاح الدين لبيت المقدس من الصليبيين قد ترتب عليه آثار وأصداء كثيرة في الغرب الأوربي الذي سارع بإرسال حملة صليبية ثالثة تولت البابوية الإعداد لها ، وخرجت جموع أوربية متباينة الأجناس إلى بلاد الشام ، لمحاولة استرجاع بيت المقدس من المسلمين . إلا أن تلك الحملة قد تضافرت عوامل عدة في إفشال مهمتها وعجزها عن تحقيق أهدافها ، وأهم هذه العوامل استدشعار المسلمين للخطر الصليبي واستبسالهم في الدفاع عن بلادهم ومقدساتهم . يضاف إلى ذلك اختلاف كلمة الصليبيين منذ البداية ، ويظهر ذلك بوضوح في اختلاف طرق سير تلك الحملة ، حيث سار قسم منها عبر الطريق البري ، والقسم الآخر عبر الطريق البحري ، فضلاء تعرض له الصليبيون من كوارث وخسائر ، هذا بالإضافة إلى ما حدث بين قادتها من خلافات وأحقاد بسبب العداء التقليدي المتأصل بينهم .

وأخيرا فانه يمكن القول أن صلاح الدين بهذه الأعمال الجليلة قد وضع الأسس الصحيحة لمن أتى بعده من سلاطين المسلمين الذين ساروا على نهجه ، فأخلصوا النية لله تعالى ، وجاهدوا في سبيله حق جهاد ، وأنزلوا بالصليبيين ضربات متلاحقة لم يفيقوا منها حتى تم طردهم نهائيا من بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م . أما مكانة صلاح الدين الأيوبي في تاريخ الجهاد الاسلامي فستظل

ان شاء الله تعالى - عظمة خالدة أبد الدهر حتى يرث الله تعالى الأرض ومن  
عليها فهو الذي استرد بيت المقدس أول القبلتين وثالث الحرمين •

والله ولي التوفيق

\*\*\*\*\*

# الملاحق

## الملاحق الأول:

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المتقي  
بأمر الله سنة ٥٧٠ هـ

## الملاحق الثاني:

١، اهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد

## الملاحق الثالث:

خطبة القاضي محيي الدين بن زكي الدين  
بعد استرداد بيت المقدس .  
يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

## الملاحق الرابع:

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى  
بفتح بيت المقدس .

## الملحق الأول

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستنفيء بأمر

الله سنة ٥٧٠ هـ

\*\*\*\*\*

فصل :- ثم أرسل السلطان ، الخطيب شمس الدين بن الوزير ابي المضار ، الى الديوان العزيز برسالة ضمنها القاضي الفاضل كتابا طويلا راعيا فائقا ، ويشتمل على تعداد ما للسلطان من الأيادي من جهاد الافرنج في حياة نور الدين ، ثم فتح مصر واليمن ، وبلاد حجة من أطراف المغرب واقامة الخطبة العباسية بها . يقول فيه :

فانا كنا نقيم اناريا كفنا وغيرنا يستير ، ونستبسط الماء بأيدينا وسوانا يستير ، ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، ونصافح الصفايح بصدورنا وغيرنا يدعي التصدير ، ولا بد أن نسترد بضاعتنا بموقف المدل الذي ترد به الفصوب ، وتظهر طاعتنا فنأخذ بحظ الألسن كما أخذنا بحظ القلوب . وما كان المائق الا أنا كنا ننتظر ابتداء من الجانب الشريف بالنعمة بضاعتنا ابتداءنا بالخدمة ، وانجابا للحق ، يفاكل انجابنا للسبق . كان أول أمرنا اننا كنا في الشام نفتتح الفتوح مهابرين بأنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين لمساكرنا ، ونحن ووالدنا وعينا . فأى مدية فتحت أو مقل ملك ، أو عسكر للمد وكسر أو مصاف للاسلام معه ضرب ( ولم تكن فيه ) . فما يجهل أحد صنعنا ولا يجحد

عدونا أنا نضطلي الجمرة ونملك الكرة ، ونتقدم الجماعة ، ونزئب المقاتلة ، وندير التميئة الى أن ظهرت في الشام الآتار التي لنا أجراها ، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها .

وكانت أخبارهم تتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء تدبير ، وبما دوا عليها من غلبة صغير على كبير ، وأن النظام بها قد فسد ، والاسلام بها قد ضعف عن اقامته كل من قام وقعد ، والفرنج قد احتاج من يدبرها الى أن يقاطمهم بأموال كثيرة ، لها مقدار خطيرة . وأن كلمة السنة بها وان كانت مجموعة فانها مقموعة ، وأحكام الشريعة وان كانت مسماة فانها متحماة ، وتلك البدع بها على ما يعلم ، وتلك الضلالات فيها على ما يغنى فيه بغراق الاسلام ويحكم ، وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدما ، وتلك الانصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله ، وتعتظم وتفتخ ، فتعالى الله عن شبه العباد ، وويل للذي غره تقلب الدين كفروا في البلاد . فسمت هممتنا دون هم أهل الأرض الى أن نستفتح مقلها ، ونسترجع للاسلام شاردا ، ونعيد على الدين حالته منها . فسرنا اليها في عساكر ضخمة وجمع جمعة وبأموال انتبهكت الموجود ، وبلغت منا المجهود ، أنفقناها من حاصل ذمنا وكسب أيدينا ، وضمن أسارى الفرنج الواقعيين في قبضتنا فصرخت عوارض منعت ، وتوجهت للمصريين رسل باستجداد الفرنج قطعت ، ولكل أجل كتاب ، ولكل أمل باب ، وكان في تقدير الله تعالى أننا نملكها على الوجه الاحسن ، ونأخذ بها بالحكم الأقوى الأمكن ، فنقدر الفرنج

بالصريين (١) غدة في هدنة عظم خطبها وخبطها ، وعلم أن استئصال كلمة الاسلام محطها . فكانتبا المسلمون من مصر في ذلك الزمان ، كما كانتبا المسلمون في الشام في هذا الأوان ، بأنا وان لم ندر ك الأمر والا خرج عمن اليد ، وان لم ندفع غريم اليوم لم نعمل الى الغد . فسرنا بالمساكر المجموعة والامراء والاهل المصروفة ، الى بلاد قد تصهد لنا بها أمران ، وتقرر لنا في القلوب ودان : الأول ما علموه من ايثارنا للذهب الأتوم ، واحياء الحق الأقدم ، والآخر ما يرجونه من فك أسارهم ، وإقالة عثارهم . فنصل الله ما هو أهله وجاء الخبر الى الحد ، فانقطع حبله ، وضاقته سبله ، وأفرج عن الديار بعد أن كانت ضياعها ورسانيقها ، وبلادها وأقاليمها قد نفذت فيها وأمره ، وخفقت عليها صلبانه ونصبت بها أوثانه ، وأيس من أن يسترجع ما كان بأيديهم حاصلا ، وان يستنقد ما صار في ملكهم داخلا . ووصلنا البلاد وسها أجناس عدد هم كثير ، وسواد هم كبير ، وأموالهم واسعة ، وكلمتهم جامعة ، وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفار ، والحيلة في السرفيهم أنفذ من المزيمة في الجهر ، وسها راجل من السودان يزيد على مائة ألف ، كلهم أغنام أعجام ، ان هم الا كالانعام ، لا يمرضون بنا الا ساكن قصره ، ولا قبله الا ما يتوجهون اليه من ركنه ، وامثال أمره ، وسها عسكر من الأرمن ياقون على النصرانية موضوعة عنهم الجزية ، كانت لهم شوكة وشكة وحمة وحمية ، ولهم حواش لقصورهم

(١) أي الفاطميين .

(٢) جنس نوساق : لفظ فارسي معناه القرية أو محلة المسكر أو البلد ، وتصريها الرزداق ، وجمعها الرزداقات والرذايق ( أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٨ حاشية ) .



(١) من بين دأع تتلطف في الضلال مداخلة ، وتصيب القلوب مخاتله ومن بين كتاب  
تفعل أقلامهم أفعال الاسل ، وخدام يجمعون الى سواد الوجوه سواد النحل ،  
ودولة قد كبر نملها الصغير ، ولم يعرف غيرها الكبير ، ومهابة تمنع من خطرات  
الضيق ، فكيف بخطوات التدبير . هذا الى استباحة للمطام ظاهرة ، وتعطيل  
للفرائض على عادة جارية جائرة ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعدول الى غير  
مراد الله بالتنزيل ، وكفر سعى بخير اسمه ، وشرع يستربه ، ويحكم بخير حكمه .  
فما زلنا نسحتهم سحت الميارد للشفار ونتحيفهم تحيف الليل والنهار ، بمجائب  
تدبير لا تحتلها المساطير ، وغرائب تقدير لا تحملها الاساطير ، ولطيف  
توصل ما كان من جملة البشر ولا قد رتهم لولا اعانة المقادير . وفي أثناء ذلك  
استنجدوا علينا بالفرنج دفعة الى بلبس ودفعة الى دمياط ، وفي كل دفعة  
منهما وصلوا بالمدو المجهر ، والحشد الاوقره وخصوصا في نوبة دمياط ، فهم  
نزلوها بحرا في ألف مركب ، مقاتل وحامل ، ويرا في مائتي ألف فارس وراجل ،  
وحصرونها شهرين يياكرونها وييراوحونها ، ويماسونها ويصاحونها ، القتال  
الذي يعلبه الصليب ، والقراع الذي ينادى به الموت ( كل ) مكان قريب . ونحن  
نقاتل المدوين الباطن والظاهر ، ونصائر الضربين المناق والكافره حتى اتى

---

(١) يقصد بهقالدا على النور المنجدة المقارنوه أما الاساطير والاساطير .

الله بأمره ، وأيدنا بمنصره ، وخابت المطامع من المصريين والفرنج • وشرعنا فنى  
 تلنا لطوائف من الأرمن والسودان والجناد فأخرجناهم من القاهرة ، وتارة  
 بالأوامر المرحقة لهم وتارة بالأمور الفاضحة منهم و ( طورا ) بالسيوف المجردة ،  
 وبالنار المحرقة ، حتى بقى القصر ومن به من خدم ومن ذرية قد تفرقت شيممة ،  
 وتمزقت بدعه ، وخفت دعوته ، وخفيت ضلالتة ، فهناك تم لنا إقامة الكلمة  
 والجهر بالخداية ، والرفع للواء الأسود الممظم ، وعاجل الله الطاغية الأكبر  
 بهلاكه وبرأنا من عهدة يمين كان اثم حنثها أيسر من اثم ابقائه ، لانه عوجل  
 لفرط روعته ، ووافق هلاك شخصه هلاك دولته • ولما خلا درعنا ، ورحب وسعنا ،  
 تدارنا فى الشزوات الى بلاد الكفار فلم تخرج سنة الا عن سنة أقيمت فيها برا  
 وبحرا ، مركبا وظهرا ، الى أن أوسعناهم قتلا وأسرا وملكتنا رقابهم قهرا وقسرا ،  
 وفتحنا لهم ماقبل ما خطر أهل الاسلام فيها منذ أخذت من أيديهم ، ولا  
 أوجفت خيلهم ولا ركابهم فذل ملكها أعاد يهم فنمها ما حكمت فيه يد الخراب ،  
 ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ، ومنها قلعة • بشئرايله كان العدو قد  
 بناها فى بحر الهند ، وهو السلوان منه الحرمين واليمن ، وعزا ساحل الحرم ،  
 فساء منطلقا ، وخرق الكفر فى هذا الجانب خرقا ، فكادت القبله أن يستولى  
 على أصلها ، ومشاعر الله أن يسكنها غير أهلها ، ومقام الخليل عليه السلام ،  
 أن يقوم به من ناره غير برد الاسلام ، ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتطرق  
 من لا يد بين بما جاء به من الاسلام ، فأخذت هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد ،  
 وموئلا لسفار البلاد ، وغيرهم من عباد الله •

وسيرنا الخلع والمناشير والالوية بها فيها من الاوامر والاقضية • فأما الأعداء  
المحدقون بهذه البلاد • والكفار الذين يتاثلوننا بالممالك العظام والعزائم  
الشداد • فمنهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الاكبر • والجالوت الاكبر •  
وصاحب المملكة التي اكلت على الدهر وشريت • وقائم النصرانية الذي حكمت  
دولته على ممالكها وغلبت • جرت لنا معه عزوات بحرية ومناقلات ظاهره وسرية •  
ولم نخرج من مصر الى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة نوبتين بكتابين • كل  
واحد منهما يظهر فيه خفي الجناح والقاء السلاح • والانتقال من معاداة الى  
مهاداة • ومن مفاضحه الى مفاضحه • حتى أنه أئذ رب صاحب صقلية واساطيله  
التي تردد ذكرها وعساكره التي لم يخف أمرها •

ومن هؤلاء الكفار هذا صاحب صقلية • كان حين علم بأن صاحب الشام  
وصاحب قسطنطينية قد اجتمعا في نوبه دمياط فسلبا وقسرا • وهزما وكسرا • أراد  
أن يظهر قوته المستقلة • فعمراسطولا استوعب فيه ماله وزمانه • فله الآن خمس  
سنين تكرر عدته • وتنتخب عدته • الى أن وصل منها في السنة الخالية الى  
الاسكندرية أم رافع • وخطب هائل • ما أثقل ظهر البحر مثل حمله • ولا ملا  
صدره مثل خيله ورجله • وما هو الا اقليم بل اقاليم • نقله • وجبى ما احتفل  
ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله •

(١)  
ومن هؤلاء البيوش البنادقة والباشنه والجنويه • كل هؤلاء تاور

(١) البنادقة : أهل مدينة البندقية • والباشنه : أهل مدينة بيزا • والجنويه  
أهل مدينة جنوة • وكلها منالدين الايطالية التي اشتهرت بنشاطها  
التجاري البحري •

وكان باليمن ما علم من ابن مهدي الضال الملحد ، المبدع المتعبد ، وله  
 آثار في الاسلام ، وثار طاله النبي عليها صلاة والسلام ، لأنه سبى الشرائف  
 الصالحات وباعهن بالثمن النجس ، واستباح منهم كل ما لا يقر لمسلم عليه نفس ،  
 ودان ببذعة ، ودعا الى قبر ابيه وسماه كعبة ، وأخذ أموال الرعايا المصنومة  
 ، وأحل الفروج المحرمة وأباحها • فانهضنا اليه أخانا بمسكننا  
 بعد أن تكلفنا نفقات واسعة وأسلحة رائعة ، وسار فأخذناه ولله الحمد ، وانجح  
 الله فيه القصد ، والكلمة هنالك بمشيئة الله الى الهند سامية ، والى ما يفتخر  
 الاسلام قدرته متعديه • ولنا في الغرب أثر أغرب ، وفي أعماله أعمال دون مطلبها  
 مهالك ، كما يكون المهلك دون المطلب ، وذلك أن بنى عبد المؤمن قد اشتهر  
 أن أمرهم قد أمر ، ولهم قد عروجهوشهم لا تطلق ، وأمرهم لا يشاق ، ونحن  
 بحمد الله قد تطلكتما مما يجاورنا منه بلادا تزيد مسافتها على شهره ، وسيرنا  
 اليها عسكريا بعد عسكر ، فرجع بنصر الله بعد نصر ، ومن البلاد المشاهير  
 والأقاليم الجاهليين : برقة ، قفصة ، قسطنطينية ، توزر ، كل هذه تقام فيها  
 الخطبة لمولانا المستنصر ، بأمر الله أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، ولا عهد  
 للاسلام باقامتها ، وينفذ فيها الأحكام بحملها المقصور وعلاقتها •

وفي هذه السنة كان عندا وقد شاهد وفود الامصار ورويه باسماع  
 وأبصار ، مقداره سبعون راكبا ، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا ، ويرجو منا  
 وعدا ويخاف وعيدا • وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليد ها ، وألقيت اليها مقاليد ها

يكونون غزاة لا تطاق صراوة ضرهم ، ولا تطلقا شرارة ضرهم ، وتارة يكونون سفارا يحتكمون على الاسلام في الأموال المجلوبة ، وتقتصر عنهم يد الاحكام المرهوبة ، وما منهم الا من هو الآن يجلب الى بلدنا آلة قتاله وجهاده ، ويتقرب اليها باهداء طرائف أعماله وتلاده ، وكلهم قد قررت معهم المواصله ، وانتظمت معهم المسالمة ، على ما نريد ويكرهون وعلى ما نؤثر وهم لا يؤثرون .

ولما قضى الله سبحانه بالوفاة النورية ، وكنا تلك السنة على نية الغزاة ، والصاكر قد تجهزت ، والمضارب قد برزت ، ونزل الفرنج ( على ) بانيناس ، وأشرافوا على اجتيازها ، ورواها فرصة مدوا يد انتهازها ، واستصرخ بنا صاحبها فسرنا مواحل اتصل بالمدو أمرها ، ووجل بالهدنة الدمشقية التي لولا سيرتنا ما انتظم حكمها .

ثم عدنا الى البلاد وتوافتنا اليها الأخبار بما المملكة النورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشتت الأمور وتقطيعها ، وأن كل قلعة قد حصل قبيها صاحب وكل جانب قد طمح اليه طالب ، والفرنج قد بنوا قلاعاً يتحيفون بها الأطراف الاسلامية ويضايقون بها البلاد الشامية ، وأمرأة الدولة النورية قد سجن كبارهم وعوقبوا وصودروا ، والمماليك الأعماد الذين خدوا الأطراف لا الصدور وجعلوها للقيام لا للقمود في المجلس المحضور ، قد مدوا الأيدي والأعين والسيوف وسارت سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المصروف ، وكل واحد يتخذ عند الفرنج يداً ، ويجعلهم لظهوره سنداً ، وعلمنا أن البيت المقدس أن لم تيسر الأسباب لفتحهم

وأمر الكفران لم يجرد العزم في قلمه ، والا ثبتت عروقه ، واتسمت على أهل  
الدين عروقه وكانت الحجة لله قائمة ، وهم للقادرين بالقصود آثمة . وانا لا نتكبر  
بحصر فيه مع بعد المسافة ، وانقطاع المصاراة وكلال الدواب التي بها على الجهاد  
القوة ، واذا جاورناه كانت المصلحة بادية والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد  
قريبة والفزوة ممكنة ، والمسيرة متسمة ، والخييل مستريحة ، والعساكر كثيرة  
الجموع ، والأوقات مساعدة وأصلحنا ما في الشام من عقائد ممثلة وأمور مختلطة ،  
وآراء فاسدة ، وأمر متحاسدة ، وأطماع ظالمة ، وعقول غائبة ، وحفظنا الولد  
القائم بعد أبيه ، فانا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء  
خدمته وهم عاقلون بظلمه .

والدراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ، ويؤكد الدعوة ، ويجمع الأمة ،  
ويحفظ الألفة ، ويضمن الرأفة ، ويفتح بقية البلاد ، وان يطبق الاسم المباسى  
كل ما تطبيقه الصهاد ، وهو تقليد جامع بحصر اليمن والمغرب والشام ، وكل ما  
تشتمل عليه الولايات النورية ، وكل ما يفتح الله تعالى للدولة المباسية بسيوفنا  
وسيوف عساكرنا ، ولمن نقيمه من أخ أو ولد من بعدنا ، تقليدا يضمن للنصرة  
تخلد ا ، وللدعوة تجد ا مع ما ينعم به من السمات التي فيها الملك . وبالجملة  
فالشام لا ينتظم أموره بمن فيه ، والبيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويقيمه ،  
والفرنج فهم يعترفون منا خصما لا يعمل الشر حتى يملوا ، وقرنا لا يزال محرم  
السيف حتى يجلوا ، واذا شد رأينا حسن الراى ضربنا بسيف يقطع غده ، ويلغنا

المنى بمشيئة الله تعالى ويد كل مؤمن تحت يده ه واستتقذنا أسيرا من  
المسجد الذي أسرى الله اليه بعبد ه •

\*\*\*\*\*

## الملحق الثاني

(١)

اهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد

ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف جائف أنه ما أنفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهماً الا في الجهاد أو في الارفاق ، لصدق وبر في يمينه • ولقد كان الجهاد همه ، والشفق به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظاماً ، بحيث ما كان له حديث الا فيه ، ولا نظر الا في آله ، ولا كان له اهتمام الا برجاله ، ولا ميل الا الى من يذكره ويحث عليه ، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ، ووطنه وسكنه وسائر مآلذه ، وفتح من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح ينة وبمسرة ، ولقد وقفت عليه الخيمة في ليلة ريحه على مرج عكا ، فلو لم يكن في البرق والا قتلته ، ولا يزيده ذلك الا رغبة ومصابة واهتماماً •

وكان الرجل اذا أراد أن يتقرب اليه يحثه على الجهاد أو يذكر شيئاً من أخبار الجهاد ، ولقد ألف له كتب عدة في الجهاد ، وانا ممن جمع له فيهم كتاباً ، جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه ، وكل حديث روي في فضله ، وشرحت فريستها ، وكان رحمه الله — كثيراً ما يطالعه حتى أخذه منه ولده الملك



الأفضل عز نصره • ولا

ولأحكيمن عنه ما سمعته منه : وذلك أنه كان قد أخذ كوكب في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وأعطى المساكين دستوراً ، وأخذ عسكر مصر نفسى العمود الى مصر ، وكان مقدمه أخاه الملك المادل — عز نصره — فسار معه ليودعه ويحظى بصلاة العيد في القدس الشريف — رحمه الله تعالى — وسرنا في خدمته • ولما صلى العيد في القدس وقع له أنه مضى معهم الى عسقلان ، ويودعهم بحسقلان ، ثم يعود على طريق الساحل يتفقد البلاد الساحلية الى عكا ، ويرتب أحوالها ، فأشاروا عليه أن لا يفعل فان المساكين اذا فارقتنا تبقى في عدة يسيرة والفرنج كلهم بصور وهذه مخا طرة عظيمة فلم يلتفت — رحمه الله — وودع أخاه والمسكر بسمقلان •

ثم سرنا في خدمته على الساحل الى البين عكا ، وكان الزمان شتاءً عظيمًا والبحر هائجًا نيجانًا شديد ، وموجه كالجبال ، كما قال الله تعالى ، وكنت حديث عهد برؤية البحر فمضت أمر البحر عندي حتى خيل الى أنى لو قال لسى قاد ران جزر في البحر ميلا واحدا ملكتك الدنيا ، لما كنت أفضل ، واستخفت رأي من ركب البحر رجا ، لكسب دينار أو درهم واستحسن رأي من لا يقبل شهادة راكب بحر • هذا كله خطر لى لمظم الهول الذى شاهدته من حركة البحر وتموجه فبينما أنا في ذلك اذا التفت الى رحمه الله وقال : « أما أحكى لك شيئا ؟ قلت : بلى ، قل : في نفسى ، أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل

قسمت البلاد ، وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر الى جزائرهم ، اتبهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكثر بالله أو أموت .

فمظلم وقع هذا الكلام عندى حيث ناقض ما كان خطر لى ، وقلت لسه :

« ليس فى الأرض أشجع نفسا من المولى ، ولا أقوى منه نية فى نصرة دين

الله تعالى » .

فقال : فكيف .

فقلت : أما الشجاعة فلأن مولانا ما يهوله أمر هذا وهو له ، وأما نصرة دين الله فهو أن المولى ما يفتح بقلع أعداء الله من موضع مخصوص فى الأرض منهم .

وأستأذنت فى أن أحكى له ما كان خطر لى ، فأذن ، فحكيت له ثم قلت : ما هذه الانية جميلة ، ولكن المولى يسير فى البحر المساكير ، وهو سور الاسلام ومنعته ، فلا ينبغى له أن يخاطر بنفسه .

فقال : انا استفتيك ؟ ما أشرف الميتات

فقلت : الموت فى سبيل الله .

فقال : غاية ما فى الباب أن أموت أشرف الميتات .

فأنظر الى هذه الطوبى ما أظهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها

وأجسرهما ، رحمه الله .

اللهم انك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، واجاهد رجاء رحمتك

فأرحمهم . .

\*\*\*\*\*

### الملحق الثالث

خطبة القاضي محيى الدين بن زكى الدين بعد استرداد

(١)

بيت المقدس يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

~~~~~

ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح هـ وهو الرابع من شعبان هـ  
حضر المسلمون الحرم الشريف نفثوا بالزحام هـ فانه من حين تسامع الناس به فى  
سائر الاطراف هـ وكسر المدو هـ والقصد الى فتح بيت المقدس هـ توافى الناس  
من كل هتق هـ وجاءوا من كل فج هـ ليفوزوا بالزيارة هـ ويحفظوا بالمشاهدة للفتح هـ  
فاجتمع من اهل الاسلام عدد عظيم لا يقع عليهم لاحصاء هـ فلما اذن الظاهر من  
يوم هذه الجمعة المباركة حضر السلطان بقبة الصخرة المقدسة وهو فى غاية السرور  
والفرح هـ اذ جملة اللتمالى فى هذا الفتح ثانيا لمعربى الخطاب — رضى  
الله عنه — الفاتح الأول وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك من ملوك الاسلام.

وامتألت أعراس المسجد وصحونه بالخيلائق هـ واستمهرت الميرون من  
شدة الفرح وخشعت الاصوات هـ ووجلّت القلوب هـ وكان رجلا من الأكابر والمعلماء  
قد رشحوا أنفسهم للخطبة فى هذا المسجد العظيم هـ واخذوا لذلك أهبة وألقوا  
ما يخاطبون به هـ ومنهم من عرض للسلطان أن يطلب ذلك هـ ومنهم من صرح هـ  
والسلطان ساكت لا يبدى سره هـ فلما حان وقت الخطبة نعى على القاضي محيى  
الدين بن زكى الدين هـ وقد مده لهذا الأمر الجليل هـ فرقى المنبر بالأهمية

السوداء العباسية ، وخطب خطبة بدعة بليغة ، هي :

(١) " فقطح دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين "

(٢) " الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين "

" الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم

(٣)

الذين كفروا بينهم يعدلون . "

" وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم

(٤)

يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا . "

" الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيبا

أينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات

أن لهم أجرا حسنا ما كنين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ،

ما لهم به من علم ولا لهنأثمهم كبير كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون

(٥)

الا كذبا . "

(٦)

" قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أما يشركون "

(١) سورة الانعام ، آية ٤٥ .

(٢) " الفاتحة " ، آية ٢ .

(٣) " الانعام " ، آية ١ .

(٤) " الاسراء " ، آية ١١١ .

(٥) " الكهف " ، آيات ١ - ٥ .

(٦) " النمل " ، آية ٥٩ .

« الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو

الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء

(١)

وما يخرج فيها وهو الرحيم الغفور »

(٢)

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا »

الحمد لله ممزى الاسلام بنصرة ومذل الشرك بقهره ، وصرف الأمور بأمره

ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعد لهه

وجعل الحاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على عباده من ظله ، وأظهر دونه على

الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خلقه فلا ينازع ، والآمر

بما يشاء فلا يواجه ، والحاكم بما يريد فلا يدافع .

أحمد على انظاره وأظهاره ، واعازته لأوليائه ونصرته لأتباعه ، وتطهير

بيته المقدس من أدناس الشرك وأفعاله ، حمد من استشعر الحمد باطن سره

وظاهر جهاده .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد ، الفرد

الضد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد

قلبه وأرضى به ربه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، دافع الشرك ، وداحض الكفر ، الذى

أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه الى

(١) سورة سبأ ، آية ١ - ٢ .

(٢) فاطر ، ١ .

وكرمه بنبوته ، ولم يزحزحه عن رتبة عهود يته فقال تعالى « لن يستكف المسيح  
أن يكون عبدا لله » (١) وقال « لقد كفر الذين قالوا انى الله هو المسيح بن مريم » (٢)

وهو أول القيلتين ، وثانى المسجد ين ، وثالث الحرمين ، ولا تشدد  
الرجال بعد المسجد ين الا اليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين الا عليه ،  
ولولا انكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم  
بهذه الفضيلة التى لا يباريكم فيها مجار ولا يباريكم فى شرفها مبار ، فطوبى لكم  
من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية ، والمزيمات  
الصدقية والفتوح العصرية ، والجيوش المثمانية ، والفتكات الملوية ، جددتم  
للاسلام أيام القادسية ، والوقعات اليرموكية ، والمنازلات الخيرية والهجمات  
الخالدية .

فجواكم الله عن محمد نبيه أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتوه من  
مجهودكم فى مقارعة الأعداء ، وتقبل منا ومنكم ما تقرتكم به اليه من مهراق الدماء ،  
وأثابكم الجنة فهى دار السعداء ، فاقد روا — رحمكم الله — هذه النعمة حقيق  
قد رها ، وقوموا لله بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ،  
وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء  
وتهلجت بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرره عيننا

(١) سورة النساء ، آية ١٧٢ .

(٢) المائدة ، ١٧ .

للسموات الصلى الى سدرة المنتهى ، عند جنة المأوى ، ما زلنا البصر وما طفى .

صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق ، السابق الى الايمان ،

وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شمار الصليان

وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير

المؤمنين على بن أبى طالب ، مازل الشوك ومكسر الأوتان ، وعلى آله وأصحابه

والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس : أبشروا برضوان الله الذى هو النجاة القصوى ، والدرجة

العليا ، لما يسهه الله على أيديكم من استرطاد هذه الضالة من الأمة الضالسة

وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها فى أيدي المشركين قريبا من عاصمة

عام ، وتطهير هذا البيت الذى آذن الله أن يرفع فيه اسمه ، وأماطة الشرك عن

طريقه ، بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعد التوحيد ،

فانه بنى عليه ، وانه أسسها لتقوى من خلفه ومن بين يديه ، وهو موطن أبيك -

ابراهيم ، ومصراع نبيكم محمد عليهما السلام ، وقبلتكم التى كنتم تصلون اليها

ابتداء الاسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومقر الرسل ومهيكل الوحي ،

ومنزلة تنزل الأمر والنهى ، وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو فى الأرض

المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين ، وهو المسجد الذى صلى فيه رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذى بحث الله

اليه عبده ورسوله وكله ، التى ألقاها الى مريم وروحها عيسى الذى شرفه الله برسالاته



الأنبياء والمرسلون ، فإذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذى يفتح عليه البيت المقدس فى آخر الزمان ، والجند الذى يقوم بسيوفهم بمدة فقرة من الرسل أعلام الايمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل الفبراء •

اليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى خطابه ؟ فقال تعالى « سبحانه الذى أسرى بمحمد ليلة من المسجد الجرام الى المسجد الأقصى » (١)

اليس هو البيت الذى عظمت الملوك ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الاربعة من الحكم عز وجل ؟ •

اليس هو البيت الذى أسسك الله عز وجل فيه الشمس على يوشع لأجله أن تغرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ •

اليس هو البيت الذى أمر الله ( تعالى ) موسى أن يأمر قومه باستنقاده فلم يجهه الا رجلا ، وغضب عليهم فمن أجله ، وألقاهم فى التيه عقوبة المصيان ؟ •

فأحمدوا الله الذى أفضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل وقد فضلهم على العالمين ، ووفقكم لما خذل عنه أمم ممن كان قبلكم من الأمم الماضية ، وجمع

كلمتكم وكانت شتى ، وأخاكم بما أمّنته كان وقد عن سوف وحتى .

فأليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا  
 لأهويتكم جنده ، وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهدىتم إلى هذا البيت  
 من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد ، وما أمطتم فيه عن طرقهم من أذى  
 الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاسد الخبيث ، فهو الآن يستغفر لكم أملاك  
 السموات ، ويصلى عليكم الصلوات المباركات .

فأحفظوا — رحكم الله — هذه الموهبة فيكم ، وأحرسوا هذه النعمة عندكم  
 بتقوى الله التي من تسك بها سلم ومن اعتصم بمرورها نجا وعصم ، وأحذروا  
 من اتباع الهوى ومواقف الردى ، وروجوا القهقري ، والتكول عن المدى ، وخذوا  
 في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقى من القصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ،  
 وسيعوا أنفسهم عباد الله في رضا الله ، وجعلكم من عباد الله ، وإياكم أن يستدلكم الشيطان ،  
 وأن يتدخلكم الطغيان ، فيخيل اليكم أن هذا النصر بسوقكم الحداد ، وبخيولكم  
 الجياد ، وجالدهم في موضع الجلاء ، والله ما النصر إلا من عند الله ، أن الله  
 عزيز حكيم .

وأحذروا — عباد الله — بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح  
 الجزيل ، وخصكم بهذا النصر المبين ، وأعلق أيدكم بحبله المتين ، أن تقتربوا  
 كثيرا من مناهيه ، وأن تأتوا عنايما من مما صبه ، فتكونوا كالتى نقضت غزلهما من

بعد قوة أنكاثا ، والذي آتينا آياتنا فانسأخ منها فاتبعه الشيطان فكان من  
من الفأولين ، والجهاد الجهاد ، فهو أفضل عبادكم وأشرف طاداتكم ، أنصروا  
الله ينصركم ، اذكروا الله يذكركم ، اشدكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حسم  
الداء ، وقطع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية الأرض التي أغشيت الله ورسوله  
واقطعوا فروع الكفر واجشوا أصوله ، فقد نادى الايام بالثورات الاسلامية والطة  
المحمدية الله اكبر ، فتح الله ونصر ، وغلب الله وقهره ، وأذل الله من كفر .

واعلموا — رحمكم الله — أن هذه فرصة فانتبهوها ، وفرصة ففناجزوها  
ومهمة فأخرجوا اليها همكم وابرزوها ، وسيروا اليها سرايا عزما تكم وجهزوها ،  
فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا المدد والمخفول  
وهم مثلكم أو دون ، فكيف وقد اضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد  
(١)  
قال تعالى : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين »

أعانتنا الله واياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره ، وأيدنا ممشر  
المسلمين ينصر من عند « ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي  
(٢)  
ينصركم من بعد » .

ثم أتم الخطبة الأولى وجلس ثم قام وخطب الثانية كما جرت العادة ثم  
دعا للخليفة الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، ثم قال :-

(١) سورة الانفال ، آية ٦٥

(٢) آل عمران ، ١٦٠

« اللهم وأد م سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف  
 بوجهيتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والحامى عن دينك الدافع ،  
 والذاب عن حرمك ( وحرم رسولك ) المانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر  
 جامع كلمة الايمان ، وقامع عبدة الصلبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان  
 الاسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبى المظفر ، يوسف ( صلاح الدين )  
 ابن أيوب محبى دولة أمير المؤمنين •

اللهم عم بدولته البسيطة ، وأجمل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن  
 عن الدين الحنيفى جزاءه ، وأشكر عن الملة المحمدية عزمه وفضاه •

اللهم ابقى للإسلام مهجته ، ورق للإيمان حوزته ، وانشر فى المشارق  
 والمغارب دعوتيه •

اللهم فكما فتحت على يدك البيت المقدس ، بعد أن ظنت به الظنون  
 وابتلى المؤمنون ، فافتح على يدك داني الارض ونواصيها ، وملكه صياصى الكفر  
 ونواصيها ، فلا يلقى منهم كتيبة الا فرقها ولا جماعة الا فرقها ولا طائفة بمعد  
 طائفة الا سحقها بمن سبقها •

اللهم اشكر عن محمد و صلى الله عليه وسلم - سعيه ، وأنفذ نفسى المشارق  
 والمغارب أمره ونهييه ، واصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك وأكنافها •

اللهم ذلل به معاطن الكفار ، وارغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب

ملكه على الاضرار ، واثبت سرايا جنوده فى سبيل الاقطار •

اللهم ثبت الملك فيه وفى عقبه الى يوم الدين ، واحفظه فى بنيه وسنى  
أبيه الملوك الميامين وأشدد عضده ببقائهم ، واقضى باعزاز أوليائه وأوليائهم •

اللهم فكما جرت على يده فى الاسلام هذه الحسنة التى لا تبقى على  
الأيام ، وتتخلد على مرور الشهور والاعوام ، فازقه الملك الابدى الذى لا ينفذ  
فى دار المتقين ، واجب دعوته فى قوله : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى  
أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وادخلنى برحمتك فى  
عبادك الصالحين » (١)

ثم دعا بما جرت به المادة ، ونزل وصلى بالناس صلاة الجمعة •

---

(١) سورة النمل ، آية ١٩ •

## الملحق الرابع

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى بفتح بيت

المقدس

~~~~~

(١)  
ومما كتبه الى الديوان العزيز مجده الله للبشرى بفتح القدس

الرسول ضياء الدين الشهرزوري من رسالة :-

وقد سقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم ، والنصر المميم ،  
والصرف الجسيم ، والفضل الوسيم ، واليوم الأغر الاعز الكريم ، والشرف الذي  
نخره الله لهذا العصر ليفضله على الاعصار ، وأراد تأخير فخاره الى هذه  
الأيام ليكون بها تاريخ النصار . فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته ، واقتضاض  
عذيقته ، وخص من أجراه الله على يده بسمو قدره ونمو قدرته ، وأعاد به القدس  
الى قدسه ، وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجع الاسلام الضريب  
منه الى داره ، وخرج قمر الهدى به من أسواره ، وذهبت ظلم الضلاله  
بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس ، وأمنت  
المخلوف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ التمريس ، وقد أقصى عن المسجد  
(٢)  
الاقصى الاقصون من الله الأبعدون ، وتوافد اليه المصلطون الاقربون ، والملائكة

(١) المعاد ، الفتح ، ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) عن القوم : نزولوا للاستراحة من السفر ، والمقصود الإقامة والاستراحة

( أنظر المعاد ، المصدر نفسه ، ص ١٤٧ حاشية )

المقربون ، وخرس الناقوس ، يزلزل المسيحيين وخرج المفسدون بدخول المصلحية

وقال المحارب لأهله مرحبا وأهلا ، وشمل جماعة المسلمين من قاصدة  
الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شحلا . ورفعت الاعلام المباسية على منبره  
فأخذت من يره أوفى نصيب ، وتلت بالسنة عذيبها ( نصر من الله وفتح قريب )  
وغسلت الصخرة المباركة بدوح المتقين من دعي المشركين ، وبعد أهل الأحد  
من قربها بقرب الموحدين . فذكر بها ما كاد ينسى من عهد المعراج النبوي ،  
وقامت بدلائلها براهين لا عجز المحمدي وصافحت الأيفى منها موضع القدم .  
وتردد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم .

فهو ثاني المسجدين ، بل ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام  
خلاص أخيه البيت المقدس من الأسر ، وأسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار  
ليل الكفر ، وتطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أدناس الأرجاس ،  
وتشوق أرج الرجاء في ارجائه بعد اليأس .

فالحمد لله الذي أبدل الايطاش بالايناس ، ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة  
عليه لباس اليأس ، وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه —  
على الأحمر مغضلا وكمل بهذه الفتح الشريف شرف زمانه ، فأصبح فخر الديار  
والدنيا به مكلا . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية بأسرها ، وعجل هلاك  
هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عسرة ،  
وهذه ندوة ندوة . وعادت حباله رثا ، وعقوده انكاثا ، ومساكنه اجداثا ، وصار

حد يثا بعد أن شوهده أهل الذمة أحداثا •

(١)

فالترتاج مستفتح • والرجاء مستنج • والبلاد مستخلصة • والقسيم  
 الفوالى منها بسوم العوالى مسترخصة • والصنائل مقتضة • والمما قل منفضة •  
 ومناهل المعنى بمياة النجاح مرفضة • ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيفوف  
 أهل الايمان منفضة • والثغور بمسمة • والأبوار منتظمة • والحصون مقسمة •  
 والخصوم مذعنة مستسلمة • وأرض الكفر ينقصها الاسلام كل يوم من اطرافها • بل  
 يستولى على أوساطها وأكتافها • ويعيد الى الطاعة كرها مذهب خلافها •  
 ولقد أبتج زوعها وثمرها من رؤوس المشركين • وهذا أوان حصادها وقطافها •  
 والنهضة بحمد الله عظيمة والموهبة وان خصت هذا الاقليم فهي في جميع اقاليم  
 المسلمين عجيبة •

ولو شرح ما لهذا الفتح من جلاله المظامة • ودلالة المكرمة • لكبا قلم

البليغ في مضمار البيان • ولم يبلغ مدى ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات

(٢)

ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو بئنا بمثله مدادا ) والقاضي ضياء

(١) الترتاج : الباب المفلق عليه باب صغير •

(٢) سورة الكهف • آية ١٠٩ •



الدين القاسم الشهر زورى ، قد توجه لهذه النعمه واصفا ، وعند ما يؤمر به  
من انهاء البشرى بها واقفا ، وأولى من وصف المرف من كان بأوصافه عارفا ،  
وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفى بشرح الصدور صادر شرحه ، ويفتح  
على الاسلام أبواب الهناء بانها ، ما تسنى من فتحه ويحدث وهو الخـ  
باسفار صبحه .

\*\*\*\*\*

قَائِمَةُ الشَّاهِدِ وَالْمُرَاجِعِ

## المصادر والمراجع

### أولا : المصادر العربية :

- ابن أبي الهيثج ( ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م )  
تاريخ ابن أبي الهيثج ، مخطوط مصور على ميكروفلم بمعهد المخطوطات  
المرمية بالقاهرة رقم ٩٤٥ .
- ابن الأثير ( ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م )  
١ - التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية  
تحقيق عبد القادر طليعات ، ط القاهرة سنة ١٩٦٣م .  
٢ - الكامل في التاريخ ، ج ١١ - ١٢ ، ط : ليدن سنة ١٨٧٦م .
- ابن اياس ( محمد بن احمد الحنفى ، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م )  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١ ، القسم الأول ، تحقيق  
محمد مصطفى ، ط : نسيان ، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ابن أبيه الدوادارى ( ابو بكر عبد الله ، ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م )  
كنز الدروجا مع الضرر ، الجزء السابع وفتوانه ( الدر المطلوب في  
أخبار بني أيوب ) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط القاهرة  
سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

- ابن بطوطه ( ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، ت ٧٩٧ هـ / ١٣٧٧ م )  
رحلة ابن بطوطه المسماه ( تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ط : القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ابن تشرى بردى ( جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م ) .  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٥ - ٦ ط القاهرة سنة ١٩٣٥ م .
- ابن جبير ( محمد بن احمد ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م )  
رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، ط القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ابن الجوزى ( عبد الرحمن بن على ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م )  
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ١٠ ، ط حيدرآباد سنة ١٣٥٨ هـ .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م )  
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب المبرود يوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ - ٥ ط القاهرة سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

- ابن خلكان ( شمس الدين احمد بن محمد هـ ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م )  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان هـ ج ١ - ٢  
تحقيق احسان عباس هـ ط بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- ابن دقاق ( ابراهيم بن محمد هـ ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م )  
الجواهر الثمين في سير الخطاء والملوك والسلاطين هـ  
مخطوط بمكتبة فاتح في استانبول رقم ٤٣١٣ .
- ابن الراهب ( ابو شاكر بطرس بن أبي الكرم المذهب )  
تاريخ ابن الراهب هـ  
عنى بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي هـ ط بيروت سنة ١٩٠٣ م .
- ابن سعيد ( ابو الحسن علي بن موسى المشري هـ ت ٦٧٣ هـ /  
١٢٧٤ م )  
١ - الروض المهبوط في حلى دولة بنى أيوب هـ ج ٢ هـ مخطوط  
بدار الكتب المصرية رقم ١٢ ٢٧ تاريخ  
٢ - المغرب في حلى المغرب هـ القسم الخاص بالقاهرة هـ تحقيق  
حسين نصاره ط القاهرة سنة ١٩٧٠ م .
- ابن شاهنشاه الايوبي ( محمد بن تقي الدين عمر هـ ت ٦١٧ هـ /  
١٢٢٠ م )  
ضمائر الحقائق وسر الخلائق هـ  
تحقيق حسن جشي هـ ط القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

- ابن الشحنة ( ابوالوليد محب الدين محمد بن محمد الحلبي هـ ٩٢١ /  
( ١٥٦٥ م )  
روضة المناظر في علم الأواغل والأواخر هـ مخطوط بمكتبة السلطانية فسي  
استانبول رقم ٨٧٠ •
- ابن شداد ( بهاء الدين يوسف بن رافع هـ ٦٣٢ / ١٢٣٤ م )  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية هـ  
تحقيق جمال الدين الشيال هـ ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م •
- ابن شداد ( عز الدين عبد الله بن محمد هـ ٦٨٤ / ١٢٨٥ م )  
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة  
الجزء الأول هـ مخطوط بمكتبة أحمد الثالث في استانبول رقم ١٥٦٤ •  
الجزء الثالث هـ تحقيق سامي الدعان هـ ط بيروت سنة ١٩٦٣ م •
- ابن الصيرفي ( علي بن منجب بن سليمان هـ ٥٤٢ / ١١٤٧ م )  
الإشارة الى من نال الوزارة  
تحقيق عبد الله مخلص هـ ط القاهرة سنة ١٩٢٤ م •
- ابن طباطبا ( محمد بن علي )  
الفخرى في الآداب السلطانية هـ ط القاهرة سنة ١٣٤٥ / ١٩٢٧ م •

- ابن ظافر الازدي ( جمال الدين على ، ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م )  
أخبار الدول المنقطعة  
تحقيق أندريه فريه ، ط القاهرة ، سنة ٢٩٧٢ م .
- ابن المبرى ( غنموريوس الملقى ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م )  
تاريخ مختصر الدول ، ط بيروت سنة ١٩٥٨ م .
- ابن المديم ( كمال الدين أبي القاسم عمراحمدا بن هبة الله ،  
ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م )  
١ - بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ٢ ، ٦ ، مخطوطة بمكتبة  
أحمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٢٥ .  
٢ - زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج ٢ ، ٣ ،  
تحقيق سامي الدهان ، ط بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- ابن المصداق الحنبلي ( أبو الفلاح عبد الحى ، ت ١٠٩٩ هـ / ١٦٧٨ م  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ط القاهرة ١٩٣١ م
- ابن الفرات ( ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م )  
تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ، في جزئين ،  
تحقيق حسن محمد الشماط ، ط البصرة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٩ م .

- ابن قاضي شهبه ( بدر الدين محمد بن أبي بكر هـ ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م )  
الكواكب الدرية في السيرة النورية  
تحقيق محمود زايد هـ ط بيروت سنة ١٩٧١م .
- ابن القلاسي ( ابو يملح حمزة هـ ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م )  
ذيل تاريخ دمشق هـ ط بيروت هـ سنة ١٩٠٨م .
- ابن كثير ( اسماعيل بن عمر هـ ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م )  
البداية والنهاية هـ ج ١٢ هـ ط بيروت سنة ١٩٦٦م .
- ابن مطاى ( الاسعد بن مطاى هـ ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م )  
قوانين الدواوين  
تحقيق عزيز سوريال عطيه هـ ط القاهرة سنة ١٩٤٣م .
- ابن منظور ( جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى هـ ت ٧١١هـ /  
١٣١١م )  
لسان العرب هـ ج ٦ هـ ٨ هـ ط القاهرة ١٨٨٢م .
- ابن مفند ( أسامة بن رشد الثاني هـ ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م )  
كتاب الاعتبار  
تحقيق فيليب حتى هـ ط : جامعة برنستون الولايات المتحدة  
سنة ١٩٣٠م .



- ابن نباته ( جمال الدين محمد )  
فختارات من كلام القاضي الفاضل  
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ أدب
- ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م )  
١- التاريخ الصالحى  
مخطوط بمكتبة فاتح فى استانبول رقم ٢٤ ٤٢٠  
٢- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج ١ - ٢  
تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٧  
ج ٤ تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط القاهرة سنة ١٩٧٢ م
- ابن الوردي ( زين الدين عمر ، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م )  
تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ط النجف سنة ١٣٨٩ هـ /  
١٩٦٩ م
- أبو شامة ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، ت  
٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م )  
١- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين  
الجزء الأول ، قسمان ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد ، ط  
القاهرة سنة ١٩٦٢ م  
الجزء الثانى ط القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م  
٢- الذيل على الروضتين ،  
تحقيق عزت المطار ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٧ م

- أبو القدا ( عماد الدين اسماعيل ء ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م )  
المختصر في أخا في البشر ء ج ٣ ء ط بيروت .
- الأرنلى ( عبد الرحمن سنيط بن قنيو ء ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م )  
خلاصة الذهب المسبوك ء ط بغداد .
- الأصفهاني ( عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد بن حامد )  
البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان  
مخطوط بمكتبة أحمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٥٩ .
- البنداري ( قوام الدين الفتح بن علي ء ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م )  
سنا البرق الفامي ء القسم الأول ء تحقيق رمضان ششن  
ط ء بيروت سنة ١٩٧٠ م .
- الحسن بن عبد الله بن محمد  
آثار الأول في ترتيب الدول ء ط القاهرة سنة ١٢٩٥ هـ .
- الحنبلي ( أحمد بن إبراهيم نصر الله )  
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب  
مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١ .
- الخوارزمي ( أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ء ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م )  
مفاتيح الملووم ء ط القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ .

- الذهبي ( الحافظ محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م )  
١ - المبرني خبر من غير ، ج ٤  
تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط الكويت سنة ١٩٦٣ م .
- ٢ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مجلد ٢٧ ،  
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ  
٣ - دول الاسلام  
مخطوط في مكتبة احمد الثالث باستانبول .
- الزبيدي ( المرتضى )  
ترويح القلوب بذكر الملوك بنى أيوب ،  
تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دمشق سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .
- سبط ابن الجوزي ( شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاعلى التركى ،  
ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م )  
مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، القسم الأول ، ط حيدرآباد  
سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- السبكي ( عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م )  
طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ - ٨ .  
تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحى ، ط  
القاهرة الطبعة الأولى .

- السيوطي ( الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م )
  - ١- تاريخ الخلفاء ، ط القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
  - ٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ٢ ،
- تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط القاهرة سنة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ م .
- صالح بن يحيى ( من مؤرخي القرن التاسع الهجري )
  - تاريخ بيروت ، ط بيروت ١٩٦٩ م .
- صلاح الدين الصفدي
  - أمراء دمشق في الاسلام .
  - تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دمشق سنة ١٩٥٥ م .
- الطرسوسى ( مرضى بن على ، كان ماصرا لصلاح الدين )
  - نبذة أرباب الألباب .
  - تحقيق كلود كاهن في مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق ، ج ١٢
- الحمان الاصفهاني ( ابو عبد الله محمد ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م )
  - ١- البرق الشامى ، ج ٥ ، تحقيق رمضان شعبان ، ط استانبول سنة ١٩٧٩ م .
  - ٢- تاريخ دولة آل سلجوق ، ط بيروت سنة ١٩٧٨ م .
  - ٣- الفتوح القسى في الفتوح القدسى ، تحقيق وشوح وتقديم محمد محمود صبح ، ط القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

- الصمري ( شهاب الدين احمد يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م )
  - مسالك الابصار في ممالك الاصار ، ج ٧ .
  - مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٧٩٧ .
- الميني ( بدر الدين محمد بن احمد بن موسى ، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م )
  - عقد الجطن في تاريخ أهل الزمان ، ج ١٢
  - مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩١١ .
- القلقشندي ( احمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م )
  - صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج ٣ - ٥ ، ط القاهرة
  - سنة ١٩١٩ - ١٩٢٢ م .
- الكبي ( محمد بن شاكر ، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م )
  - عيون التواريخ
  - مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٢٢ .
- القزويني ( احمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م )
  - ١ - التاريخ الكبير المسمى ( المقفى في تراجم أعل مصر والوارد ين لها ) مخطوطة بمكتبة السلطانية في استانبول رقم ١٤٩٦
  - ٢ - اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ٣ تحقيق محمد حلمي محمد احمد ، ط القاهرة سنة ١٣٩٠ / ١٩٧١
  - ٣ - اغاثة الامة بكشف الغم ، قام على نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشنبل ، ط القاهرة سنة ١٩٤٠ م .
  - ٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
  - ٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جز ١ ، ط القاهرة سنة ١٣٧٠هـ

- مؤلف مجهول  
خزانة السلاح في الاسلام  
تحقيق نبيل محمد عبدالمعز ط القاهرة سنة ١٩٧٨ م.
- التميمي ( عبد القادر محمد ط ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م )  
الدارس في تاريخ المدارس ط دمشق سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.
- التويري ( شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب ط ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م )  
نهاية الارب في فنون الأدب  
ج ٨ ط القاهرة سنة ١٩٣١ م  
ج ٢٦ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ مصارف طمه .
- اليافعي ( ابو محمد عبد الله بن سعد ط ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م )  
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ط ٣ ط بيروت سنة ١٣٩٠ / ١٩٧٠ م.
- ياقوت الحموي ( شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي ط ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م )  
معجم البلدان ط ١ - ٥ ط بيروت سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

ثانيا : المراجع المربية والمترجمة :

- ابراهيم على طرخان  
النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في المصور الوسطى ، ط القاهرة  
سنة ١٩٦٨ م .
- احمد مختار المبادى ، والسيد عبدالمزيز سالم .  
تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ط بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- ارشيبالد لويس ،  
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة محمد عيسى ،  
ط القاهرة ، سنة ١٩٦٠ م .
- ارنست باركر  
الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز الميرنى ، ط بيروت سنة  
١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- الباز الميرنى  
الشرق الأدنى في المصور الوسطى ، القسم الأول ( الايوبىون ) ، ط  
بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- برنارد لويس  
الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية ) ترجمة سهيل زكاره  
ط بيروت سنة ١٩٧١ م .

- حامد زيان ،  
الامبراطور فردريك ببروسا ، ط القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
- حسن ابوالهسيم حسن ،  
تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ، ط ، القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- حسن حبشى ،  
١- نور الدين والصليبيون ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٨ م .  
٢- أعمال الفرنجة ، ط القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- حسنين محمد ربيع ،  
١- النظم المائية فى مصر زمن الأيوبيين ، ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م  
٢- البحر الاحمر فى مصر الايوبى ، ندوة تاريخ البحر الاحمر  
بجامعة عين شمس سنة ١٩٧٩ م .  
٣- جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين ، مقال بمجلة رسالة  
المسجد الممدد الرابع ، ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ .
- ستيفن كونستيان ،  
تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز المرنى ، ج ٢- ٣ ،  
ط بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- سعاد ماهر ،  
البحرية فى مصر الاسلامية ، ط القاهرة سنة ١٩٦٧ م .



- سعيد عبد الفتاح عاشور ،  
١ — الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، ط القاهرة سنة ١٩٧٦م  
٢ — أوربا المصور الوسطى ، الجزء الأول ، ط القاهرة سنة ١٩٦٤  
٣ — بحوث ودراسات في تاريخ المصور الوسطى ، ط بيروت  
سنة ١٩٧٧م  
٤ — تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ط القاهرة سنة ١٩٧٦م  
٥ — الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ط القاهرة سنة ١٩٧١م  
٦ — قبرص والحروب الصليبية ، ط القاهرة سنة ١٩٥٧م  
٧ — الناصر صلاح الدين ، ط القاهرة

- شاكرو مصطفى ،  
التاريخ العربي والتورخون ، جزآن ، ط بيروت ١٩٨٠م  
— طائفة بنت عبد الله باناسى  
بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- عبد الرحمن زكي  
١ — السلاح في الاسلام ، ط القاهرة ١٩٥١م  
٢ — قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار ، ط القاهرة سنة  
١٣٩١هـ / ١٩٧١م

- عبد النعم ماجد  
الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ، ط بيروت سنة ١٩١٧م

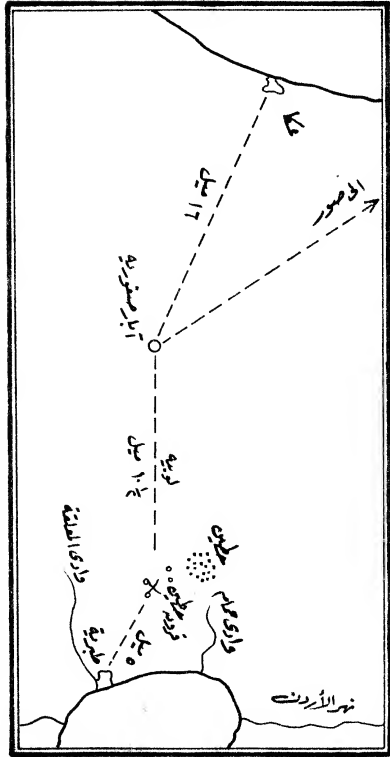
- عبد النعيم حسنين  
سلاجقة ايران ، ط القاهرة سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٧٠م .
- على بيـــــوى  
قيام الدولة الايوبية فى مصر ، ط القاهرة سنة ١٩٥٢م .
- كلود كاهمين  
تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط بيروت سنة ١٩٧٧م .
- محمد جمال الدين سرور  
الدولة الفاطمية فى مصر ، ط القاهرة سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٢م .
- هاملتون جب  
دراسات فى حصار الاسلام ، ط بيروت سنة ١٩٧٤م .
- نظير حسان سعداوى  
١ - التاريخ الحزبى المصرى فى عهد صلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٥٧  
٢ - جيش مصر فى ايام صلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٥٩م .  
٣ - الحرب والسلام زمن المدوان الصليبي ، ط القاهرة سنة ١٩٦١م .  
٤ - المؤرخون المصابرون لصلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٦٢م .  
٥ - نظام البريد فى الدولة الاسلامية ، ط القاهرة سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

ثالث : المراجع الأوربية :

---

- Hassanein Rabie, The Financial system of Egypt, London (1972).
- Brand, The Byzantin and Saladin, speculum, vol.37 (1962) .
- Cambridge History of Islam, vol I, London, (1970)
- Ehrenkreutz
  - 1 - The place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages, Journal of the American Oriental Society, (1955) vol 15.
  - 2 - Saladin, New York (1972).
- Lane-Poole, S., Saladin and the Fall of Kingdom of Jerusalem, Beirut (1964)
- Lewis, B., Saladin and the Assassins, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 15 (1953), pp. 239-245.
- Richard, (Gean) - An Account of the Battle of Hattin, Speculum, vol 27 '1952).





مركبة حطين تقلا عن كتاب التاريخ العربي لتطير حسان سعداوى

